الكتاب الثامن

في السلوك المسيحي (٣)

ضبط النفس

... ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم الكتـــاب : نور الحياة
الكتـــاب الثامن : في السلوك المسيحي (٣)
المـــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــة : الأولي ٢٠١١
الناشـــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي
ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤
المطبعـــــــــة : مدارس الأحد، ٧٠ شارع روض الفرج
رقم الإيـــداع : ٢٠١١/٨٥٤٢
الترقـــيم الـــدولي : 977-5334-53-5

صاحب القداسة والغبطة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٧)

المحتويـــات

١ – أثقل الناموس ٩

+ أثقل الناموس .. الحق والرحمة والإيمان ١٠

+ الحق ١٥

+ الرحمة ٢٠

+ رحمة لا ذبيحة ٢٧

+ الإيمان ٤٠

٢ – أمانة الله وأمانتنا ٥٩

+ أمانة الله ٦٠

+ كن أميناً ٦٩

٣ – ألوان من التعب ٩١

+ تعب وتعب ٩٢

٤ – ضبط النفس ١٠٥

+ ضبط النفس ١٠٦

+ ضبط الفكر ١١٢

+ ضبط الحواس ١١٨

+ ضبط الانفعال ١٢٩

+ ضبط الشهوات ١٤١

٥ – عن الصداقة ١٥٧

+ الصداقة من منظور كتابي ١٥٨

كلمة الى القارئ

في هذا **الكتاب الثامن** من "**نور الحياة**" نقدم جزءاً ثالثاً من "**في السلوك المسيحي**" يتكامل مع الجزأين السابقين اللذيْن تضمنهما الكتابان الأول (٢٠٠٧) والسادس (٢٠٠٩). وليس غريباً أن تتعدد كتب هذه السلسلة التي تتناول **السلوك المسيحي**، فالإيمان ليس عقائد جامدة للحفظ والترديد الآلي، ووصايا الكتاب ليست للمعرفة والقراءة السطحية، وأمور العبادة لن تكون ممارسات شكلية وتتميم فرائض بالشفاه والأداء الجسدي، وإنما الترجمة الحقيقية للإيمان ووصية الله وجوانب العبادة تنعكس في سلوك المؤمن في حياته اليومية، وتعامله مع ما يمارسه من عمل وما يصادفه من مواقف ومشكلات، وعلاقاته مع العالم المحيط عائلةً كان، أم كنيسةً، أم وطناً، أم كل من تضعه الظروف أمامه.

ومن هنا فموضوعات كتب هذه السلسلة، المستندة كلها إلى "**كلمة الله**"، سواء ما كان "**عن المسيح**"، أو "**المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**"، أو "**قضايا إيمانية**"، أو "**شخصيات كتابية**"، أو ما يستجد، تتكامل جميعها في تطبيقها العملي في أمر أساسي هو "**السلوك المسيحي**". فالإيمان المسيحي ليس وهماً، أو شكلاً جميلاً، أو أمراً تجريدياً نتحدث عنه ولا نمارسه، وإنما هو حياة شاملة لا يفتعلها الإنسان وإنما يصنعها الروح القدس ويمارسها المؤمن هنا على الأرض بصورة غير مكتملة، ولكنها تكتمل عندما يستوطن عند الرب.

ويتناول الجزء الثالث من "**في السلوك المسيحي**" جوانب أساسية من حياتنا الروحية : **الحق، الرحمة، الإيمان، الأمانة، ضبط النفس** فكراً وحواساً وانفعالاً

وشهوات، **الصداقة، والتعب المبارك** لا الباطل.

وكما يعرف القاريء، فهذه مقالات للكاتب سبق نشرها في دوريات مسيحية من قبل، ولكن ضمَّها في كتاب يتيح قراءة جديدة لها والإضافة إليها، كما تقدم باقترانها معاً رؤية متكاملة وفائدة أكثر شمولاً وأبعاداً أكثر اتساعاً، لم تكن لتتوفر لها وهي تُنشر مستقلة عدداً وراء عدد، وليست متجاورة في فصول مختارة بين دفتي كتاب.

ويأتي نشر هذا الكتاب والوطن والكنيسة يمران منذ بداية العام بظروف غير عادية. ففي الوطن ثورة تهدف إلى الحرية والعدالة والمساواة ورفع الظلم، وهي جوانب تتوافق مع مشيئة الله المحب العادل الذي ليس عنده محاباة. كما اجتازت الكنيسة مذابح استشهد فيها كثيرون مع الدقائق الأولى من العام وتعرضت بعض الكنائس للهدم والحرق من المتطرفين. ولكننا نثق أن في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا، فمن وسط الأشلاء والدم والأطلال سمح الله بمؤازرة الدولة وكل الشعب للكنيسة، ومساندتهم لرفع الإضطهاد والتمييز وتحقيق المواطنة والأمن للجميع.

وإني أسأل الله أن يبارك هذا الجهد لمجد اسمه بصلوات أبينا **قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث**، كما أطلب صلوات كل من يقرأ هذا الكتاب كي يستخدمه الله من أجل إنارة الأذهان بمجد معرفة الله.

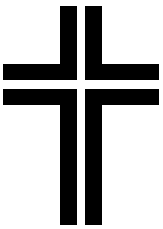

أثقل الناموس

+ أثقل الناموس .. الحق والرحمة والإيمان
+ الحق
+ الرحمة
+ رحمة لا ذبيحة
+ الإيمان

أثقل الناموس
الحق والرحمة والإيمان

قبل أيام من صليبه، وقف يسوع أمام الجموع وتلاميذه يُحذِّرهم للمرة الأخيرة من أخطر ما يتهدَّد العبادة، وهو الرياء والتظاهُر، حيث يتخذ العابد سمات التقوى إرضاءً للذات والناس، لأن الله يكون غائباً عن حياته دون أن يعي.

وهو قد يُمارس كل ألوان العبادة: صلاةً وصوماً وعطاءً، ولكن هذه كلها تؤدَّى صورياً بغير مشاركة الروح والقلب والذهن. فليس هناك غير جسده يذهب ويجيء ويرفع اليدين والصوت وينحني ويسجد ويصوم ويتصدَّق كما يفعل الإنسان الآلي (الروبوت)، ولكن الحياة في أعماقها خاوية أسيرة لا تتغيَّر، والتوبة

كالغريب المنبوذ لا مكان لها ولا ترحيب.

والرب حمَّل الكتبة والفرِّيسيين تبعة هذا الانحراف المدمِّر المؤدِّي إلى الهلاك، لأنهم "**يقولون ولا يفعلون**"، و"**كل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس**" (مت ٢٣: ٣،٥).

وهم منشغلون بالقشور عن لُبِّ العبادة وجوهرها، حريصون أن يُعشِّروا النعنع والشبث والكمون والسذاب، مغالاة في تطبيق وصية العشور[١] حتى على الزراعات الثانوية قليلة المحصول، بينما يُغفلون ما سمَّاه الرب: "**أثقل**[٢] **الناموس: الحق والرحمة والإيمان**" (مت ٢٣: ٢٣)[٣،٤،٥].

وهكذا أفرغوا الناموس من مضمونه، وفقدوا الطريق إلى ملكوت السموات كما أغلقوه قدام الناس (مت ٢٣: ١٣).

---

(١) "وكل عُشر الأرض من حبوب الأرض والثمار والشجر فهو للرب. قدسٌ للرب... وأما... البقر والغنم... يكون العاشر قُدساً للرب" (لا ٢٧: ٣٠،٣٢)، "تعشيراً تُعشِّر كل محصول زرعك الذي يخرج من الحقل، سنة بسنة... عُشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك. في آخر ثلاث سنين تُخرج كل عُشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك، فيأتي اللاوي والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون، **لكي يُباركك إلهك في كل عمل يديك الذي تعمل**" (تث ١٤: ٢٢،٢٣، ٢٨،٢٩).

(٢) وردت كلمة "**أثقل**" في الترجمة العربية الحديثة بمعنى "**أهم**" ما في الناموس وفي الأصل اليوناني كلمة βαρύτερα بمعنى "**أغلى جداً**"، أو "**أكثر ثمناً**"، أو "**الأعظم في القيمة**".

(٣) وردت الآية: "**الحق والرحمة والإيمان**" (مت ٢٣:٢٣) في الترجمة العربية الحديثة هكذا: "**العدل والرحمة والصدق**": τήν κρίσιν καί τό έλεος καί τήν πίστιν "Justice, Mercy, Faithfulness"

(٤) يذكرها إنجيل القديس لوقا هكذا: "وتتجاوزون عن **الحق ومحبة الله**» (لو ١١: ٤٢). ويذكرها قطمارس الكنيسة المُترجم عن القبطية: "**الحكم والرحمة والإيمان**".

(٥) الرب يستعيد بصورة ما ما سجَّله الوحي على لسان ميخا النبي قبل ميلاد المسيح بما يقرب من ثمانية قرون: "بِمَ أتقدَّم إلى الرب وأنحني للإله العلي. هل أتقدَّم بمحرقات بعجول... هل يُسرُّ الرب بألوف الكباش... **قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح، وماذا يطلبه منك الرب، إلاَّ أن تصنع الحق وتُحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك**" (ميخا ٦: ٦-٨).

أثقل الناموس

والرب قصد بـ "**أثقل الناموس**"، التوجُّهات الرئيسية أو جماع الوصايا التي تُشكِّل مركز الثقل في الناموس[٦]، والتي يمكن أن تنبثق منها سائر الوصايا.

وكان الرب في تعليمه، بصورة عامة، يوجِّه أنظار المؤمنين أولاً إلى الجوهر لا الشكل، وإلى الأصول لا الفروع، لأن سلامة ماء النهر تعتمد على سلامة المنبع. وهو بهذا يُنير الطريق أمام المؤمن ويقوده إلى الأساس والغاية، فلا يتوه في التفاصيل.

+ فهو قال مرة عن محبة الله أنها: "**الوصية الأولى والعُظمى، والثانية مثلها** (أي عظيمة أيضاً) **تحب قريبك كنفسك**"، وأضاف أنه: "**بهاتين الوصيتين يتعلَّق الناموس كله والأنبياء**" (مت ٢٢: ٣٧-٤٠؛ مر ١٢: ٢٩-٣١)، أي أنه يمكن اختصار الناموس كله في هاتين الوصيتين.

وتبعه **القديس بولس** الذي كتب إلى أهل رومية أن "**مَن أحب غيره فقد أكمل الناموس**"، وأن كل الوصايا "**هي مجموعة في هذه الكلمة: أن تُحِبَّ قريبك كنفسك... فالمحبة هي تكميل الناموس**" (رو ١٣: ٨-١٠).

+ وهو قد يُلخِّص الوصية في نموذج في كلمات قليلة مُركَّزة تصبح شعاراً للحياة ونوراً للطريق.

ففي حديثه لتلاميذه عن نقاوة القلب والبساطة والإيمان بغير حدود، وجَّه أنظارهم إلى **الأطفال** كنموذج: "**إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن**

---

(٦) الرب لا يشير بالطبع إلى أن الوصايا ثقيلة في ذاتها، فهو على العكس يقول إن: "**نيري هيِّن وحملي خفيف**" (مت ١١: ٣٠). ويؤكِّد القديس يوحنا في رسالته الأولى أنَّ "**وصاياه ليست ثقيلة**" (١يو ٥: ٣)، ذلك أن المؤمن لا يحفظ الوصية بمفرده ("لأنه لا يستطيع" - يو ١٥: ٥)؛ وإنما بالمسيح الذي يحيا فيه (غل ٢: ٢٠)، وبالروح القدس الساكن فيه (٢تي ١: ١٤)، فلا تصير هناك صعوبة في تنفيذها. أما ما هو ثقيل بالفعل، فهو هموم وأحمال الحياة الجسدية التي دعانا الرب أن نأتي بها إليه كي يحملها عنا فنرتاح (إش ٥٣: ٤؛ مت ١١: ٢٨).

تدخلوا ملكوت السموات" (مت ١٨: ٣)، "**دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات. الحق أقول لكم: مَن لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله**" (مر ١٠: ١٤،١٥؛ لو ١٨: ١٦،١٧).

كما قدَّم **نفسه** هو نموذجاً كاملاً للوداعة والاتضاع (وبالطبع لسائر الفضائل) قائلاً: "**تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم**" (مت ١١: ٢٩).

وهكذا كتب أيضاً **معلِّمنا بطرس**: "**فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته**" (١بط ٢: ٢١)، فغاية كل مؤمن في تنفيذ الوصايا أن يصير مثل المسيح (١يو ٣: ١٠).

الحق والرحمة والإيمان

من الواضح أن الرب اختار هذه الثلاثية مُعتبراً إيَّاها جوانب محورية في الناموس، ولا يقصد قصر الناموس عليها. فكل الوصايا هامة وضرورية للحياة، وإنما يكون إتمام هذه الوصايا الرئيسية مؤشِّراً أن المؤمن سائر في الطريق الروحي، فالذي يُنفِّذ الأصعب لابد أنه يُنفِّذ الأسهل.

وتوجد شواهد في الكتاب على أن تنفيذ إحدى الوصايا الرئيسية يُعتبر في حد ذاته تتميماً للناموس في هذا الجانب. ونذكر المثلين التاليين:

+ **فالقديس بولس** يطلب أنْ: "**احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمِّموا** fulfill **ناموس المسيح**" (غل ٦: ٢). فناموس المسيح لم ينحصر في هذه الوصية وحدها، ولكن تنفيذ أية وصية هو في حقيقته تنفيذ جزئي لناموس المسيح الذي يضم كل الوصايا.

+ ومن جانبه يقول **معلِّمنا يعقوب** أنَّ "**الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحِفظ الإنسان نفسه**

بلا دنس من العالم" (يع ١: ٢٧). فهل هذا هو كل شيء؟ وهل لأنه لم يذكر محبة الله أو الإيمان أو التوبة بشكل صريح (مع أنها متضمَّنة في الآية)، فتكون هذه ليست من قواعد الديانة النقية؟ فالآيات كلها تتكامل، والرسول يقصد هنا أن التديُّن الحقيقي يستلزم الطهارة وحياة التوبة بالنسبة للنفس وعمل الخير والرحمة بالنسبة للآخر.

ويكتب **معلِّمنا يعقوب** أيضاً: "**إن كان أحد لا يعثر في الكلام، فذاك رجل كامل قادر أن يُلجم كل الجسد أيضاً**" (يع ٣: ٢)، فمَن يستطيع أن يضبط لسانه قادر أن يضبط كل أهوائه وأن يصير كاملاً[٧].

ورغم تداخُل المعاني وتواصلها، **فالحق** ليس مستقلاً عن **الرحمة والإيمان**، **والرحمة** لا تنفصل عن **الإيمان والحق** (فبدون **الإيمان** لا يمكن إرضاء **الله الحق**، **والرحمة** بغير **الإيمان** يمكن أن تكون عملاً ميتاً من أعمال الذات)، كما أن **الإيمان** يتضمن **الحق والرحمة**.

ولكن يمكن مع هذا تناول دور كل من هذه الأعمدة الثلاثة في بناء العبادة، وبيان علاقاتها البينية، وكيف تستدعي سائر جوانب الحياة المسيحية التي صارت لنا بخلاص المسيح، كما تعرضه المقالات التالية.

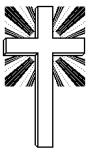

(٧) وبنفس القياس يقول **القديس يعقوب** إنَّ مَن عثر في إحدى الوصايا (العشر) يصير مُجرماً في الكل ومتعدِّياً على كل الناموس (يع ٢: ١٠،١١). فإذا كان إتمام وصية يشير إلى السير في الطريق الصحيح لإتمام سائر الوصايا، فإنَّ التعثُّر في وصية كبرى يشير إلى انتكاسة روحية وانحراف عن الطريق والحاجة إلى التوبة. والمستوى الروحي لا يُقاس بحصيلة جمع الحسنات والسيئات، فالنور والظلمة لا يجتمعان، وأية خطية تلوِّث الكيان كله ولابد أن تُستبعد. وكما يُنبِّه القديس بولس: "**أنَّ خميرة صغيرة تُخمِّر العجين كله. إذاً نقُّوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً**" (١كو ٥: ٦،٧). وهذا ينطبق على الفرد كما ينطبق على الجماعة الكنسية.

الحـــق

كلمة "**الحق**" في أصلها اليوناني تعني **العـــدل** Krisis (أو القضاء العادل أو الدينونة العادلة). ومذكورة Justice في الترجمة الإنجليزية NKJV والأرثوذكسية. وكثيراً مـــا تقترن الكلمتان في الكتاب، وهذا منطقي، فما قيمة حق لا يستهدف العدل، وما قيمة عدل لا يضمن الحق؟ وإذا كان للحق من قوة تحميه، فالعدل بدوره يضبط الحق من أن تتجاوز قوتُه حدودَها وإلاَّ تحوَّل إلى تسلُّط وغطرسة.

(**١**) في الأساس **الله** هو **الحق** ومصدره (إش ٣٠: ١٨؛ إر ١٠: ١٠؛ يـــو ٧: ٢٨؛ ٨: ٢٦)، وهذا ما قاله الرب عن نفسه (يو ١٤: ٦) وعن الروح القدس (يو ١٤: ١٧؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ١٣؛ ١يو ٥: ٦). ونحن عرفنا الحق بيـــسوع المسيح (يو ١: ١٤،١٧)، لأنه هو المُخـــبر والـــشاهد للحـــق (إش ٤٢: ١؛ يو ١٨: ١٧).

(**٢**) وكلمات الكتاب تشهد لله وطرقه وأحكامه **بالحق والعدل**:

"**العدل والحق** قاعدة كرسيك" (مز ٨٩: ١٤؛ ٩٧: ٢)؛

"أنت أجريت **حقّاً وعدلاً**" (مز ٩٩: ٤)؛

"أحكام الرب **حقٌّ عادلة** كلها" (مز ١٩: ٩)؛

"يقضي للمسكونة (يدين المسكونة) **بالعدل**" (مز ٩: ٨؛ ٩٦: ١٣؛ ٩٨: ٩؛ أع ١٧: ٣١)؛

"كل أعماله **حق** وطرقه **عدل**" (دا ٤: ٣٧)؛

"دينونتي **حق**" (يو ٨: ١٦)، "دينونتي **عادلة**" (يو ٥: ٣٠)؛

"ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب **الحق**" (رو ٢: ٢)؛

"الرب الديان **العادل**" (٢تي ٤: ٨)؛

"**حق وعادلة** هي أحكامك" (رؤ ١٦: ٧؛ ١٩: ٢).

والله يغفر خطايا التائبين التزاماً بوعده كإله عادل: "**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم**" (١يو ١: ٩).

(**٣**) **والحق** متجسِّد في كلمة الله ومن خلالها نعرف الحق ونثبت فيه، وكثيراً ما كان الرب يبدأ كلامه بالقول: "**الحق أقول لكم**"، مُنبِّهاً إلى أن ما يقوله هو الحق الجدير بالطاعة: "**شريعتك حق. وكل وصاياك حق. رأس كلامك حق**" (مز ١١٩: ١٤٢، ١٥١، ١٦٠)، "**كلامك هو حق**" (يو ١٧: ١٧)، "**مَن قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذب وليس الحق فيه**" (١يو ٢: ٤).

وفي طاعة الحق، أي في حفظ الوصية والخضوع لها، تطهيرٌ للنفس مما قد يعلق بها من شوائب (١بط ١: ٢٢).

(٤) **الحق** يتوافق مع الاستقامة والصدق وكل بر. فالخطية هي الضلال عن الحق (يع ٥: ١٩)، وتبنِّي الباطل والكذب، ومكتوب عن إبليس أنه "ليس فيه حق"، وأنه "متى تكلَّم بالكذب فإنما يتكلَّم مما له، لأنه كذَّاب وأبو الكذَّاب" (يو ٨: ٤٤)، ومثله الذين يحجزون الحق بالإثم (رو ١: ١٨). ومعرفة الحق تُحررنا وتنزع الخوف منا عندما نشهد له (يو ٨: ٣٢). وهكذا انطلق الآباء الأوائل يُبشِّرون العالم بالخلاص، ولم يبالوا بكل ألوان المقاومة ولا بمواجهة الموت الأليم. فالمستند إلى الحق لا يخاف ولا يكذب ولا يستطيع أن يكتم الشهادة: "**نحن لا يمكننا أن لا نتكلَّم بما رأينا وسمعنا** (وتعلَّمنا واختبرنا)" (أع ٤: ٢٠). وعلى نهجهم على مرِّ القرون قدَّم الآلاف حياتهم على مذبح الشهادة، كباراً وصغاراً، من أجل محبتهم في الملك المسيح الإله الحق.

(٥) المؤمن والحق

إذا كان الحق هو الله فأيضاً يكون كل ما يقوله، أي وصاياه وتعاليمه، وكل ما يفعله أي أحكامه وطرقه وتعاملاته في الكون وخاصة مع بني البشر الذين خلقهم على صورته. فماذا يعني التزام المؤمنين بالسلوك بالحق (٣يو: ٤) طاعةً لصوت الرب "**اجروا حقّاً وعدلاً**" (حز ٤٥: ٢٩؛ إر ٢٢: ٣)؟:

+ **الالتزام بوصية الله** التي هي حق وعدل، فهي تهب الإنسان الهداية ووضوح الرؤية وعدم الزلل لأنها نور السبيل (مز ١١٩: ١٠٥) والقلب. وروح الله (روح الحق) يهب المؤمن أن ينحاز لوصية الله ويحفظه من عصيانها، ففي ذلك افتقاد النور والدخول في الظلام وضياع الطريق "ولا يعلم إلى أين يذهب" (يو ١٢: ٣٥؛ ١يو ٢: ١١). وأُولى الوصايا وأعظمها هي **محبة الله** من كل القلب وكل النفس وكل القدرة وكل الفكر، **ومحبة القريب كالنفس** (لا ١٩: ١٨؛ تث ٦: ٥؛ مت ٢٢: ٣٧-٣٩؛ مر ١٢: ٢٩-٣١؛ لو ١٠:

٢٧)، واعتبار "**أنَّ محبة العالم عداوة لله**" (يع ٤: ٤). **والمؤمن الحقيقي مُمارِس المحبة** "لا يفرح بالإثم بل يفرح بالحق" (١كو ١٣: ٦) **وسيادته وانتصاره.**

+ أن يصير الحق هو الشاهد والفيصل والقاعدة في التعامل مع الآخرين، والإذعان له أي إلزام النفس به قبل الغير. ونحن هنا نحتاج إلى قوة الله ونعمته كي تُجرِّد المؤمن من الانحياز لنفسه ومجاملتها على حساب الحق، وإعطاء كل ذي حق حقه حتى مع خسارته هو، وإنصاف الضعفاء والمظلومين والمرؤوسين، والتأسُّف والاعتذار إن كان مخطئاً، وأن يغفر ويُسامح عند خطأ الآخر. على أنه ليس مُجبراً على التنازل عن حقِّه إذا كان الآخر متعسِّفاً متجبِّراً وظالماً، فهذا يستحق أن يؤدَّب ليعود إلى جادة الصواب. فالقانون هو أيضاً من الحق، وجُعل في المجتمعات لكي ينال الناس حقوقهم لا أن تُغتصب بواسطة الآخرين الأقوياء، وهؤلاء سيطالهم العقاب من أجل تقويمهم.

والرب أشار إلى القانون والعقاب كوسيلة في العالم لضمان الحقوق: "**كُن مُراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق** (تنشدان حلاً ودياً)، **لئلا يُسلِّمك الخصم إلى القاضي، ويُسلِّمك القاضي إلى الشرطي، فتُلقَى في السجن. الحق أقول لك: لا تخرج من هناك حتى توفِي الفلس الأخير**" (مت ٥: ٢٥،٢٦).

+ أن يحكم الحق حركة الحواس، ونشاط الفكر والانفعالات. وبمعونة النعمة ينضبط اللسان (يع ٣: ٢)، وتُقتَنَى العين البسيطة (مت ٦: ٢٢)، ويُرفض الشر والنميمة، ويُحتوَى الغضب (وليس الغيرة على الحق) (يع ١: ١٩،٢٠)، ويُخضع الفكر لحراسة الروح (١كو ٢: ١٦)، وبالتوبة تتم تنقيته أولاً بأول مما يتسلل إليه من العالم المتربِّص بنا.

+ رفض الغيرة الذاتية والتحزُّب، فهما ضد الحق، والباب المؤدِّي للانقسام والخراب: "**إن كان لكم غيرة مُرَّة وتحزُّب في قلوبكم، فلا تفتخروا**

وتكذبوا على الحق... لأنه حيث الغيرة والتحزُّب هناك التشويش (فقدان السلام) **وكل أمر رديء**" (يع ٣: ١٤،١٦).

الانصياع للحق وطاعته هو إذاً علامة ساطعة عن صحوة روحية ونصرة داخلية، وتجاوزه يكشف عن حياة تتخبط في الظلام. ولهؤلاء الذين يتهاربون من الإذعان للحق يأتيهم صوت الإنقاذ: "**اذكر من أين سقطت وتُب، واعمل الأعمال الأولى**" (رؤ ٢: ٥). فبالتوبة يعودون إلى طريق الحق والتمتُّع من جديد بالحياة في النور.

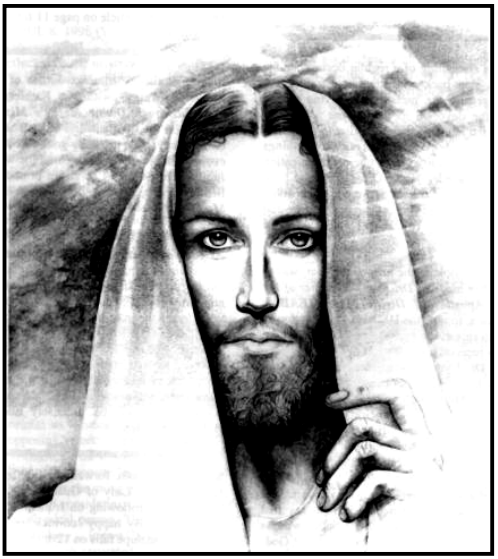

"أنا هو الطريق والحق والحياة " (يو ١٤:٦)

الرحمـــــة

الرحمة Eleos هي أحد أوجه المحبة الإلهية التي هي صفة الله العُظمـــى **"الله محبة"** (١يو ٤: ٨،١٦)، وتقترن بها الرأفة والشفقة واللطف والحنان واتـــساع القلب والقدرة على الغفران.

والله **"غني في الرحمة"** (أف ٢: ٤)، **"رحمة الله هي كل يوم"** (مز ٥٢: ١)، كما في محبته. وهو يقول للإنسان: **"محبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة"** (إر ٣١: ٣)، **ورحمته هي إلى الأبد** (مز ١٠٧: ١؛ ١١٨: ١-٥؛ وشواهد كثيرة أخرى)، و**"إلى جيل الأجيال للذين يتقونه"** (لو ١: ٥٠)، كما فاهت أُم النور الحقيقي مريم.

والله يوصَف بأنه **"أبو الرأفة وإله كل تعزية"** (٢كو ١: ٣)، **"إله رحيم ورؤوف**، بطيء الغضب، وكثير الإحسان والوفاء" (خر ٣٤: ٦)، "(غفور وحنَّان) **رحيم**، طويل الروح، **وكثير الرحمة**" (مز ١٠٣: ٨؛ نح ٩: ١٧)، **"كثير الرأفة ورؤوف"** (يع ٥: ١١)؛ ولا وجه للمقارنة بين رحمته ورحمة

البشر "وقالت صهيون قد تركني الرب، وسيِّدي نسيني. **هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساكِ. هوذا على كفَّيَّ نقشتك. أسوارك أمامي دائماً**" (إش ٤٩: ١٤-١٦).

+ **ورحمة الله** لا تتعارض مع **حقِّه وعدله**. فرحمته عادلة كما أن عدله رحيم؛ ومع هذا ففي كثير من الآيات تسبق **الرحمةُ** الحقَّ (العدل):

"**الرحمة والحق معك**" (٢صم ١٢: ٢٠)، "**الرحمة والحق التقيا**" (مز ٨٥: ١٠)، "**كل سُبل الرب رحمة وحق**" (مز ٢٥: ١٠).

+ والرب ذكر **الرحمة** تتوسط الحق والإيمان، فهي تحفظ الحق من القسوة والتصلُّب، كما تحفظ الإيمان من التعالي والانعزال والانكفاء على الذات والانزلاق إلى بغضة الآخر المختلف.

+ **ورحمة الرب وأناته الجزيلة هي رجاء الخطاة الراجعين إلى الله:**

"**حي أنا، يقول الرب: إني لا أُسرُّ بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا**" (حز ٣٣: ١١)؛

"**لا يُحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يُجازنا حسب آثامنا، لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبُعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا. كما يترأَّف الأب على البنين يترأَّف الرب على خائفيه، لأنه يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن**" (مز ١٠٣: ٩-١٤)؛

"**مَن هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة. يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرح في البحر جميع خطاياهم**" (ميخا ٧: ١٨،١٩)؛

"**ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتُب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يُكثر الغفران**" (إش ٥٥: ٧)؛

"**ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ**" (مز ٥١: ١)؛

"**رحمتك أفضل من الحياة**" (مز ٦٣: ٣)؛

"**فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان**" (٢صم: ٢٤: ١٤)؛

بل إن الرب الرحيم هو الذي يهب التوبة: "**توبني فأتوب، لأنك أنت الرب إلهي**" (إر ٣١: ١٨).

الرب يسوع نموذج الرحمة

+ فهو **شريك المتألمين والمتضايقين**، ومَن قدَّم حياته من أجل خلاصهم:

"ولما رأى الجموع **تحنَّن عليهم**، إذ كانوا مترعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها" (مت ٩: ٣٦)، "فلما خرج يسوع أبصر جمعاً كثيراً، **فتحنَّن عليهم**، وشفى مرضاهم" (مت ١٤: ١٤)، "وأما يسوع فدعا تلاميذه وقال: **إني أشفق على الجمع**، لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون، ولستُ أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق" (مت ١٥: ٣٢)، "فلما رآها (الأرملة التي فقدت وحيدها) **تحنَّن عليها، وقال لها: لا تبكي**. ثم تقدَّم ولمس النعش..." (لو ٧: ١٣،١٤).

+ وهو **صديق الغرباء والمنبوذين**:

فيستجيب سريعاً لنداء **قائد المئة** لشفاء غلامه (مت ٨: ١٣؛ لو ٧: ١٠)، ويمتدح إيمان **الكنعانية** المتشبثة به لشفاء ابنتها (مت ١٢: ٢٨)، ويتسع قلبه **للسامرية** (يو ٤: ١٨)، ويلمس **الأبرص** ويشفيه (لو ٥: ١٣)، ويُشير بالتقدير **للسامري الأبرص** الذي شفاه مع تسعة آخرين، وجاء وحده ليشكره (لو ١٧: ١٨). وكان نداء المحتاجين له: "**ارحمني يا سيِّد**" (مت ١٥: ٢٢)، "**يا سيِّد ارحم**" (كيريي إيليسون) (مت ١٧: ١٥)، "**ارحمنا يا سيد**" (مت ٩: ٢٧؛ مت ٢٠: ٣٠،٣١).

+ وهو **المُحب للعشَّارين والخطاة** (مت ١١: ١٩؛ لو ٧: ٣٤):

يدخل بيوتهم ويأكل معهم ويسعى لخلاصهم، غافراً خطايا التائبين: "يا زكَّا، أسرع وانزل، **لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك**" (لو ١٩: ٥)؛ وبالتالي "كان جميع العشَّارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه" (لو ١٥: ١)؛ وها هو **القديس بولس**، مُستعيداً مسيرته كواحد منهم، يشهد: "أنا الذي كنتُ قبلاً مجدِّفاً ومضطهِداً ومُفترياً، **ولكنني رُحمتُ لأني فعلتُ بجهلٍ في عدم إيمان**" (١تي ١: ١٣). وحتى مَن يسير نصف الطريق **كالشاب الغني** الساعي للحياة الأبدية "**نظر إليه يسوع وأحبه**، وقال له: يعوزك شيء واحد. اذهب بِعْ كل ما لك... فاغتمَّ على القول، ومضى حزيناً" (مر ١٠: ١٧-٢٢)؛ وهو دائماً في انتظار عودة الخاطئ الشارد "وإذ كان لم يَزَل بعيداً (الابن الضال) رآه أبوه، **فتحنَّن وركض ووقع على عنقه وقبَّله**" (لو ١٥: ٢٠). ومن أجل خلاص الخطاة قدَّم الرب حياته على الصليب: "مِن ثمَّ كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كل شيء، **لكي يكون رحيماً رئيس كهنة أميناً في ما لله، حتى يُكفِّر خطايا الشعب، لأنه في ما هو قد تألَّم مُجرَّباً يقدر أن يُعين المُجرَّبين**" (عب ١٢: ١٧،١٨).

المؤمن والرحمة

الرب جعل **الرحمة**، وجه المحبة اللامع، تتوسَّط **الحق والإيمان**. فهي تتصل بالاثنين وتصل بينهما. والقديس بولس في ثلاثيته: **الإيمان والرجاء والمحبة**، يرى المحبة الفضيلة العُظمى (١كو ١٣: ١٣)، مُصدِّقاً على قول الرب عن وصية المحبة إنها أعظم الوصايا (تث ٦: ٥؛ لا ١٩: ١٨؛ مت ٢٢: ٣٧-٣٩؛ مر ١٢: ٣٠،٣١؛ لو ١٠: ٢٧).

+ **وصايا الكتاب للبشر كثيرة بالرحمة على إخوتهم** تشبُّهاً بالآب السماوي، وهي تجعل تمتُّعهم بالرحمة والغفران في الدينونة مرتبطاً بغفرانهم ورحمتهم للآخرين:

"**لا تدع الرحمة والحق يتركانك**. تقلَّدهما على عنقك. اكتبهما على لوح قلبك، فتجد نعمة وفطنة صالحة في أعين الله والناس" (أم ٣: ٣،٤)؛

"**احفظ الحق والرحمة**، وانتظر إلهك دائماً" (هو ١٢: ٦)؛

"**فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم**" (لو ٦: ٣٦)؛

"**طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون**" (مت ٥: ٧)؛

"**لأن الحُكْم هو بلا رحمة لِمَن لم يعمل رحمة، والرحمة تفتخر على الحُكْم**" (يع ٢: ١٣)

+ الرحمة تحتوى الشفقة واللطف والرأفة والحنان خاصة إزاء الضعفاء:

"والنهاية كونوا... **ذوي محبة أخوية، مُشفقين لطفاء**" (١بط: ٨)؛

"بهذا قد عرفنا المحبة، أن ذاك (الرب يسوع) وضع نفسه لأجلنا، **فنحن يجب أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة**" (١يو ٣: ١٦)؛

"**كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين، كما سامحكم الله أيضاً في المسيح**" (أف ٤: ٣٢)؛

"**فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نُرضي أنفسنا. فليُرضِ كل واحد منَّا قريبه للخير لأجل البنيان، لأن المسيح أيضاً لم يُرضِ نفسه**" (رو ١٥: ١)؛

"**شجِّعوا صغار النفوس. أسندوا الضعفاء. تأنّوا على الجميع**" (١تس ٥: ١٤)؛

"**مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمور العالية، بل مُنقادين إلى المتضعين**" (رو ١٢: ١٦)؛

"**محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً، إن كان لأحد على أحد شكوى. كما غفر لكم المسيح، هكذا اغفروا أنتم أيضاً**" (كو ٣:

.(١٣

+ الرحمة تقتضي مشاركة المتألِّمين والمُجرَّبين:

"بكاءً مع الباكين" (رو ١٢: ١٥)؛

"اذكروا المُقيَّدين كأنكم مُقيَّدون معهم، والمُذلِّين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد" (عب ١٣: ٣).

+ الرحمة تضبط الغضب والانتقام، وتساند التسامح، وطرح الإساءة، والتعفُّف عن الإدانة، وعدم التشدُّد والقسوة مع المخطئين؛ بل الأخذ بيدهم وإنقاذهم، فكلنا تحت الآلام:

"لا تنتقموا لأنفسكم، أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب... فإن جاع عدوك أطعمه، وإن عطش فاسْقِه... لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشر بالخير" (رو ١٢: ١٩-٢١)؛

"انظروا أن لا يُجازي أحدٌ أحداً عن شرٍّ بشر. بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع" (١تس ٥: ١٥)؛

"فلا نُحاكم أيضاً بعضنا بعضاً" (رو ١٤: ١٣)؛

"لا تدينوا لكي لا تُدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون" (مت ٧: ١)؛

"مَن أنت الذي تدين (عبد) غيرك، هو لمولاه يثبت أو يسقط" (رو ١٤: ٤؛ يع ٤: ١٢)؛

"أيها الإخوة، إذا انسبق إنسان فأُخذ في زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضاً" (غل ٦: ١)[1].

---

(١) كان القديس موسى الأسود دائماً يذكر ماضيه المظلم الذي سامحه به المخلِّص، فكان يأبى أن يُشارك في محاكمة أحد من الإخوة.

وفي مَثَل العبد الرديء الذي سامحه سيده، ولكن العبد لم يرحم رفيقه المدين له وألقاه في السجن، فدانه سيده قائلاً: "أفما كان ينبغي أن ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا" (مت ١٨: ٣٢). وختم الرب المثل قائلاً للكل: **"فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته"** (مت ١٨: ٣٥).

+ الرحمة قرين محبة القريب، وهي تنعكس في عمل الخير وخدمة الفقير والمسكين التي تُفرح قلب الله أخي الفقراء والمحتاجين، وتكشف عن تقوى المؤمن:

"مَن يرحم الفقير يُقرض الرب (!) وعن معروفه يُجازيه" (أم ١٩: ١٧)؛

"أليس هذا صوماً أختاره حلَّ قيود الشر... أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تُدخِل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك، حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك... حينئذ تدعو فيُجيب الرب... ويقودك الرب على الدوام..." (إش ٥٨: ٦-١١)؛

"وأما مَن كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه، فكيف تثبت محبة الله فيه. يا أولادي، لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق" (١يو ٣: ١٦-١٨).

+ في العلاقات الإنسانية، الرحمة تفترض الترفُّع عن التشهير بالمخطئ أو اغتيابه واتخاذه مادة للكلام، وعدم الضغط على المهزوم لتحطيمه، والتوقُّف عن حصار المعتذر الشاعر بخطئه، وإنما مسامحته لئلا يتصلَّف وتأخذه العزَّة بالإثم ويتراجع عن الحق.

في الرحمة بالضعفاء، والإحسان للمحتاجين، ومشاركة المتألِّمين، والشفقة على الساقطين، ومسامحة المسيئين؛ نحن نتشبَّه بالسيِّد إله المحبة. فهل هناك نعمة

أعظم من أن نكون مثله؟!

رحمة لا ذبيحة

أولاً: عن الذبيحة

عندما أخطأ آدم وحواء، واكتشفا عُريهما، خاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين. ولكن الرب صنع لهما **أقمصة من جلد** وألبسهما ليستر عريهما (تك ٣: ٧،٢١). وكانت هذه إشارة مستترة إلى أُولى الذبائح في حياة البشر والتي هيَّأها الله بنفسه، وختمها في ملء الزمان بذبيحة ابنه الوحيد، فداءً وخلاصاً لكل الخطاة من أولاد آدم وإلى آخر الدهور.

+ وقد عرف الآباء **الذبيحة** قبل الناموس. ويذكر الكتاب أن **هابيل** ابن آدم قدَّم من أبكار غنمه ومن سمانها قرباناً للرب (تك ٤: ٤)، وأن **نوحاً** بعد النجاة من الطوفان بنى **مذبحاً للرب**: "وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، **وأصعد محرقات على المذبح. فتنسَّم الرب رائحة الرضا**" (تك ٨: ٢٠،٢١).

+ كما أن **إبراهيم (أبرام)** في ارتحاله من أور الكلدانيين إلى كنعان "بنى هناك **مذبحاً للرب** الذي ظهر له... ودعا باسم الرب" (تك ١٢: ٧،٨). وبعد عودته من مصر وسكنه في كنعان "عند بلوطات ممرا التي في حبرون"، بنى أيضاً **مذبحاً للرب** (تك ١٣: ١٨)،

+ ومكتوب أن **أيوب** كان يُصعد **محرقات** على عدد أولاده كلهم. وكان يقول: **"ربما أخطأ بنيَّ وجدَّفوا على الله في قلوبهم"** (أي ١: ٥).

+ ولما ظهر الرب **لإسحق** في بئر سبع وباركه من أجل إبراهيم "بنى هناك **مذبحاً**، ودعا باسم الرب" (تك ٢٦: ٢٥).

+ وبالمثل فإن **يعقوب** أقام **مذبحاً** في شكيم (تك ٣٣: ٢٠). وفي بيت إيل، حيث رأى يعقوب – وهو هارب من وجه أخيه عيسو – السُّلَّم المنتصب حتى السماء، وتلقَّى وعد الله بالبركة (تك ٢٨: ١٢-١٥)، صنع **مذبحاً لله** طاعة لأمر الله (تك ٣٥: ١-٣، ٧).

+ وبعد النصرة في حرب عماليق، **بنى موسى مذبحاً للرب** (خر ١٧: ١٥).

+ بعد **ذبائح الشكر والتسبيح** هذه، جاءت **شريعة الذبائح** الكاملة في **الناموس** الذي تسلَّمه موسى من الله، وضمنها **ذبيحة المحرقة** اليومية (لا ٦: ٨-١٣)، **وذبيحة السلامة** (الشكر) (لا ٣،٧)، **وذبيحتي الخطية والإثم** (لا ٥،٦،٧،١٤) اللتين كان يُقدِّمهما الخاطئ التائب طلباً للمغفرة، وكان هناك **مذبح في خيمة الاجتماع** المتنقلة، إلى أن صار هناك **مذبح دائم في هيكل أورشليم**.

ثانياً: ضياع الهدف

+ بمضيّ الأيام وباختلاط شعب الله بسائر الشعوب، الذين كانوا هم أيضاً يُقدِّمون ذبائح لآلهتهم، فَقَدَ تقديم الذبائح هدفه، وافتقد الشعب روح التوبة

والتذلُّل، وتحولت الذبائح إلى فريضة شكلية خالية من الحب والخشوع، وصارت عملاً آلياً جسدياً يستر به الأشرار انحرافهم وخطيتهم، وبدأ الوحي يبعث الرسائل برفض ذبائح الخطاة غير التائبين، مُعلناً كراهيته للرياء وازدواج الحياة، وداعياً إلى التوبة:

"**بذبيحة وتقدمة لم تُسرَّ**" (مز ٤٠: ٦؛ ٥١: ١٦)؛

"**ذبيحة وقرباناً لم تُـرِد... بمحرقـات وذبـائح للخطيـة لم تُـسرَّ**" (عب ١٠: ٥،٦)؛

"**ذبيحة الأشرار مكرهة للرب**" (أم ١٥: ٨؛ ٢١: ٢٧)؛

"**لماذا لي كثرة ذبائحكم، يقول الرب. اتَّخَمْتُ من محرقات كباش وشحم مُسمَّنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسَرُّ... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهةٌ لي... اغتسلوا تنقَّوا، اعزلوا شرَّ أفعالكم من أمام عينيَّ، كُفُّوا عن فعل الشر. تعلَّموا فعل الخير. اطلبوا الحق. انصفوا المظلوم. اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة**" (إش ١: ١١،١٣، ١٦،١٧)؛

"**محرقاتكم غير مقبولة، وذبائحكم لا تلذُّ لي**" (إر ٦: ٢٠)؛

"**بغضتُ كرهتُ أعيادكم، ولستُ ألتذُّ باعتكافاتكم** (الشكلية السطحية). **إني إذا قدَّمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مُسمَّناتكم لا ألتفت إليها**" (عا ٥: ٢١،٢٢).

+ وقد أدرك كثير من قديسي العهد القديم هذه الحقائق مُبكِّراً، فأدانوا رياء العبادة وأخذوا يُنادون بانتهاج روح الوصية لا حرفها، وأنَّ **الذبيحة الروحية** مع التوبة أفضل من كل المُسمَّنات المُقدَّمة من الأشرار، ولابد أن تأتي أولاً الروح المنكسرة، وبعدها تُقدَّم الذبيحة، فيقبلها الله.

فيقول **صموئيل النبي** للملك شاول الذي عصى أمر الله واستبقى أخيار الغنم والبقر من عماليق ليُقدِّمها ذبائح لله: "**هل مسرة الرب بالمحرقات**

والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من لحم الكباش" (١صم ١٥: ٢٢).

ويقول داود النبي في مزاميره: **"لأنك لا تُسرُّ بذبيحة، وإلاَّ فكنتُ أقدِّمها. بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره"** (مز ٥١: ١٦-١٧)؛ **"أوفي ذبائح شكر لك"** (مز ٥٦: ١٢)؛ **"فليحمدوا الرب على رحمته... وليذبحوا له ذبائح الحمد"** (مز ١٠٧: ٢١،٢٢؛ ١١٦: ١٧)؛ **"لتستقم صلاتي كالبخور قدَّامك. ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية"** (مز ١٤١: ٢).

ويقول سليمان الحكيم: **"فعل العدل والحق أفضل عند الرب من الذبيحة** (غير المقترنة بمحبة الله)" (أم ٢١: ٣)؛ **"الاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهَّال"** (جا ٥: ١).

+ ثم كان إعلان الرب على لسان هوشع النبي في ختام العهد القديم: **"إني أريد رحمة لا ذبيحة،** ومعرفة الله أكثر من محرقات" (هو ٦: ٦)، وهو ما صاغه ميخا النبي فيما بعد كما يلي: «بِمَ أتقدَّم إلى الرب، وأنحني للإله العلي؟ **هل أتقدَّم بمحرقات بعجول... هل يُسرُّ الربُّ بألوف الكباش... قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب، إلاَّ أن تصنع الحق، وتُحِبَّ الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك"** (مي ٦: ٦-٨).

ثالثاً: المسيح يُجدِّد النداء "إني أريد رحمة لا ذبيحة"

+ جاء المسيح، الذبيحة الكاملة، الذي **"بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً"** (عب ٩: ١٢)، ووجد كيف استحال تقديم الذبائح إلى ممارسات شكلية، وكيف غلب الرياء والزيف على كل ألوان العبادة؛ فبدأ في تصحيح الأوضاع صادماً اليهود في هذه الممارسة الرئيسية والتي تُضفي أهمية على الكهنة، والتي يفيد من ورائها التجَّار والباعة، وتحوَّل بها بيت

الله إلى مغارة للصوص (مت٢١: ١٣؛ مر١١: ١٧؛ لو١٩: ٤٦؛ يو ٢: ١٦). من هنا أعاد الرب ذِكر هذه الآية: "**إني أريد رحمة لا ذبيحة**"، وذلك في مناسبتين:

+ **الأولى:** عندما احتج الفرِّيسيون على الرب أنه يأكل مع العشَّارين والخطاة، فلفت نظرهم إلى احتياج هؤلاء له كاحتياج المريض للطبيب، فهو لم يأتِ للأبرار في أعين أنفسهم الذين لا يشعرون بحاجتهم إلى مخلِّص، وإنما إلى هؤلاء المرضى روحياً الذين يتوقون إلى خروجهم من سجن الخطية (مت ٩: ١٠-١٣؛ مر ٢: ١٥-١٧؛ لو ٥: ٢٩-٣٢).

والرب قصد بذِكر هذه الآية هنا أنه أفضل أمام الله من تقديم ذبيحة بصورة آلية، أن نُقدِّم محبة لشخص محتاج، وأن نُشفق على الخطاة، ونفرح بتوبتهم وعودتهم إلى الله؛ لا أن نتعالى عليهم ونحتقرهم وندينهم.

+ والمناسبة **الثانية:** عندما آخَذ الفرِّيسيون تلاميذ الرب أنهم يقطفون السنابل ويأكلونها في السبت، فذكر لهم مثالين من العهد القديم: **الأول:** ما فعله داود حين جاع هو والذين معه، فدخل بيت الله - في أيام أبيأثار رئيس الكهنة - وأكلوا خبز التقدمة الذي لم يحل أكله إلاَّ للكهنة (خر ٢٩: ٣٢؛ لا ٢٤: ٩؛ ١صم ٢١: ٦)؛ **والثاني:** إن الكهنة بخدمتهم في السبت في الهيكل يدنِّسون السبت (حرفياً) بينما هم أبرياء. وختم بالقول: "**فلو علمتم ما هو، إني أريد رحمة لا ذبيحة، لما حكمتم على الأبرياء**" (أي لما أدنتم تلاميذي، وهم عملوا ما عملوه بحُسن نية، ولوجودي في وسطهم)، لأن "**السبت إنما جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت**"، وأن **المسيح** "**أعظم من الهيكل**"، و"**هو رب السبت أيضاً**" (مت ١٢: ١-٨؛ مر ٢: ٢٣-٢٨؛ لو ٦: ١-٥).

وقصد الرب بذِكر الآية هذه المرة، عدم التمسُّك بحرفية الوصية وظاهرها،

وإنما بروحها "لأن **الحرف يقتل، ولكن الروح يُحيي**" (٢كو ٣: ٦). فتقديس السبت لا يعني الكف عن فعل أي شيء، وإنما تخصيصه للرب الخالق واهب الحياة وعبادته: "**لتعلموا أني أنا الرب الذي يُقدِّسكم**" (خر ٣١: ١٣)، إضافة إلى عمل الخير والرحمة. ولا يمكن للوصية – أية وصية – أن تتناقض مع المحبة. **ففعل الخير في السبوت** (مت ١٢: ١٢)، **يتفق مع ذِكر السبت وتقديسه** (تك ٢: ٣؛ خر ٢٠: ٨). فالممنوع في السبت هو الانشغال عن الله وعبادته بالأعمال اليومية الجسدية والمادية [بل إن الكتاب يُبارك على كل عمل جسدي طالما يؤدَّى باسم الله: "**فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله**" (١كو ١٠: ٣١)].

+ وقد تكرر انتقاد الفرِّيسيين للرب كثيراً على ما رأوْه تجاوزاً لوصية تقديس السبت عندما صنع الرب عدداً من معجزاته يوم السبت[١]، وكانوا يُراقبونه كي يشتكوا عليه (مر ٣: ٢). وكان الرب يردُّ عليهم متسائلاً: "**هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر؟ تخليص نفس أو إهلاكها؟ أيُّ إنسان منكم يكون له خروف واحد** (أو حمار أو ثور) **فإن سقط هذا في حفرة** (أو بئر)، **أفما يمسكه ويُقيمه** (وينتشله) **حالاً في يوم السبت؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف**" (مت ١٢: ١١،١٢؛ مر ٣: ٤؛ لو ٦: ٩)؛ "**أَلاَ يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه، وهذه** (يقصد المرأة المنحنية التي شفاها، فاستقامت) **ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان**

---

(١) مـــن هذه المعجزات:
+ شفاء ذي اليد اليابسة (مت ١٢: ٩-١٤؛ مر ٣: ١-٦؛ لو ٦: ٦-١٠)؛
+ شفاء المرأة المنحنية بعد ١٨ سنة (لو ١٣: ١٠-١٧)؛
+ شفاء رجل مستسقٍ (لو ١٤: ١-٦)؛
+ شفاء مريض بركة بيت حسدا بعد ٣٨ سنة (يو ٥: ١-١٨)؛
+ شفاء المولود أعمى منذ ولادته (يو ٩: ١-٣٨).

ثماني عشرة سنة، أَمَا كان ينبغي أن تُحلَّ من هذا الرباط في يوم السبت" (لو ١٣: ١٥،١٦).

وكان يقول أيضاً: **"إن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا يُنقض ناموس موسى** (رغم أن الختان هو من الآباء قبل موسى)، **أفتسخطون عليَّ لأني شفيت إنساناً كله في السبت. لا تحكموا حسب الظاهر** (حكماً متعجِّلاً سطحياً)، **بل احكموا حكماً عادلاً"** (يو ٧: ٢٣،٢٤).

فوصية الله في الأساس جاءت لخير الإنسان، لا لسلب حريته أو عقابه أو بقصد التضييق عليه: **"إنما السبت جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت"** (مر ٣: ٢٧).

+ شيئاً فشيئاً غاب الهدف، وصار تقديس السبت أمراً آلياً قاهراً، يُراقب تنفيذه الفرِّيسيون والكهنة والناموسيون، وحُدِّدت فيه مسافات السير والسفر (سفر السبت حوالي كيلومتر)، ووزن ما يُحمَل في هذا اليوم (وزن تينة)، وحُرِّمت كل الأعمال بصورة صارمة حتى ما كان منها من أعمال الرحمة؛ فأدَّى تنفيذ الوصية بهذه الصورة الحرفية في النهاية إلى كسرها بالفعل.

رابعاً: اتساع معنى الذبائح في العهد الجديد

+ كما سبق ذِكره، أدرك قدِّيسو **العهد القديم** أن هناك ذبائح أخرى (روحية) غير تلك التي فقدت جدواها لخلوِّها من الانسحاق والحب، يشتمها الله كأفضل الذبائح. فهناك **ذبائح الشكر** (مز ٥٦: ٣)، **والحمد** (مز ١٠٧: ١١،٢٢؛ ١١٦: ١٧)، **ورفع اليدين** (مز ١٤١: ٢).

+ وفي **العهد الجديد**، اتسعت دائرة **الذبائح الروحية لتشمل الجسد كله: "ذبيحة حية مقدسة** (صوماً وصلاةً وانسكاباً وخدمة وتعب محبة) **مرضية عند الله عبادتكم العقلية"** (رو ١٢: ١)؛

أو أن تصير النفس بذاتها **هيكلاً** حيّاً **"وكهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية**

مقبولة (كل ألوان العبادة والتسبيح) **عند الله بيسوع المسيح**" (١بط ٢: ٥)؛ "فلنُقدِّم به (أي بالمسيح) كل حين **ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه**" (عب ١٣: ١٥).

+ كما أن فعل الخير وكل أعمال الرحمة والتقدمات للكنيسة، هي **ذبائح مقبولة** على أن تقترن بالإيمان القلبي بشخص المخلِّص:

"ولكن **لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يُسرُّ الله**" (عب ١٣: ١٦)؛

"قد امتلأتُ، إذ قبلتُ من أَبَفْرُودِتُس الأشياء (العطايا) التي من عندكم **نسيم رائحة طيبة، ذبيحة مقبولة مرضية عند الله**" (في ٤: ١٨)؛

والقديس بولس يعتبر **إيمان الذين بشَّرهم بالمسيح "الذبيحة التي ينسكب عليها ويفتخر بها ويفرح في يوم المسيح**" (في ٢: ١٧).

خامساً: تطبيقات على مبدأ "رحمة لا ذبيحة"

(**١**) **الله يضع الرحمة قبل الذبيحة**، لأنه في الأساس يريد **الرحمة** (القلب) لا **الذبيحة** (التقدمة)، أو أن تكون **الذبيحة** تعبيراً عن **الرحمة** والحب والتقوى، وبالتالي فهو يرفض **الذبيحة** بدون الرحمة.

الذبيحة كانت تُقدَّم ككفَّارة عن الخطية لطلب الغفران. ولكن كان يلزم معها وقبلها وأهم منها **الرحمة** والمشاعر القلبية (التوبة والندم والتأسُّف). **الرحمة** تحتوي **المحبة**: محبة الله وتوقيره، ومحبة القريب (كل البشر، حتى الأعداء)، والإحسان للمسكين واليتيم والغريب والضيف، والشفقة على المنحرفين وعدم إدانتهم وتقديم العون لهم لإنقاذهم، **والإيمان** أي أن الله يصير الكل في الكل، الأول والآخِر، غاية كل عمل وخدمة ووسيلتهما، فبدونه لن نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٥).

(**٢**) العلاقة بين **الرحمة والذبيحة**، كالعلاقة بين **الإيمان والأعمال** في أحد

جوانبها. فإذا كانت **الذبيحة** رمزاً **للأعمال** (المفترض أن تنبع من **إيمان** حيٍّ مُثمر)، تكون **الرحمة** رمزاً لهذا **الإيمان** الذي يطلبه الله قبل **الأعمال**. **فالإيمان** هو الأساس، **والأعمال** بغير إيمان لا شيء. فكأن الله وهو يقول: "**إني أُريد رحمة لا ذبيحة**"، يعني: **إني أُريد إيماناً عاملاً لا أعمالاً بغير إيمان، أو أُريد أعمالاً تبرهن على إيمان حي، أو ذبيحة صلاة أو شُكر، أو فعلاً للخير، أو توبة تكشف عن محبة الله وانسكاب أمامه وندم عن الشر ومحبة للقريب كالنفس.**

(**٣**) يمكن النظر إلى **الرحمة** على أنها رمز لِمَا هو **روحي، والذبيحة** – في حدِّ ذاتها – رمز لِمَا هو **جسدي مادي**، والتي تستمد قيمتها من الروح التي تُقدَّم بها: المحبة الشاملة والتوبة والندم والخشوع والاتضاع. "**الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً**" (يو ٦: ٦٣)، فما هو **روحي** يمكن أن يقف وحده؛ ولكن ما هو **جسدي** لا يقدر أن يقف وحده، ولكن يستمد قيمته وفاعليته بالتحامه **بالروح**. بالتالي، **فالرحمة** يمكن أن تُقبل بغير **ذبيحة**، ولكن **الذبيحة** تتطلَّب **الرحمة** والسلوك بالإيمان لتحوز القبول.

(**٤**) كما يمكن النظر أيضاً إلى **الرحمة** على أنها رمز **للكَيف، والذبيحة** رمز **للكم**. الكم لا يهم إلاَّ لو كان مستنداً إلى فعل روحي حقيقي. الرب، الذي كان يجلس تجاه الخزانة ناظراً "**كيف** يُلقي الجمع نحاساً في الخزانة" (مر١٢: ٤١)، قال إن ما ألقته "الأرملة الفقيرة" في الخزانة (وكان فلسَيْن) هو "**أكثر من الجميع**"، لأنها ألقت من إعوازها "**كل ما عندها، كل معيشتها**"؛ أما الأغنياء فمن فضلتهم ألقوا في قرابين الله (مر ١٢: ٤١-٤٤؛ لو ٢١: ١-٤). فحُب الأرملة لله كان عظيماً، وثقله أعطى وزناً كبيراً للقليل الذي أعطته فقد كان كل ما عندها. عطاء الأغنياء سهل لأنهم يملكون الكثير، ورغم أن عطاءهم كان كبيراً بالمقارنة، ولكن كان يتطلَّب الاتضاع والإيمان والحب

وحياة التقوى لتصير له قيمة أمام الله.

سادساً: الرحمة والذبيحة في حياة المؤمنين

(١) الله يُندِّد بالعبادة الشكلية الآلية وانقسام القلب

في إدانته للرياء والسطحية وعبادة الشفاه، يقول الرب عن إسرائيل ولهم: "**(يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويُكرمني بشفتيه) هذا الشعب يُكرمني بشفتيه، أما قلبه فمبتعد عني بعيداً**" (إش ٢٩: ١٣؛ مت ١٥: ٨؛ مر ٧: ٦)، "**لماذا تدعونني: يا ربُّ يا ربُّ، وأنتم لا تفعلون ما أقوله**" (لو ٦: ٤٦). فعين الله على القلب: "**الإنسان ينظر إلى العينين، أما الرب فإنه ينظر إلى القلب**" (١صم ١٦: ٧).

ومكتوب أن محبة الله ومحبة القريب "**أفضل من جميع المحرقات والذبائح**" (مر ١٢: ٣٤)، وبدون شركة القلب، أي الإيمان وطاعة الوصية والانسكاب قدَّام الله والتحرُّر من البغضة؛ لا يصير للكلام – وسائر ألوان العبادة والعطايا – فائدة، فالكلمات لا تصعد إلى فوق، والتقدمات تُرفض "**ذبيحة الأشرار مكرهة الرب... مَن يُحوِّل أُذنه عن سماع الشريعة، فصلاته أيضاً مكرهة**" (أم ١٥: ٨؛ ٢٨: ٩).

ومن هنا كان توجيه الرب: "**فإن قدَّمتَ قُربانك قدَّام المذبح، وهناك تذكَّرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قُدَّام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعالَ وقدِّم قربانك**" (مت ٥: ٢٣،٢٤). فالمصالحة مع الآخر وصُنع السلام تسبق تقديم القربان.

والكتاب يؤكِّد أيضاً على عُقم ازدواج الحياة ومحاولة إرضاء الأضداد: "**لا يقدر أحد أن يخدم سيِّدين. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**" (مت ٦: ٢٤)، "**أية خلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأيُّ اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأيُّ نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأية موافقة لهيكل الله مع**

الأوثان؟" (٢كو ٦: ١٤-١٦)

(٢) "المحبة فلتكن بلا رياء" (رو ١٢: ٩)

يُلزمنا هذا القانون الإلهي ألاَّ نكتفي في علاقاتنا مع الإخوة والأصدقاء والغرباء بمجرد الابتسامات المرسومة، والمجاملات السطحية، وتبادل الهدايا والموائد أداءً للواجب؛ وإنما تقديم محبة قلبية حقيقية خالية من التصنُّع، ومشاركة في السرَّاء (ما يسرُّ) والضرَّاء (ما يضرُّ)، محبة قادرة على الاعتذار والتأسُّف من ناحية، والاحتمال والتسامح من ناحية أخرى **"تحب قريبك كنفسك"** (لا١٩: ٨؛ مت ٢٢: ٣٩؛ مر ١٢: ٣١؛ لو ١٠: ٢٧؛ رو ١٣: ٩؛ غل ٥: ١٤؛ يع ٢: ٨). فالمحبة مسئولية وتعب (عب ٦: ١٠)، وعطاء وبذل (يو ٣: ١٦)، وخدمة. والرب يحثُّنا على المحبة المتجرِّدة التي تُعطي دون انتظار المقابل أو المكافأة، متشبهين بأبينا السماوي الذي يفيض بخيره على الجميع:

"بل إذا صنعتَ ضيافة فادْعُ المساكين: الجُدْع، العُرْج، العُمْي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يُكَافُوك، لأنك تُكَافَى في قيامة الأبرار" (لو ١٤: ١٤).

"وإن أحببتم الذين يُحبُّونكم، فأيُّ فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يُحبُّون الذين يُحبُّونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم، فأيُّ فضل لكم؟ فإن الخطاة يفعلون هكذا. وإن أقرضتم الذين تَرْجُون أن تستردوا منهم، فأيُّ فضل لكم؟ فإنَّ الخطاة أيضاً يُقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل. بل أحبُّوا أعداءكم، وأحسنوا وأنتم لا تَرْجُون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العَليِّ، فإنه مُنعِمٌ على غير الشاكرين والأشرار" (لو ٦: ٣٢-٣٥).

ولكل مَن يُدرك صعوبة المحبة، تنبِّهه كلمة الله أنها بالفعل ليست جهداً بشرياً خالصاً، وإنما هي هبة من هبات النعمة: **"أما ثمر الروح فهو محبة..."**

(غل ٥: ٢٢)، هي مِن ثمَّ ينبغي أن تُطلب من فوق.

(٣) الرحمة للجميع

ردّاً على سؤال عمَّن هو القريب، سرد الرب لنا مَثَل **السامري الصالح** (لو ١٠: ٢٥-٣٧) الذي يحكي أن سامرياً صادف في طريقه إنساناً تعرَّض لاعتداء اللصوص الذين تركوه بين الحياة والموت. ورغم أن الجريح كان يهودياً لا يتعامل مع السامريين، فإنَّ السامري لم يعبأ بالفوارق وتوقَّف وتقدَّم إليه وضمد جراحاته وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق، وبَقِيَ معه حتى الصباح، وطلب من صاحب الفندق الاعتناء به تاركاً له النفقات مُقدَّماً، مُبدياً التزامه بتسديد ما يزيد من نفقات عند عودته.

قبل مجيء السامري كان قد مرَّ على اليهودي الجريح كاهن ولاوي، ولكنهما نظرا إليه فقط ولم يتوقَّفا عنده وواصلا طريقهما. وقصد الرب أن السامري الغريب هو الذي صار قريباً لليهودي وعبَّر له عن محبته حسب الوصية، بينما لم يهتم به الكاهن واللاوي ولم يعتبراه قريبهما رغم أنهما من بني جنسه.

والمغزى أن قريبي الذي ينبغي أن أحبه كنفسي ليس فقط قريبي بالجسد ولكن قريبي بالجوار أو المكان، أو كل محتاج تضعه النعمة في طريقي. فالمَثَل إذا كـــان قد أزال عقبة الجنس أو العرق، فتطبيقه يقتضي أن تزول سائر الفوارق بيني وبين الآخر: جنساً ودِيناً ولوناً، ويصير كل مَن يحتاج إليَّ من كل البشر **"أخي وأختي وأُمي"** (مت ١٢: ٥٠)، كما اعتبر الرب كل المحتاجين **"إخوته الأصاغر"** (مت ٢٥: ٤٠،٤٥)، وهو يقول لكل منَّا: **"اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا"** (لو ١٠: ٣٧).

فالذبيحة كانت هنا أداء الخدمة الدينية بصورة روتينية ضيِّقة، أما **الرحمة** فكانت تجاوز الأُطُر والأعراف إلى حيث تدعوك الخدمة. فإنقاذ اليهودي

الجريح كان بالفعل يدخل ضمن خدمة الكاهن واللاوي، ولكنهما حدَّدا لخدمتهما إطاراً لم يتجاوزاه بقلب بارد.

وعلى حبِّنا، إذاً، أن يتسع للكل، منطلقين من محدودية **الذبيحة** وحساباتها إلى رحاب **الرحمة وغناها**.

(٤) في العلاقات الاجتماعية

+ يقول المثل الشعبي المصري "**لاقيني ولا تغدّيني**" أي أن حسن اللقاء خير من دعوة الغداء الخالية من المودة.

فالمحبة القلبية ("**بالعمل والحق**" – ١يو ٣: ١٨) أعظم عطية. والتراحم والمودة تُفرح القلب أكثر من الحفلات التي تتصافح فيها الأيدي دون القلوب، والهدايا التي تؤدَّى كواجب أو ردّاً لمجاملة سابقة.

+ **وفي الحياة العائلية**، فإن **الزوجة** تريد من زوجها محبته واحترامه ومشاركته وأمانته قبل وأهم من هداياه وماله؛ **والزوج** يريد من زوجته قلبها واهتمامها واحترامها وتسامحها قبل جسدها وخدمتها ومائدتها الحافلة. وكلاهما ينشد الحب والسلام مع لقمة يابسة خير من أن يمتلئ البيت بالخير ويُفسده الخصام (أم ١٧: ١).

والأولاد يريدون من والديهم محبتهما ورعايتهما قبل المال والأشياء والميراث؛ **والوالدان** يريدان من أولادهما حبهم والتزامهم وطاعتهم في الرب واحتمالهم (خاصة عند الشيخوخة) قبل هداياهم ومجاملاتهم الشكلية.

+ **وفي الحياة الكنسية**، يطلب **الشعب** من راعيه تقواه ومحبته وصلاته وافتقاده لهم خاصة وقت الآلام قبل بطاقات المعايدة ومراسلات الكنيسة. **والراعي** من ناحيته يطلب من شعبه الصلاة من أجله ومؤازرته في خدمته وتقديم النصيحة المُخلصة له قبل المجاملات الاجتماعية وحفلات التكريم.

❊ ❊ ❊

الله يقرع أبواب قلوبنا قائلاً: "**إني أُريد رحمة لا ذبيحة**"، رافضاً الممارسات الشكلية وعبادة الشفاه والحَرْف وذبائح الرياء الكاذبة التي تهين قداسته وتستخف بمعرفته كفاحص القلوب والكُلَى، وطالباً أن تكون نفوسنا وأجسادنا "**هياكل للروح**"، و"**كهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية**"، شكراً وتسبيحاً وتوبة وعطايا وأعمال رحمة، نابعة من إيمان حي وحُب صادق لله والقريب، فهذه وحدها يشتمُّها الله: "**نسيم رائحة طيِّبة، مقبولة مرضية**" (في ٤: ١٨).

ومن له أُذنان للسمع فليسمع.

الإيمـــــان[1]

(١) في بعض ترجمات العهد الجديد تأتي هنا كلمة "**الأمانة**" Pistis (Faithfulness) وليس "**الإيمان**"، بما يجعل المعنى يتجه إلى "أمانة الله" وصدق وعوده، وعلى مثاله يلتزم المؤمن بالأمانة في حفظ الوصية وطاعة الله، مما يستحق تناوله كموضوع مستقل له أهميته في علاقة المؤمن بالله: "**الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك**" (مز ٨٩: ١٤)، "**أفلعلَّ عدم أمانتهم يُبطل أمانة الله؟ حاشا!**" (رو ٣: ٣) (انظر الفصل التالي: **أمانة الله وأمانتنا**)

الإيمان في العهد القديم

يدور معنى **الإيمان** في العهد القديم حول أن الله هو الإله الوحيد الذي لا إله غيره، خاصة أن شعوباً كثيرة حول شعب الله كانت تتعبد للأوثان وقوى الطبيعة. وأبونا **إبراهيم** صار أباً **للمؤمنين** لاتِّباعه الله كأول مَن يتبعه من البشر بعد الطوفان، فحتى أبوه تارح كان يعبد آلهة أخرى في بلاد الكلدانيين (يش ٢٤: ٢). وهو آمن وصدَّق وعد الله أن يكون أُمة عظيمة (تك ١٢: ١-٣؛ ١٣: ٤؛ ١٥: ١-٦؛ ١٧: ١-٨؛ رو ٤: ١٦-٢٢). وكان الختان هو علامة حفظ عهد الرب (تك ١٧: ١٠). وجدَّد الرب عهده مع إبراهيم بأن يتبارك في نسله جميع أُمم الأرض لما أطاع أمر الرب أن يُقدِّم إسحق ابنه محرقة (تك ٢٢: ١٧،١٨).

وفي وصايا الرب العشر للشعب التي تسلَّمها موسى على الجبل، كانت الوصية الأولى: "**أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر أرض العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي**" (خر ٢٠: ٢،٣؛ تث ٥: ٧). وبعدها كانت الوصية: "الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" (تث ٦: ٤،٥)، و"تحب قريبك كنفسك" (لا ١٩: ١٨).

ولكن خيانة الإيمان المتوالية والتمرُّد على الله والتحلُّل من محبته لم تتوقف سواء خلال اجتياز سيناء (التذمُّر وعبادة العجل الذهبي) أو عند دخول كنعان، أو عند طلب الشعب ملكاً كسائر الشعوب (١صم ٨: ٥)، أو الارتداد لعبادة الأوثان، حتى أن الرب مزَّق المملكة بعد سليمان: "لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل" (١مل ١١: ٩)؛ ثم كان فساد معظم الملوك من بعده، وعناد الشعب

وتمرُّده وتحوُّل العبادة إلى الشكلية والتركيز على الطقوس (إر ٧: ٢١-٢٦؛ عا ٥: ٢١،٢٢)، وتحكُّم رؤساء الكهنة في الشعب وموقفهم المناوئ من المخلِّص الذي أشارت إليه نبوَّات العهد القديم.

فعندما يشير الرب هنا إلى العودة إلى الركن الثالث من "**أثقل الناموس**" وهو "**الإيمان**"، فهو يقصد تجديد العهد مع الله بأن يكون هو الإله الذي لا إله غيره، وأن تُحفظ وصاياه بروحها وليس بظاهرها وحرفها وإتمامها إرضاءً للذات والبشر. وقد أدان الرب كثيراً كل انحراف عن الإيمان وتزييف له، من رياء العبادة إلى التركيز على الممارسات من ذبائح وتطهيرات جسدية، حتى تحوَّل الهيكل إلى سوق للتجارة (يو ٢: ١٦) ومغارة للُّصوص (إر ٧: ١١؛ مت ٢١: ١٣؛ مر ١١: ١٧؛ لو ١٩: ٤٦) تحت أعين الكهنة ورؤسائهم.

الإيمان في العهد الجديد

أولاً: مبادئ أولية

(١) يُعطي القديس بولس تعريفاً جامعاً **للإيمان** في صدر **أصحاح الإيمان** الشهير ضمن رسالته إلى العبرانيين أنه "**الثقة بما يُرجَى، والإيقان بأمور لا تُرى**" (عب ١١: ١)، أي أنه الثقة في تحقيق ما نرجوه من الله، والإيقان بما يتجاوز قدرة الحواس والعقل. **فالإيمان** هو عين الرؤية الروحية التي تتعامل مع المطلق وغير المنظور وغير المحدود، أي ما يتصل بالأبدية (٢كو ٤: ١٨) والسماويات (يو ٣: ١٢؛ أف ١: ٣؛ ٢: ٦)، وتنكشف به وله (بالروح القدس) كل الأسرار التي لا تلتقطها حواس "الإنسان الطبيعي" (١كو ٢: ١٤) "**إن آمنتِ ترين مجد الله**" (يو ١١: ٤٠). فلا وسيلة هناك لإدراك الله الذي لا يُرى غير **الإيمان**. ومن هذا التعريف يمكن الانطلاق إلى آفاق الإيمان الرحبة بغير حدٍّ.

(٢) **في العهد الجديد** يكتمل **الإيمان** ويتسع معناه ويتعمق باقترانه بتجسُّد الرب وفدائه وإعلان عهد الله الجديد (إر ٣١: ٣١) بخلاص الإنسان من الهلاك الأبدي، حيث المسيح هو "**رئيس الإيمان ومُكمِّله**" (عب ١٢: ٢)، الذي هو من نسل إبراهيم (غل ٣: ١٦)، وفيه يتحقَّق الوعد القديم لإبراهيم أنه سيكون أباً لشعوب كثيرة (رو ٤: ١٦-١٨، ٢٤)، حيث ينفتح الله على الأمم (إش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦؛ ٥٦: ٧) ويكون المسيح هو مخلِّص العالم كله بيهوده وأُممه، فليس عند الله محاباة (رو ٢: ١١؛ أف ٦: ٩).

(٣) **الإيمان في العهد الجديد** شركة مع الآب والابن والروح القدس، ويتصل مباشرة بالخلاص والحياة الجديدة وملكوت السموات، وفيه يتحرر المؤمن من الناموس ليدخل تحت مظلة النعمة الغافرة (رو ٦: ١٤) وينفصل عن العالم ورئيسه منحازاً إلى الله ووصاياه، عابداً بالروح (رو ١٢: ١١)، وسالكاً بحسبه (رو ٨: ١، ٤-٩، ١٣)، وغالباً أهواءه وشهواته (غل ٥: ٢٤) بالروح الساكن فيه (٢كو ١: ١٤) مُنشئ التوبة بعد التعثُّر.

(٤) **بالإيمان** لن نحتاج أن يتجسَّم أمامنا ملكوت الله لنراه، ولن ننتظر كي ندخله في قادم الأيام. **فبالإيمان** تبدأ حياتنا الأبدية الآن: "**ولا يقولون هوذا هنا أو هوذا هناك، لأن ها ملكوت الله داخلكم**" (لو ١٧: ٢١)؛ ومسيح الجليل والجلجثة هو هو الإله الأزلي و"**ملك الدهور الذي لا يَفنَى**" (١تي ١: ١٧)، "**ملك الملوك ورب الأرباب**" (رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦)، "**الألف والياء، البداية والنهاية..، الأول والآخِر، والحي... إلى أبد الآبدين**"(رؤ١: ٨،١٧،١٨)، "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب ١٣: ٨).

(٥) **الإيمان في العهد الجديد** ينقل من الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً (خر ٣: ٨،١٧) إلى الأرض الجديدة والسماء الجديدة (رؤ ٢١: ١)، ومن

أورشليم وبقايا الهيكل الذي صُنع بالأيادي (مر ١٤: ٥٨؛ أع ٧: ٤٨؛ ١٧: ٢٤؛ ١٩: ٢٦) إلى أورشليم السمائية الجديدة (رؤ ٢١: ٢) "العتيدة" (عب ١٣: ١٤) "المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله" (عب ١١: ١٠)، ومن مجازاة مما في الأرض إلى حياة أبدية تُنهي حكم الموت (يو ٣: ١٦).

(٦) **الإيمان في العهد الجديد** هبة من هبات الثالوث ينالها مَن يقبلها: "لا يقدر أحد أن يُقبِل إليَّ إن لم يجتذبه **الآب** الذي أرسلني" (يو ٦: ٤٤)، "مَن يُقبِل إليَّ لا أُخرجه خارجاً" (لو ٦: ٣٧)، "وُهِبَ لكم لأجل المسيح، لا أن **تؤمنوا به** فقط..." (في ١: ٢٩)، "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاَّ بالروح القدس" (١كو ١٢: ٣)، "أما **ثمر الروح** فهو محبة فرح سلام... **إيمان**..." (غل ٥: ٢٢).

ثانياً: المسيح هو موضوع الإيمان

(١) **لأن المسيح هو الذي عرَّفنا عن الآب والروح القدس** (يو ١: ١٨؛ عب ١: ١):

وهو يقول: "**أنا والآب واحد**" (يو ١٠: ٣٠)، "**الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني**" (يو ١٢: ٤٤)، "**الذي رآني فقد رأى الآب... إني أنا في الآب والآب فيَّ**" (يو ١٤: ٩-١١). فهو "**بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته**" (عب ١: ٣)، وهو مُرسل الروح القدس الشاهد والممجِّد له (يو١٥: ٢٦؛ ١٦: ١٤)، والموحي بكلمته (٢بط١: ٢١). **فالإيمان بالمسيح يعني الإيمان بالآب والروح القدس**. والمسيح هو المخلِّص الوحيد (أع ٤: ١٢)، وهو الإله الواحد والوسيط الوحيد بين الله والناس، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع (١تي ٢: ٥،٦)، وهو الديَّان

وحده (يو ٥: ٢٢)، والمؤمنون به ينالون الحياة الأبدية (يو ٣: ١٦).

والإيمان بالمسيح هو بالتالي حجر الزاوية في العلاقة بين الإنسان والله، وهو محور وأساس حياتنا في المسيح. ومكتوب إنه "**بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه**" (عب ١١: ٦).

(٢) بالإيمان بالمسيح فاضت علينا عطايا النعمة، وهذه هي رأس العطايا، بشهادة الكتاب:

+ الخلاص: "**مَن آمن واعتمد خلص...**" (مر ١٦: ١٦)، "**آمن بالرب يسوع، فتخلص أنت وأهل بيتك**" (أع ١٦: ٣١). **فالإيمان** هو إعلان تصديق كمال عمل المسيح الفدائي من أجل الخطاة، وبالتالي يصير وسيلة لنوال نعمة المعمودية والخلاص من الموت ودخول الملكوت.

+ البنوَّة:

"**وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه**" (يو ١: ١٢)؛

"**الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله**" (رو ٨: ١٦)؛

"**انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعَى أولاد الله**" (١يو ٣: ٨)؛

"**أرسل الله ابنه... ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبنِّي**" (غل ٤: ٤،٥).

+ الحياة الجديدة (التقديس)

الإيمان بالمسيح يُغيِّر الحياة، ويُنهض من الموت، وينقل من الظلمة إلى النور، ويُنجِّي من الهلاك، وينعكس على كل السلوك وكل نشاطات الحياة والمبادئ والأهداف والنظرة إلى الوجود والعلاقات مع الآخرين: "**تأتي ساعة، وهي الآن، حين يسمع الأموات** (روحياً) **صوت ابن الله والسامعون** (المؤمنون

التائبون) **يحيون**" (يو ٥: ٢٥)؛

"**مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ**" (غل ٢: ٢٠)؛

"**إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً**" (٢كو ٥: ١٧)؛

"**نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة**" (١يو ٣: ١٤)؛

"**كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب**" (أف ٥: ٨)؛

"**قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه**" (كو ١: ٢٢،٢٣)؛

"**نحن الذين من نهار فلنَصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص** (الأخير)" (١تس ٥: ٨).

+ الحياة الأبدية والتمجيد

وهي غاية الخلاص وأعظم هباته بالنسبة للمؤمن حيث يكون مع الرب كل حين (١تس ٤: ١٧) بدءاً من لقائه بالمخلِّص هنا وإلى الأبد. وفي الملكوت يكون التحوُّل من الفساد إلى عدم الفساد، ومن الهوان إلى المجد، ومن الضعف إلى القوة (١كو ١٥: ٤٢،٤٣)، و"**يُضيء الأبرار كالشمس**"(مت ١٣: ٤٣):

"**وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٥،١٦)؛

"**الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن به قد دِين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد**" (يو ٣: ١٨)؛

"**الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله**" (يو ٣: ٣٦)؛

"**الحق أقول لكم: إن مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**" (يو ٥: ٢٤)؛

"**لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني** (الآب) **أن كل مَن يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير**" (يو ٦: ٤٠)؛

"**فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده**" (في ٣: ٢٠،٢١)؛

"**وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**" (يو ١٧: ٣)؛

"**وأما هذه فقد كُتبت لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه**" (يو ٢٠: ٣١)؛

"**وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية**" (١يو ٢: ٢٥)؛

"**لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا**" (رو ٦: ٢٣).

(٣) **الإيمان بالمسيح** يعني الاتصال رأساً بشخصه: "**بالمسيح قوة الله وحكمة الله**" (١كو ١: ٢٤)، وليس بما أو بمَن حوله، ليس بالطقس والترتيبات والألحان والخدمة، ولا بالمكان والناس والخدَّام بديلاً عنه، ولكن به هو أولاً وبهذا كله من خلاله أي: "**في المسيح**".

الإيمان الحي بالمسيح ينقذ العبادة من الانزلاق إلى الحرفية والشكلية وتحوُّلها إلى نشاط جسدي وتتميم فرائض آلية خالية من الحب، ويُضفي عليها الحرارة والصدق والفاعلية بتوسُّط الروح القدس:

"**فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ**" (غل ٢: ٢٠)؛
"**ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم**" (أف ٣: ١٧)؛
"كل ما ليس من الإيمان فهو خطية" (رو ١٤: ٢٣).

ثالثاً: علاقات الإيمان

(١) الإيمان والأعمال

الإيمان هو روح الأعمال، والأعمال هي ثماره ووجهه الآخر والتي يُنشئها الروح ويُعدُّها الله لتزكية أولاده. وهي تشهد للإيمان وصدقه وحيويته، وحاشا للمؤمن أن يدين بها الله أو يتفاخر. فخلاصه هو نعمة مجانية يتمتع بها أصاغر المؤمنين كما ينالها أعاظم القديسين، ولكن أتعاب الأمناء ودماء الشهداء وجهاد النسَّاك والأتقياء ودموع المتألمين من أجل الإيمان ليست منسية قدَّام الله، بل ومكتوبة في سِفْر تذْكِرة أمامه (ملاخي ٣: ١٦)، وسينالون بحسبها مجداً وفرحاً وتعزية أعظم:

"**لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلِّصة لجميع الناس**" (تي ٢: ١١)؛
"**متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح**" (رو ٣: ٢٤)؛
"**لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمال** (أعمال الناموس أو البر الذاتي) **كيلا يفتخر أحد**" (أف ٢: ٨)؛

"... الذي دعانا دعوة مقدسة، **لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية**" (٢تي ١: ٩)؛
"**لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه بغنىً علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا، حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية**" (تي ٣: ٥-٧)؛
"**لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله**

فأعدَّها لكي نسلك فيها" (أف ٢: ١٠)؛

"تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة (مسرته)"(في ٢: ١٢،١٣)؛

"وآخرون عُذِّبوا و لم يقبلوا النجاة لكي ينالوا **قيامة أفضل**" (عب ١١: ٣٥).

(٢) الإيمان والتوبة

التوبة قرينة الإيمان، وهي قد تسبقه فتستدعيه: **"قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"** (مر ١: ١٤،١٥)، أو هي تعلنه بعد أن تقبل النفس الربَّ مُخلِّصاً: "فقال لهم: **توبوا وليعتمد كل واحد على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا"** (أع ٢: ٣٨). وعلى أيِّ حالٍ فهي تُلازِم حياة الإيمان حتى النهاية. فالتوبة هي عملية تصحيح مستمرة لإعادة المسار في اتجاه المسيح والإنجيل: **"مَن يتبعني** (يؤمن بي)، **فلا يمشي في الظلمة** (وإن أخطأ بالضعف، فالتوبة تُخرجه من الظلمة)، **بل يكون له نور الحياة"** (يو ٨: ١٢). وإذا كان الإيمان هو خروج من الذات والعالم والتحوُّل نحو المخلِّص، فالتوبة المصاحبة (ميتانيا) هي تحوُّل الفكر والقلب وأهداف الحياة نحو الله والأبدية، والتحرُّر من سجن الخطية المظلم، والانطلاق للتمتع ببرِّ المسيح الذي لا يُستقصى. فالتوبة هي هبة الله العظمى ودعوته للإنقاذ من الضلال والتيه والموت (لو ١٥: ٢٤):

"توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم" (حز ١٨: ٣٠)؛

"لم آتِ لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧؛ لو ٥: ٣٢)؛

"حيٌّ أنا، يقول السيِّد الرب، **إني لا أُسرُّ بموت الشرير، بل بأن يرجع عن طريقه ويحيا"** (حز ١٨: ٢٣،٣٢؛ ٣٣: ١١)؛

"وهو لا يشاء أن يهلك أُناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة" (٢بط ٣: ٩).

الإيمان يُساند **التوبة**، لأنه يُعطي دوماً رجاءً للخاطئ في غفران خطاياه واثقاً في صدق وعد الله وكمال عمل صليبه: **"... ودم يسوع ابنه يُطهِّرنا من كل خطية... إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا، ويُطهِّرنا من كل إثم"** (١يو ١: ٧،٩).

والتوبة تحفظ **للإيمان** حيويته وحرارته وتُنقِّيه من الشوائب والاختلاط بأفكار العالم، وتحمي العبادة من الانزلاق إلى الآلية وعبادة الشفاه وازدواج القلب: **"... بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة، فتُحفظ جميعاً"** (مت ٩: ١٧؛ مر ٢: ٢٢؛ لو ٥: ٣٨).

(٣) الإيمان والرجاء والمحبة

علاقة **الإيمان بالرجاء** لا تحتاج إلى بيان. والرجاء كالإيمان نعمة إلهية (١بط ١: ٢١)، ولأنه متعلِّق بالمستقبل **"الرجاء الموضوع لكم في السموات"** (كو ١: ٥) فهو امتداد للإيمان يُسانده ويُشدِّده خاصة وقت الآلام والتجارب والضيقات (**"كمرساة للنفس"** – عب ٦: ١٨)، فيحفظ تماسكه وثباته ويُديم على المؤمن المجرَّب نعمة السلام والعزاء.

كما أن الإيمان القوي من ناحيته يُديم الرجاء فلا يخزى مهما طال الزمان واشتدَّت الظلمة، ويُبقيه حيّاً متمسِّكاً بوعود الله ومواعيده، مسنوداً بالنعمة (١بط ١: ١٣) التي تهب الصبر والاحتمال **"ولكن إن كنَّا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقَّعه بالصبر"** (رو ٨: ٢٥؛ ١تس ١: ٣).

فإذا جئنا لعلاقة **الإيمان بالمحبة** نرى أن الإيمان يقتضي حفظ الوصية، وأعظم الوصايا هي **المحبة: محبة الله ومحبة القريب**. ولارتباط الإيمان بالمحبة صكَّ القديس بولس تعبير: **"الإيمان العامل بالمحبة"** (غل ٥: ٦). **فالمحبة هي في صميم**

الإيمان، وأعمال المحبة هي في حقيقتها تعبير عن حيوية الإيمان وفعاليَّته وصدقه.

وارتباط الإيمان بالمحبة، من ناحية أخرى، يحفظ للإيمان أصالته واستقامته، فبغير المحبة يمكن أن يصير الإيمان آلياً جامداً جافاً (كما كان الحال مع الكاهن واللاوي في قصة السامري الصالح، اللذيْن لم يعبآ بالجريح وتجاوزاه بقلبٍ بارد)، أو أن ينحدر إلى التعصُّب ورفض الآخر وكراهيته (كما كان شاول وجماعته قبل أن تُدركه محبة المسيح ونعمته، وكما يفعل المتطرِّفون في أيامنا هذه). من هنا كتب القديس بولس عن ضرورة المحبة للإيمان: "**وإن كانت لي نبوَّة وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة فلستُ شيئاً. وإن أطعمت كل أموالي، وإن سلَّمت جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً**" (١كو ١٣: ٢،٣). **فالإيمان بدون المحبة لا شيء، والمحبة للإيمان كالروح للجسد.**

والقديس بولس يُقرِن هذه الفضائل الثلاث معاً، ولكن لأنه برؤيا المسيح في الملكوت لا يعود هناك مكان للإيمان أو الرجاء (أو النبوَّات أو العلم)؛ فلهذا كانت المحبة أعظم الثلاثة هنا وهناك، لأن عملها لن يتوقف في الأبدية بل سيمتد ويتجلَّى أكثر (١كو ١٣: ٨،١٣).

(٤) الإيمان والإنجيل والكرازة

الإيمان ليس أمراً تجريدياً لا معالم له، وإنما هو موقف اختباري متعلِّق بشخص المسيح وخلاصه وعهده الجديد: "**لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإيَّاه مصلوباً**" (١كو ٢: ٢). وإذا كان المسيح هو كلمة الله (يو ١: ١؛ رؤ ١٩: ١٣) (لوجوس)، فالإنجيل هو كلمة المسيح وحياته "**الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة**" (يو ٦: ٦٣)، ولا فرق بين

الاثنين، ونحن عرفنا المسيح وما أخبرنا به عن طبيعة الله (يو ١: ١٨) من الإنجيل المكتوب والتقليد الكنسي، كما عرفته الأجيال الأولى من خلال كرازة التلاميذ والرسل شهود المسيح بالإنجيل الشفاهي والرسائل قبل أن تُضَمَّ صفحاته في كتاب واحد[٢].

علاقة الإيمان، إذاً، بالإنجيل، ببشائره ورسائله، علاقة عضوية **"آمنوا بالإنجيل"** (مر ١: ١٥). **فالإيمان هو "بالخبر، والخبر بكلمة الله"** (رو ١٠: ١٧)، أو **"كلمة الإيمان"** (رو ١٠: ٨). فبدون الإنجيل لا يمكن أن يكون هناك إيمان، والإيمان يقتضي الكرازة بالإنجيل **"وكيف يؤمنون بمَن لم يسمعوا به. وكيف يسمعون بلا كارز"** (رو ١٠: ١٤)، فالكرازة هي عمل كل المؤمنين: **"اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"** (مر ١٦: ١٥).

ويتعيَّن على المؤمن الحقيقي، إذاً، أن يكون عارفاً بالكتاب، ومختبراً للوصية طائعاً لها، وفاهماً للعقيدة وروحها، لكي يكون مستعدّاً لمجاوبة كل مَن يسأله عن سبب الرجاء الذي فيه (١بط ٣: ١٥)، فهذا تكليف لا يستطيع أن يتحلَّل منه. أما المؤمن الإسمي الذي لا يعرف إنجيله والذي يضطر للاعتذار عن الإجابة عندما يُسأل من غير المؤمنين، فهو مُقصِّر في رسالته ومُبدِّد لنصيبه ونصيب الآخرين الذين لما قصدوه عادوا خائبين.

المكتفون بالسماع عن الرب دون اللهج في كلمته ودراستها وأكلها كطعام يومي يعيشون على حافة إيمان هش ضامر ما أسهل أن تزعزعه النوائب أو الاضطهاد أو الأهواء. وما نسمعه أحياناً عن بعض المسيحيين اسماً من أمور

---

(٢) ظل الكتاب المقدس يُنسخ باليد حتى اخترع الألماني يوهان جوتنبرج J. Gutenberg (١٤٠٠-١٤٦٨م) المطبعة ذات الحروف المعدنية (حوالي سنة ١٤٣٦م) وكان دافعه الأول طباعة الكتاب المقدس ونشره.

مشينة سببه أن إيمانهم كان شكلياً وانتماءهم كان جسدياً (لعائلة مسيحية)، وكيف لمعرفتهم بالله أن تنمو وهم متغرِّبون عن كلمته (وعن التوبة وسائر الأسرار)، وأنَّى لهم أن يُبشِّروا الآخرين بالمسيح وهم لم يعرفوه!

(٥) الإيمان والآلام

في الإيمان ليست الآلام أمراً واقعاً كما هو بالنسبة لإخوتنا الذين في العالم (١بط ٥: ٩) نتحمَّله مثلهم صاغرين، أو نجتهد أن نتفاداه ونتهرَّب منه، وإنما هي هبة مقابل هبة الإيمان **"وُهِبَ لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله"** (في ١: ٢٩).

وهناك التزام مسيحي لكل مَن أراد أن يتبع المسيح ويصير له تلميذاً (لو ١٤: ٢٧) أو جندياً صالحاً (٢تي ٢: ٣) أن يحمل صليبه كل يوم (مت ١٠: ٣٨؛ ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣؛ ١٤: ٢٧)، أي أن يشترك في احتمال المشقات من أجله وأن يصلب جسده مع الأهواء والشهوات (غل ٥: ٢٤).

والرب سبق وأنبأ بما سيأتي على مَن يتبعونه: **"في العالم سيكون لكم ضيق"** (يو ١٦: ٣٣)، كما أكَّد على أن مَن أراد أن يخلِّص نفسه يُهلكها، ومَن يُهلك نفسه من أجله (ومن أجل الإنجيل) فإنه يجدها، أي **"يحفظها إلى حياة أبدية"** (مت ١٦: ٢٥؛ مر ٨: ٣٥؛ لو ٩: ٢٤؛ لو ١٦: ٣٣؛ يو ١٢: ٢٥). ووسط الآلام، فالإيمان هو سلاحنا الفعَّال: **"وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا"** (**١يو ٥: ٤،٥**)، **"... حاملين فوق الكل تُرس الإيمان الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة"** (أف ٦: ١٦).

ومع الانتصار هنا يكون المجد هناك: **"إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه، فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا"** (رو ٨: ١٧،١٨).

رابعاً: الذين ينكرون الإيمان

حالات الذين ينكرون الإيمان، التى صدمتنا فى السنوات الأخيرة، لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة. فطالما أن الرب جعل أمامنا طريقين: **طريق الحياة وطريق الموت** (إر٢١: ٨) فهناك من سيختار الحياة وهناك من سيختار الموت حتى وإن لم يكن يدرى عند بداية الطريق أنه المؤدى فى النهاية إلى الموت.

وفى تاريخ الإنسان كثيرون اختاروا **طريق الموت**، احتقروا وصية الله واتبعوا هوى نفوسهم فهذا **قايين** قاتل أخيه (تك٤: ٨)، وهذه **امرأة لوط** التى ظل قلبها متعلقاً بأرض الفساد، رغم الملاكين اللذين كانا يدفعانها دفعاً إلى خارج، فصارت عمود ملح (تك١٩: ١٦، ٢٦)، **وهذا عيسو** المستبيح المستهتر الذى باع بكوريته بأكله عدس ففقد البركة أيضاً (تك٢٥: ٣٣، ٢٧: ٣٦).

وبين تلاميذ الرب فإن **بطرس** المقدام، وأول التلاميذ، والشاهد على تجلى الرب مع موسى وإيليا، أنكر المسيح وقت محاكمته، وإن اكتشف سريعاً ضعفه وخيانته فرجع باكياً وقبله الرب، **ويهوذا**، التلميذ المؤتمن، باع سيده بثلاثين من الفضة، وإن ندم بعد تسليمه الرب لصالبيه ولكن الهلاك كان ينتظره.

والرب يسوع سبق فأنبأ أن هناك مَنْ سينكره عندما قال " **من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات**"(مت١٠: ٣٣). والقديس بولس صادف فى خدمته مثل هؤلاء " **لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم الذين يفتكرون فى الأرضيات**"(فى٣: ١٨).

لماذا إنكار الإيمان ؟

يمكن القول أن الفتيات اللاتى أنكرن الرب مؤخراً، وبعن سيدهن، وجدفن على الروح عندما أعلنَّ أنهن تركن المسيح نهائياً ولا يردن العودة،

وأنهن راضيات بحياتهن الجديدة. أنهن وإن اعتمدن فى طفولتهن لكنهن لم يعشن الإيمان و لم يعرفن المسيح و لم يحببنه (حتى وإن كن يذهبن إلى الكنيسة كما لقوم عادة)، وبالتالى عندما جاء الاغراء استطعن أن يتركن الرب غير آسفات. وكان المقابل: تحرر من قيود البيت وحب وزواج حسب الجسد ينشئ عائلة ولكنه لا يتصل بالأبدية.

ولكن علينا ألا نكتفي بهذا التحليل ونطرح هؤلاء البائسات وغيرهن من اهتمامنا غير آسفين، بل من الأفضل أن نُبقى صفحتهن وصفحات غيرهن مفتوحة **لكى نبحث عمن شارك معهن فى صنع هذه النكسة:**

(١) **فهناك العائلة، خاصة الأم**، التى لم تربِّ أولادها وبناتها فى الإيمان، التى لم تَقُدْ خطاهم فى حياة الصلاة وقراءة الكلمة وطريق التوبة وشركة الإفخارستيا والكنيسة، والتى غفلت عن حماية أبنائها وبناتها والاطمئنان إلى سلامة سلوكهم وسلوك من يصادقون ويزاملون. والكتاب يشير إلى **أن المرأة تخلص بولادة الأولاد "إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل"** (١تى٢: ١٥)؛

(٢) **وهناك الكنيسة** التى أخفقت في أن تنشر مظلة رعايتها على الكل، ربما لأن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون.. وهكذا ينضم الكثيرون إلى جماعة الغرباء الذين لا يشعرون بعضويتهم فى جسد المسيح: معرفتهم ضحلة وإيمانهم هش، والصليب غائب من حياتهم، ولا مكان للتوبة عندهم، ولا قدرة لهم للدفاع عن عقيدتهم، وشركتهم هى مع أهل العالم الذين أخذوا سماتهم ولا يتميزّون عنهم، ورجاؤهم منحصر فى العالم الحاضر وآماله ولا يبلغ إلى الأبدية بأى حال؛

(٣) **ثم هناك العامل الاجتماعى**، فإذا كان هؤلاء من الطبقات الفقيرة الجاهلة، يأتى هذا العامل ليجعل حالهم أسوأ. فهم ضمن القطاع المُهمَل

المهمَّش في المجتمع الذى لا يجرؤ على الاندماج فى الكنيسة، كما أن انشغالهم بالحصول على أوْدهم لا يترك لهم مجالا للحياة الروحية، فضلا عن تدنِّى معيشتهم وسكناهم فى أحياء عشوائية لا تحترم آدميتهم أو خصوصيتهم، واضطرارهم لمعاشرة أقرانهم من غير المؤمنين يجعلهم فرائس سهلة لمن يريد أن يقتنصهم، إضافة إلى أن المعاشرات الرديئة تقودهم تلقائياً إلى السقوط أو إنكار الإيمان كلية.

(٤) وهناك عامل ضاغط آخر في مجتمع تسود فيه مبادئ **التمييز** وتصنيف المواطنين بحسب عقائدهم. فهم وقد خرجوا من بيوت لم ترضعهم الإيمان، و لم يتمتعوا برعاية الكنيسة، وينحو بهم مستواهم الاجتماعى المتدنى إلى هامش الحياة، ويحيّدهم إيمانياً الاختلاطُ بغير المؤمنين، يأتى التمييز والإحساس بالأقلية والدونية، وعدم احتمال الاضطهاد بعد التخلى عن الصليب، ليجعل إنكارهم للمسيح بصورة رسمية هيّنا بعد أن تم الإنكار من قبل بصورة فعلية فى القلب.

ماذا بعد ؟

وإن كنا نقول إن الذين ينكرون المسيح بكامل وعيهم هم أحرار فى اختيار طريق الموت، لكن هذا لا يعنى أن **نتزلق إلى كراهيتهم أو أن نُسقطهم من اهتمامنا** بل أن نبكى عليهم ونبكى سقوطهم من النعمة **كمَنْ يفقد** بالموت أخاه أو أخته أو أحد أقربائه. كما أن علينا أن نسعى لإنقاذ المخدوعين، والذين شردوا تحت تأثير العاطفة أو الفقر أو الجهل أو الغضب أو الإحباط، وإعادتهم إلى دائرة الإيمان، **مصلّين بكل طلبة من أجل رجوع كل الضالين**. كما أن علينا أن نعى الدرس مما جرى ويجرى كى نمنع تكرار هذه الكارثة مع آخرين:

(١) **فعلى العائلة**، أى علينا جميعا، تقع المسئولية الأولى فى التربية الإيمانية

لأولادنا وبناتنا، مقدمين أنفسنا قدوة فى محبة الرب والكنيسة وكلمة الله والسلوك بالروح والتزام الإيمان، وأن نحبهم فى الرب دون تدليل أو قسوة متذكرين كلمات الكتاب " **لا تغيظوا أولادكم** (لئلا يفشلوا) **بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره**"(اف٦: ٤، كو٣: ٢٠) متابعين سلوكهم وصداقاتهم، وأن تقترن الثقة التى نكفلها لهم بكل الانتباه والتدقيق مع ملاحظة أى تغيير يطرأ عليهم، **فالانحدار** لا يحدث فجأة وإنما خطوة خطوة " **ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجا فيتنجس به كثيرون**"(عب١٢: ١٥).

(٢) **وعلى الكنيسة أن توفر الرعاة المؤهلين روحيا وإيمانيا** فى المناطق كثيفة العدد، وأن تمد مظلتها **لتحتضن مسيحيى العشوائيات والطبقات المسحوقة والعائلات المتناثرة التى تسكن معزولة فى أوساط غير مسيحية،** فهذه تعيش على حافة الخطر وربما هى فى دائرة الخطر بالفعل **ولا تقوى أن تنادى " اعبر إلينا وأعنا"** (أع١٦: ٩)، وعلى الكنيسة أن تعتبر خدمة الفقراء والمرضى والأميين والمعاقين وتوفير المساكن وفرص العمل **أموراً فى صميم حماية الإيمان والبشارة بالخلاص،** وهناك فى هذا المجال نماذج عظيمة أنقذت من الموت الكثيرين.

وعلى **اجتماعات الشباب** أن تنهض لتضم إليها الجميع، بمن فيهم الحرفيون والأميون، وأن تقصد فى التعليم بصورة مباشرة شخص المسيح المخلص المنادى " **توبوا وآمنوا بالإنجيل**" (مر١: ١٥) والذى هو محور الكتاب كله.

وسواء فى عظات القداس أو كلمات الاجتماعات **فليكن شرح وصايا الكتاب وأمور العقيدة هو لب التعليم فالمنبر مسئولية** والرب سوف يحاسب الرعاة والخدام كيف استثمروا وزناتهم وكيف وظّفوا وقت الخدمة وافتدوه وسط الأيام الشريرة (اف٥: ١٦).

(٣) ونظن أن أى جهد يبذل من أجل **تمتع كل المواطنين بحقوق متكافئة فى العمل والعبادة**، حتى وإن بدا أنه يصب فى تيار العمل السياسى، هو فى حقيقته فاعل فى تخفيف الضغوط على الأقليات المسيحية وسط أغلبية غير مسيحية، فلا تضطرها الحاجة أو أمية العقيدة إلى التسرب من الحظيرة إلى الطريق الرحب المؤدى إلى الهلاك (مت٧: ١٣)، فالديمقراطية التى تكفل حقوق كل المواطنين على اختلاف عقائدهم، ويضمن الدستور والقانون فيها حماية الجميع، خاصة الأقليات، **هى جزء من الحل. فالاضطهاد وسحق الأقليات والتطهير العرقى لا يكون إلا فى المجتمعات غير الديمقراطية.**

❋ ❋ ❋

ختم الرب حديثه الطويل بالقول: "**كان ينبغي أن تعملوا هذه** (تقديم العشور من كل الأشياء: كبيرها وصغيرها) **ولا تتركوا تلك** (الالتزام بأركان الناموس الرئيسية)" (مت ٢٣: ٢٣؛ لو ١١: ٤٢)، وهو قانون يهم الكل.

فإتقان إحدى الوصايا لا يعفي من الالتزام بغيرها. فالصوم ليس أفضل من الصلاة أو العكس، والإيمان والمحبة صِنْوان لا يفترقان (إلاَّ في الأبدية)، وحياة التأمُّل لا تنفصل عن حياة الخدمة، والتقوى لا تغني عن المعرفة، والفضائل كلها تتكامل، والنمو في إحداها لا يخصم من غيرها.

وقد يكون تتميم جانب ثانوي من أمور العبادة وإهمال ما هو جوهري علامة حياة روحية تتظاهر بالتقوى، ولكنها خاوية من الداخل. ولأمثال هؤلاء قال الرب: "**ويل لكم... لأنكم تُشبهون قبوراً مُبيَّضة تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة؛ هكذا أنتم أيضاً تظهرون للناس أبراراً، ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً**" (مت٢٣: ٢٧،٢٨).

❋ ❋ ❋

رسالة الرب إلينا ألاَّ نهين حياتنا المسيحية باختزالها في الأداء الشكلي لبعض الممارسات والعبادة بالشفاه والجسد، واقتصار علاقاتنا بالآخرين على المجاملات السطحية الخالية من الصدق. والرب من قبل حذَّر مردِّدي الكلام في الصلاة دون أن يعوه: **"ليس كل مَن يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات"** (مت ٧: ٢١). والكتاب يحثُّ المؤمنين ألاَّ يحبوا **"بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق"** (١يو ٣: ١٨).

والرب هنا يدعونا أن يكون توجُّهنا إلى جوهر الإنجيل وأعمدته: **"الحق والرحمة والإيمان"**، وما يتصل بها توبةً وحبّاً وتسبيحاً وخدمةً واستنارةً بكلمة الله، وألاَّ نكتفي في علاقتنا مع الرب وإنجيله بالوقوف على الشاطئ دون مغامرة النزول إلى الماء والسباحة إلى الأعماق بمعونة الروح، وبهذا نتجنَّب ضياع العمر في الانشغال بالقشور والنوافل (كو ٢: ٢٣) وأسئلة الحرام والحلال السطحية، ونواصل مسيرنا مع الرب في طريق الحياة الأبدية.

أمانة الله وأمانتنا

+ أمانة الله
+ كن أميناً

أمانة الله

+ أشرنا في مقال "**الإيمان**" ضمن الفصل السابق (**أثقل الناموس**– ص٤٠) إلى أنه في بعض الترجمات العربية الحديثة، تأتي (في الآية مت٢٣:٢٣) كلمة "**الصدق**" (الترجمة العربية الجديدة – ١٩٧٨)، أو كلمة "**الأمانة**" Faithfulness (الطبعة الدولية الجديدة –١٩٨٩)، بديلاً عن كلمة "**الإيمان**" Faith (التي تَرِد هكذا في معظم الطبعات السابقة المعروفة، وأيضاً في الطبعة الأرثوذكسية الإنجليزية المنشورة حديثاً – ٢٠٠٨)، بما يجعل المعنى يتجه إلى "**أمانة الله**" وصدق وعوده، وعلى مثاله يلتزم المؤمن أيضاً **بالأمانة** في طاعة الله وحفظ وصاياه. فالحديث عن "**أمانة المؤمن**" يستدعي بالضرورة التأمل في "**أمانة الله**" باعتباره القدوة الكاملة وواهب كل الفضائل.

(١) أمانة الله كاملة ودائمة

الله كما هو كاملٌ في ذاته هو كاملٌ في كل صفاته. **وأمانة الله** الدائمة واحدةٌ من أبرز صفاته التي يتوهج كمالها عند المقارنة مع تعثُّر الإنسان في بلوغ الأمانة إلاَّ استناداً إلى نعمة الله.

ويوصف الله في الكتاب أنه "**أمين وقدوس**" (إش ٤٩:٧) و"**القدوس**

الأمين" (هو ١١: ١٢)، و"**الشاهد الأمين**" (مز ٨٩: ٣٧؛ أم ١٤: ٢٥،٥؛ رؤ ١: ٥)، و"**الآمين، الشاهد الأمين الصادق**" (رؤ ٣: ١٤؛ ١٩: ١١)، و"**أمين هو الله**" (١كو ١:٩) و"**أمين هو الرب**" (٢تس ٣: ٣).

وأمانة الله تعني استقامته الكاملة (مز ٩: ٨؛ ٦٧: ٤؛ ٩٦: ١٠؛ ٩٨: ٩)، وصدقه المطلق (رو ٣: ٤)، والتزامه وثبات وعوده إلى النهاية (٢بط ٣: ٩)، مع دوام محبته (إر ٣١: ٣)، وعدم تراجعه عن كلمته (تك ١٨: ١٤)، وحُكْمه بالحق والعدل (مز ٩: ٨؛ ٩٦: ١٣؛ ٩٨: ٩؛ أع ١٧: ٣١) بغير محاباة (رو ٢: ١١؛ أف ٦: ٩؛ ١بط ١: ١٧).

+ وتتغنَّى أسفار العهد القديم **بأمانة الله** الكاملة والدائمة والمطلقة:

"**إله أمانة** لا جور (ظلم) فيه" (تث ٣٢: ٤)؛

"**الرحمة والأمانة** تتقدمان أمام وجهك" (مز ٨٩: ١٤)؛

"إلى دور فدور **أمانته**" (مز ١٠٠: ٥)؛

"أعمال يديه **أمانة وحق**" (مز ١١١: ٧)؛

"**أمانة الرب** إلى الدهر" (مز ١١٧: ٢)؛

"البر منطقة متنيْه، **والأمانة** منطقة حقوَيْه" (إش ١١: ٥)؛

"مقاصدك منذ القديم **أمانةٌ وصِدْق**" (إش ٢٥: ١).

+ وفي المسيح يسوع تتجلَّى **أمانة الله** كاملة. ففيه تحقَّقت كل مواعيد الله: "**لأنه مهما كانت مواعيد الله، فهو فيه** (في المسيح) **النَّعَم وفيه الآمين لمجد الله**" (٢كو ١: ٢٠)، وبه وفيه تمَّ **الوعد بالخلاص** (يو ٢: ١٦): "**الذي أحبنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه**" (رؤ ١: ٥)، وفيه يحصل المختارون على **الخلاص** "**مع مجد أبدي**" (٢تي ٢: ١٠)، وفيه يثبت المؤمنون إلى النهاية ليكونوا **بلا لوم عند ظهوره**: "... **الذي سيُثبِّتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم في**

يوم ربنا يسوع المسيح. أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا" (٢كو ١: ٨،٩)، **وفي مجيئه الثاني سيدخل مؤمنوه معه إلى المجد المُعدّ لهم منذ تأسيس العالم** (مت ٢٥: ٣٤).

وبحسب **أمانة الله** الدائمة، فكل حقوقنا في المسيح هي مكفولة إن تمسَّكنا نحن أيضاً بخلاصنا، ولكن أيضاً بحسب أمانته فهو سيُنكرنا في اليوم الأخير إن نحن تنكَّرنا له: **"صادقة هي الكلمة أنه إن كنا قد مُتنا معه فسنحيا أيضاً معه. إن كنا ننكره فهو أيضاً سيُنكرنا. إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن يُنكر نفسه"** (٢تي ٢: ١١-١٣). والقديس بولس في رسالته إلى رومية يؤكِّد هذا: **"فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء. أفلعل عدم أمانتهم يُبطل أمانة الله، حاشا. بل ليكن الله صادقاً، وكل إنسان كاذباً"** (رو ٣: ٣،٤).

(٢) أمانة الله في تدبيره خلاص الإنسان

تتبدّى **أمانة الله** في إخلاء المسيح نفسه وطاعته حتى الموت، موت الصليب (في ٢: ٨)، وقبوله بكل تبعات الخلاص بحمل خطايانا وهو **"البار من أجل الأَثَمَة"** (١بط ٣: ١٨)، واحتمال التعيير والإهانة والآلام بأنواعها، وخيانة الأصدقاء المحبوبين، وفي النهاية مضى صامتاً كشاة تُساق إلى الذبح (إش ٥٣: ٧). فهو من أجل **أمانته** الكثيرة (مرا ٣: ٣) حقَّق خلاصنا: "رئيس كهنة **أميناً في ما لله**، حتى يُكفِّر خطايا الشعب" (عب ٢: ١٧)، "لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته **المسيح يسوع حال كونه أميناً للذي أقامه**" (عب ٣: ١)، **"لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب"** (في ٢: ٩-١١).

(٣) كلمة الله صادقة، ووعوده أمينة لا تراجُع فيها

أمانة الله تنعكس على كلمته فهي صادقة، وعلى وعوده فهي أمينة ثابتة ولا تسقط إلى النهاية مهما كان تراجعنا أو ضعف أمانتنا، وهذا يساند رجاءنا ويحفظ مصيرنا لأنه في يد "**الأمين الصادق**" الذي لا يكذب:

"ليكن الرب بيننا **شاهداً صادقاً وأميناً**" (إر ٤٢: ٥)؛

"**كل وصاياك أمانة**" (مز ١١٩: ٨٦)؛

"**يذكر إلى الأبد عهده**" (مز ١١١: ٥)؛

"السماء والأرض تزولان، ولكن **كلامي لا يزول**" (مت ٢٤: ٣٥)؛

"**قد أنجزت وعدك، لأنك صادق**" (نح٩: ٨)؛

"**أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً**" (١تس ٥: ٢٤)؛

"لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، **لأن الذي وعد هو أمين**" (عب ١٠: ٢٣)؛

"هذه الأقوال **صادقة وأمينة**" (رؤ ٢١: ٥).

وأمانة الله في وعوده وصدق كلمته هي ضمان خلاصنا، ونوالنا الحياة الأبدية (يو ٣: ١٦؛ ١يو ٥: ١١)، ورفقة الرب معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر (مت ٢٨: ٢٠)، واستجابته لطلباتنا (مت ٧: ٧،٨)، وسد كل أعوازنا (مز ٢٣: ١)، وأيضاً سلامنا وراحة قلبنا ويقيننا أننا في أيدٍ أمينة ثُقبت بسبب محبته لنا:

+ كانت **حنَّة** (أم صموئيل النبي) مُرَّة النفس تتوق أن يكون لها ولد، ووقفت في الهيكل تسكب نفسها أمام الرب، وسمعت وعد الله على لسان عالي الكاهن: "**اذهبي بسلام، وإله إسرائيل يُعطيك سؤلك الذي سألته**". يقول الكتاب إنها: "**مضت في طريقها وأكلت ولم يكن وجهها بعد مُغيَّراً**" (١صم ١: ١٨)، **فقد اعتمدت حنَّة على أمانة الرب**. وفي مدار السنة حبلت وولدت **صموئيل** الذي قدَّمته بعد فطمه "عارية للرب" (١صم ١: ٢٨).

+ **وخادم الملك** الذي جاء يطلب من المخلِّص أن ينزل معه من كفر ناحوم إلى اليهودية ليشفي ابنه المشرف على الموت، وسمع الرب يقول له: "**اذهب، ابنك حيٌّ**"؛ آمن من فوره بالكلمة التي قالها الرب يسوع وذهب مطمئناً وبلغ بيته في اليوم التالي. ولم يتعجَّب عندما علم من عبيده عند استقبالهم له أن ابنه شُفِيَ في نفس الساعة التي قال له فيها الرب إن ابنك حي (يو ٤: ٤٦-٥٣). **فقد اعتمد الرجل على صدق كلمة الرب.**

+ وكان **بولس الرسول** في سفينة تُصارع الأمواج والأعاصير، وهي تشق طريقها في البحر إلى روما لمحاكمته، فظهر له ملاك الرب يُبشِّره بالنجاة وسلامة الوصول. **ومعتمداً على أمانة الله وصدق وعده،** نقل **القديس بولس** الرسالة إلى مَن حوله أنه "لا تكون خسارة نفس واحدة منكم، إلا السفينة... **لأني أُومِن بالله أنه يكون هكذا كما قيل لي**" (أع ٢٧: ٢١-٢٦).

(٤) أمانة الله في غفرانه للتائبين

الله يُعلن دوام **أمانته** وصدق وعده في غفرانه للتائبين مهما كان بؤس ماضيهم. وهو الذي أتاح بدم الصليب حق الغفران لكل الخطاة القابلين خلاصه. والكتاب يُسجِّل هنا أنه "إن اعترفنا بخطايانا فهو **أمين وعادل،** حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم" (١يو ١: ٩)، ويُسجِّل قول الرب: "**هل مسرَّةً أُسرُّ بموت الشرير... إلاَّ برجوعه عن طرقه فيحيا**" (حز ١٨: ٢٣؛ ٣٣: ١١)، "**قد محوْت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك**" (إش ٤٤: ٢٢).

وعن عهده الجديد يقول الرب: "**لأني أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد**" (إر ٣١: ٣٤؛ عب ٨: ١٢). فهي قدرة الله القدوس **وأمانته** التي لا يُسبَر غورها، أنه في غفرانه لخطايا التائبين لا يعود يذكرها، وهو ما لا يستطيعه الإنسان مع الجهد [وفي مَثَل **العبد الرديء** الذي ساقه لنا الرب،

تظهر قسوة الإنسان وعدم رحمته لأخيه الإنسان، وكيف يصعب عليه الغفران (مت ١٨: ٢٣-٣٤)].

والرب في كرازته بالخلاص يؤكِّد **أنه لم يأت "ليدين العالم، بل لـيُخلِّص العالم"** (يو ٣: ١٧)، وأنه **"قد جاء ليطلب ويُخلِّص ما قد هلك"** (لو١٩: ١٠)، وأنه **"لم يأتِ ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة"** (مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧؛ لو ٥: ٣٢).

ورغم كراهية الرب للخطية فإنه لم يُظهِر إلاَّ كل رحمة وحب وإشفاق على مَن تعامل معهم من الخطاة مهما كانت خطيتهم.

+ فهو لم يتحفَّظ من لقاء **المرأة الخاطئة** المعروفة في المدينة، بل امتدح محبتها الكثيرة مقابل ضيافة الفرِّيسي الفقيرة له، وأعلن غفرانه خطاياها الكثيرة وأن تمضي بسلام (لو ٧: ٣١-٥٠)؛

+ والرب وحده هو الذي وقف إلى جانب **المرأة التي أُمسِكَت في زنا**، وواجه مَن أدانوها بخطيتهم وأجبرهم على الانسحاب أذلاَّء بعد أن ألقوا بحجارتهم وقد سقطت حجتهم، وفي انكسارها وجدت المرأة أمامها مَن ينهضها من ظلمة حياتها، ويردُّ إليها كرامتها وبراءتها الأولى قائلاً لها: **"ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تُخطئي أيضاً"** (يو ٨: ١-١١)؛

+ وهو الذي عامل **زكَّا** رئيس العشَّارين المنبوذ من الجميع بمودة ظاهرة متقابلاً مع رغبته في معرفة الرب، وهو الذي دعا نفسه ليكون ضيفاً عليه في بيته "فأسرع (زكَّا) ونزل (من على الجميزة) وقبله فَرِحاً". وعلى الفور كشف عن تغيير حياته إلى الضد وسمع صوت الرب: **"اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم"**، أي أنَّ لكل خاطئ حقّاً في العودة إلى بنوَّة الله إنْ أراد (لو ١٩: ١-٩)؛

+ **واللص** الذي عاش حياته يقتات من خطيته، جاءت لحظة خلاصه وهو

مُعلَّق على الصليب في يومه الأخير إلى جانب مخلِّص العالم في ساعته الأخيرة. والرب التقط رجاءه الأخير أن يذكره عند مجيئه ليمحو كل ماضيه المشين ويُبشِّره بدخوله الفردوس في ذات اليوم.

فأيُّ فرحٍ صار للعالم ولكل الخطاة من دوام **أمانة الله** وبقائه عند وعده في الغفران للخطاة مهما عظمت خطاياهم، ومهما تأخرت توبتهم حتى ساعة موتهم، وهو يُنادي قائلاً: **"ليترك الشرير طريقه، ورجل الإثم أفكاره، وليتُب إلى الرب، فيرحمه؛ وإلى إلهنا، لأنه يُكثر الغفران"** (إش ٥٥: ٧)، ويُعلن لكل خاطئ **"محبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة"** (إر ٣١: ٣).

موقف الله منَّا هو موقف الأب في مَثَل **الابن الضال** الذي ظل ينتظر عودة ابنه **"وإذ لم يزل بعيداً رآه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبَّله"** (لو ١٥: ٢٠). فبرجوع الخاطئ ينتهي اللوم والمؤاخذة والعقاب، ولا يبقى غير الحفل والحُلَّة الأولى والفرح والسرور للميت الذي عاش والضال الذي وُجد.

(٥) أمانة الله في مساندته لنا في تجاربنا

الله هو **خالقنا الأمين** (١بط ٤: ١٩) الذي يُنادينا في لطفه **"أنا أنا مُعزِّيكم"** (إش ٥١: ١٢)، و**"كإنسان تعزِّيه أُمه هكذا أُعزِّيكم"** (إش ٦٦: ١٣)، ومكتوب عنه أنه **"يُعزِّينا في كل ضيقتنا"** (٢كو ١: ٤).

والرب في **أمانته** يتعهَّد أن يكون معنا في تجاربنا، ولأنه ذاق الألم ويعرفه فهو مِن ثمَّ **"يقدر أن يُعين المجرَّبين"** (عب ٢: ١٨). وهو يُشارك محبيه في ضيقهم ويتدخل لخلاصهم (إش ٦٣: ٩). وهو كضابط الكل، ففي **أمانته** والتزامه بالمؤمنين، يتدخل لضبط شدة التجربة كي لا تتجاوز حدودها المرسومة للتعامل مع درجة احتمال المجرَّبين. وهو في الوقت المناسب، بعد أن تؤدِّي التجربة غرضها في تزكية إيمان ورجاء أولاده، يفتح منفذاً للانفراج وبلوغ النهاية: **"لم تُصبكم تجربة إلاَّ بشرية** [فالله "غير مجرَّب بالشرور، وهو لا

يُجرِّب أحداً" (يع ١: ١٣)]، **ولكن الله أمين الذي لا يَدَعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا"** (١كو ١٠: ١٣).

ولكن تدخُّل الله وقت التجارب لا يمنحنا رخصة للمغامرة بالدخول في التجارب [ذلك أن الإنسان **"يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته"** (يع ١: ١٤)]. هذه طياشة نتحمل نتائجها. **وعيسو** ابن إسحق، في استخفافه ببكوريته، باعها لأجل أكلة واحدة، ومن هنا لما أراد أن يرث البركة ذاق مرارة استباحته و"رُفض، إذ لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها (أي البركة) بدموع" (عب ١٢: ١٦،١٧)، ولم تشفع له **أمانة الله**. فالله الأمين يتدخل حتماً لصالح الأمناء ويساندهم في تجاربهم التي يثيرها عليهم العدو ويُعوِّضهم بالكثير؛ أما إذا كانوا قد انخدعوا وشاركوا بصورةٍ ما في دخولهم التجربة (كما فعل الابن الضال)، فالله سيُنقذهم، ولكن بعد أن ينجرحوا بأشواكها السامة ويُعانوا علقمها، بالدرجة التي تتيح توبتهم ورجوعهم للسيِّد الذي سيمسح دموعهم ويضمد جراحهم، وفي أسماع كل منهم صوته **"فلا تُخطئ أيضاً، لئلا يكون لك أشر"** (يو ٥: ١٤).

أمانة الله هي رجاؤنا وقت التجارب مهما اشتدَّت فلا نضطرب ساعتها، ولنتصدَّى لإيحاءات إبليس الشريرة بأن الله قد أغلق قلبه إزاءنا، أو أنه أبعد من أن يهتم بأحوالنا أو يُسرع إلى نجدتنا. فالله الذي بلغ عطاؤه أن بذل ابنه لأجلنا **"كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء"** (رو ٨: ٢٩).

(٦) وعد الله ثابت وأمين بدخول مؤمنيه معه في المجد

عندما يتصل الأمر بالمصير، فلا يسندنا هنا غير **الخلاص** الذي تمَّمه الرب يسوع، **وأمانة وعود الله** في أنَّ **"مَن يؤمن بالابن له حياة أبدية"**

(يو ٣: ١٦،٣٦):

"وهذه هي الشهادة، أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. مَن له الابن فله الحياة، ومَن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (١يو ٥: ١١،١٢)؛

"مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو ٥: ٢٤)؛

"أنا هو القيامة والحياة. مَن آمن بي ولو مات فسيحيا" (يو ١١: ٢٥)؛

"وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣)؛

"وهذا هو الوعد الذي وعدنا به: الحياة الأبدية" (١يو ٢: ٢٥).

وفي وعود الرب الأخيرة **"لَمن يغلب"**، أي مَن يثبت إلى النهاية متمسِّكاً بإيمانه وتبعيته للمخلِّص، صوراً متعددة لمجد الحياة الأبدية التي يهبها **"الأمين الصادق"** "للأمين الغالب"، فهو سيُعطيه أن يأكل من **"شجرة الحياة"** (رؤ ٢: ٧)، ومن **"المنّ المُخْفَى"** (رؤ ٢: ١٧)، وأن "يلبس **ثياباً بيضاً**" (رؤ ٣: ٥)، ويجعله **"عموداً في هيكل الله"** (رؤ ٣: ١٢)، بل وأن **"يجلس مع الابن في عرشه"** (رؤ ٣: ٢١)، وأن **"يرث كل شيء"** (رؤ ٢١: ٧). وشكراً لإلهنا لأن **"أمانته إلى الدهر"** (مز ١١٧: ٢).

❊ ❊ ❊

هذه فقط بعض من جوانب **أمانة الله** التي لا تُستقصَى، وهي ضمان نجاتنا في تجارب الحياة، ورجاؤنا في غفران خطايانا، وسندنا في عبور بحر العالم بسلام، وباعث يقيننا في خلاصنا الأخير عند استعلان إلهنا **"الأمين"**، كما أنها

ترسم لنا طريق **الأمانة** التي أوصانا أن نحيا بها.

كن أميناً

تناول المقال السابق "**أمانة الله**" باعتبارها طبيعته ككلِّي الفضائل ومصدرها. والله يُقدِّم نفسه النموذج والمثال "**تعلَّموا مني**" (مت ١١: ٢٠) عندما طالبنا أن نكون **أمناء**[١] **حتى الموت** (رؤ ٢: ١٠)، فهو ظل **أميناً** على تدبيره الخلاصي ولم يهرب من الموت "**الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها**" (يو ١٨: ١١)، وأطاع حتى رُفِعَ على الصليب، وبموته داس الموت "**لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم**" (في ٢: ٩)؛ وهو يَعِدنا أيضاً، إن ظللنا أمناء إلى المنتهى، أن ننال **إكليل**

(١) العلاقة اللفظية واضحة بين "**الإيمان**" Faith و"**الأمانة**" Faithfulness، فهما من جذر واحد، ولا يختلفان (في العربية) إلاَّ في حرف واحد. كما أن **الإيمان** من ناحية المعنى اللغوي يتضمن الالتزام **الأمين** بمَن وبما نؤمن به والثبات على ما تعلَّمناه (٢تي ٣: ١٤). والعلاقة الروحية بين الإيمان والأمانة أكثر وضوحاً والتصاقاً، فالمؤمن الحقيقي يظل أميناً لمخلِّصه ووصاياه، مُنصتاً إلى وعده "**كُنْ أميناً إلى الموت، فسأُعطيك إكليل الحياة**" (رؤ ٢: ١٠).

الحياة (رؤ ٢: ١٠).

الرب يُعلِّم عن الأمانة

والرب أشار كثيراً إلى الالتزام **بالأمانة** في تعاليمه، خاصة تلك الأخيرة قبل الصليب:

+ فهو عندما يتكلَّم عن مجيئه الثاني للدينونة، يُقدِّم نفسه كسيِّد سافر زماناً طويلاً ثم عاد ويبدأ في حساب عبيده، فيُجازي "العبد **الأمين الحكيم**"، الساهر المستعد، حسناً؛ أما العبد **الرديء** المستهتر اللاهي الذي يُفاجَأ بعودة سيده، فهو ينال العقاب (مت ٢٤: ٤٥-٥١؛ لو ١٢: ٤٢-٤٦).

+ وفي مَثَل **الوزنات** يشير الرب إلى نهجَيْن في التصرُّف فيما حبانا الله من هبات: فالعبدان اللذان استثمراها حسناً لحساب الله وخير الناس سمَّى كلاًّ منهما "العبد **الصالح والأمين**"، وكانت لهما المكافأة؛ والعبد الذي طمر مواهب الله وجمَّدها و لم تفرز حياته إلاَّ شرّاً سمَّاه "العبد الشرير والكسلان" الذي رفضه وطرحه في الظلام. وكان نص الحُكْم للفريقين: **"أن كل مَن له يُعطى فيزداد، ومَن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه"** (مت ٢٥: ١٤-٣٠؛ لو ١٩: ٢٦).

الأمانة التي يُطالب الله بها الإنسان، كما نرى، تعني الثبوت في حق الله والالتزام به والمحافظة عليه والسلوك بحسبه عبادةً وعملاً وكلاماً وسلوكاً بالاستقامة كل الحياة، وحُسن استخدام ما نلناه من نِعَم ومواهب. وهي إفراز طبيعي لحياة **الإيمان والمحبة**؛ فالمؤمن الحقيقي يسلك بالأمانة طائعاً سيده، وفي محبته له يحفظ وصاياه ويلتزم بها: **"الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني... إن أحبني أحد يحفظ كلامي... أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به"** (يو ١٤: ٢١،٢٣؛ ١٥: ١٤).

والرب يشير إلى أن الأمانة لا تتجزأ، وهي تكون في الأمور الجوهرية والثانوية على السواء: **"الأمين في القليل أمين أيضاً في الكثير"** (لو ١٦: ١٠). كما أن مَن يحرص على الأمانة في الأمور الصغيرة من الطبيعي أن يسلك أيضاً

بالأمانة في الأمور الهامة والمصيرية. من هنا تكون المفارقة صارخة وصادمة عندما تقتصر الأمانة على الأمور الهامشية، ويأتي الاستهتار والاستهانة في القضايا الرئيسية. والرب أدان الكتبة والفرِّيسيين الذين كانوا يُدقِّقون في تعشير النعنع (والسذَّاب) والشبث والكمون (وكل بقل)، وفي نفس الوقت يهملون "**أثقل** (ما في) **الناموس**"، أي أساسه ومركز الثقل فيه "**الحق والرحمة والإيمان (ومحبة الله)**" (مت ٢٣: ٢٣؛ لو ١١: ٤٢).

كما أنه ليس مقبولاً أن يُعتدَّ بالأمانة في الأمور الرئيسية وحدها، ويسود التسيُّب والتساهُل فيما يعتبره البعض أموراً ثانوية يُغَضُّ الطرف عنها: كأخطاء اللسان التي تتزلق بسهولة أثناء الكلام، والحنث بالوعود، وعدم الالتزام بالمواعيد بغير مبرر، وأَخذ ما ليس لنا أو أكثر مما نستحق، وغيرها.

وهذه كلها، وإن بَدَت للبعض أشياء هيِّنة لا تستحق الاهتمام، لكنها في الحقيقة مؤشر على أن الوهن يدبُّ في البنيان الروحي، وأن النفس تتجه إلى الدخول من الباب الواسع إلى الطريق الرحب السهل المؤدِّي في نهاية المطاف إلى الهلاك (مت ٧: ١٣؛ لو ١٣: ٢٤)؛ ولا مفرَّ، إن أرادت النفس الحياة، من الرجوع والتوبة لمنع السقوط الكبير. على أيِّ حال، فالكتاب يُحذِّر من "الثعالب الصغيرة" (نش ٢: ١٥)، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر.

مجالات الأمانة

مجالات الأمانة تغطِّي كل الحياة، ولكننا نعرض هنا لجوانبها الرئيسية:

(١) الأمانة في العبادة

الوحي الإلهي منذ القديم يوصينا على لسان كل من يشوع بن نون وصموئيل النبي أنْ: "**اخشوا** (اتقوا) **الرب واعبدوه بكمال وأمانة**" (يش ٢٤: ١٤؛ ١صم ١٢: ٢٤). فالأمانة في العبادة تقتضي مخافة الله ومحبته وعدم انقسام القلب، وحياة القداسة والتدقيق.

كما أن الالتزام بمخافة الله يحضُّ على الأمانة في كل أنشطة الحياة ويدعمها، ويصير إرضاء الله لا الناس هدف كل عمل: **"فلو كنت بعد أُرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح"** (غل ١: ١٠).

الأمانة في العبادة تقتضي أيضاً أن تكون بالروح والحق (يو ٤: ٢٤)، وبالمواظبة والسهر (مت ٢٦: ٤١؛ مر ١٣: ٣٣،٣٧؛ ١٤: ٣٨)، وأن تقدَّم لله وحده، وأن تكون تعبيراً عن برِّ الإيمان (عب ١١: ٦)، وتفعيلاً لمحبة الله والقريب، وأن يكون الملكوت لا الأرض هو غاية الجهاد.

(٢) الأمانة في الإيمان

والمقصود هنا التمسك بإيماننا المسيحي كما تسلمناه من الآباء وكما هو في الإنجيل، وألاّ نسمح لأي ضغط سواء كان اضطهاداً أو إغراءً بالمال أو الشهوة أو تهديداً بالقتل، أن يدفعنا لإنكار عقيدتنا في المسيح الحق والحياة: **"إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا"** (٢تي ٢٠: ١٢).

على العكس، فهذا هو وقت الشهادة الأمينة للمخلِّص والمجاهرة بالإيمان في وجه المقاومين[٢]، وقبول آلام الشهادة بالصبر والشكر، ومقاومة عمل إبليس حتى النَّفَس الأخير، مقتدين بتلميذَي الرب بطرس ويوحنا اللذين لم يرهبهما التهديد ألاَّ يُعلِّما باسم يسوع ونقول معهما: **"نحن لا يمكننا أن لا نتكلَّم بما رأينا وسمعنا** (وتعلَّمنا واختبرنا)" (أع ٤: ٢٠)، ومنصتين إلى الوصية **"كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً**

---

(٢) بين أمناء **العهد القديم** يتألق **"الفتية الثلاثة"** و**"دانيال"** وقت السبي. أما **الفتية** فقد قادتهم **أمانتهم** ورفضهم السجود للتمثال إلى أتون النار المتقدة. ولكنها لم تفعل أكثر من أنها حررتهم من وثاقهم. فتمجد إلههم بهم (دا ٣). أما **دانيال** فرغم أنه صار الوزير المقرّب من الملك داريوس، ولكن لأنه **"كان أميناً ولم يوجد فيه خطأ ولا ذنب"** (دا ٦:٤) جاهر بإعلان إيمانه بالله وتضرعه قدامه وليس أن يطلب من الملك، ولم يبال بأن يفقد مكانته عنده، وكان أن طُرح في جب الأسود. ولكن الله الذي يعبده أظهر مجده و**"أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود"**. أما الذين اشتكوا دانيال فهم وذووهم من صاروا طعاماً للأسود (دا ٦:١-٢٤).

مبتهجين. إن عُيِّرتم باسم المسيح، فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحلُّ عليكم، أما من جهتهم فيُجدَّف عليه، وأما من جهتكم فيُمجَّد" (١بط ٤: ١٣، ١٤).

وعلى نهج السيِّد الذي قَبِلَ الصليب والموت من أجلنا، وتلاميذه وشهدائه الذين قدَّموا حياتهم للصلب والسيف والسهام والنار والأحجار والوحوش، لا يزال خدام الرب يبذلون حياتهم من أجل الكرازة باسمه[٣]؛ بل إن بعض عامة المؤمنين يتم اغتيالهم في أنحاء مختلفة من العالم لمجرد أنهم مسيحيون[٤].

(٣) الأمانة في الخدمة

الأمانة أحد أعمدة الخدمة الأساسية، حيث الراعي والخادم الصالح يبذل نفسه من أجل مخدوميه، يتقدَّمهم روحياً ويفتقدهم ويسعى وراء الضال. والكتاب يُسجِّل أمانة الآباء، فهذا **النبي موسى** يقول عنه الرب: "... بل هو **أمين** في كل بيتي" (عد ١٢: ٧؛ عب ٣: ٢، ٥).

ويتغنَّى اللاويون بأمانة **إبراهيم** أبي الآباء في صلاتهم، فيقولون: "أنت هو الرب الإله الذي اخترت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين وجعلت اسمه إبراهيم، ووجدت قلبه **أميناً** أمامك" (نح ٩: ٧، ٨).

ويشهد سفر الأعمال بأمانة خدمة **الرسل**، وكيف يتعرضون للاضطهاد والمحاكمات والسجن والآلام، ولكنهم يحتملون ويبشرون ولا يصمتون. ويُرجم اسطفانوس (أع ٧: ٥٨) ويُذبح يعقوب بن زبدي (أع ١٢: ٢)، ولكن

---

(٣) حملت إلينا الأخبار مؤخراً (أغسطس ٢٠١٠) أن سبعة من الأطباء ومساعديهم، الذين تطوَّعوا بلا أجر في منظمة مسيحية خيرية للمساعدة الدولية لتقديم المعونات وعلاج المرضى الفقراء وسط النيران في جبال وأودية أفغانستان، قد فقدوا حياتهم ذبحاً في كمين نصبه لهم مجاهدو طالبان باعتبارهم مبشِّرين بالمسيح، وكانت من بين الضحايا طبيبة بريطانية (كارين وو - ٣٦ سنة) لم يشغلها عن خدمتها زفافها الذي كان سيحلُّ بعد أسبوع!

(٤) هذا جرى في باكستان والعراق وفلسطين وتركيا والجزائر ، ومؤخراً في صعيد مصر والإسكندرية.

الخدمة تسير وتمتد من أورشليم ودمشق وأنطاكية إلى آسيا الصغرى وأوروبا، وفي النهاية يُقدِّم الرسل حياتهم على مذبح الاستشهاد دليل أمانتهم "إلى الموت" حباً في الملك المسيح.

والقديس بولس بالذات، في معرض دفاعه عن إرساليته، يكتب عن جوانب خدمته الأمينة ويذكرها بكل اتضاع مؤكّداً على عمل نعمة الله التي ساندته وكَفَتْهُ وقوة الله التي أكملت ضعفه (٢كو ١١: ٢٢-٣٠؛ ١٢: ٩). ومن السجن كتب رسائل الفرح والتعزية للكنائس التي خدمها ليلاً ونهاراً منذراً بدموع كل واحد (أع ٢٠: ٣١)، مهتمّاً بالخراف الضالة: **"مَن يضعف وأنا لا أضعف. مَن يعثر وأنا لا ألتهب"** (٢كو ١١: ٢٩)، ومحتضناً فقراء الكنيسة (رو ١٥: ٢٥؛ ١كو ١٦: ١-٣؛ عب ٦: ١٠).

هذه هي مواصفات الخدمة الأمينة التي يسعى كل خادم للمسيح أن يُمارسها، فطعامه وراحته أن يعمل مشيئة الله ويُتمِّم عمله كسيِّده (يو ٤: ٣٤).

وإذا كان الكاهن والخادم الأمين بركة لشعبه ومخدوميه، وتوفيقه في تدبير أمور أسرته الصغيرة ينعكس إيجابياً على خدمته، فإن تقصيره وتعثُّر أمور بيته تفسد خدمته، وتضعه تحت طائلة تأديب السيِّد. وقد نال عالي الكاهن التوبيخ على إهماله شأن ابنيه اللذين عاثا فساداً، وعُزل من خدمته وجاءه صوت الله: "وأُقيم لنفسي **كاهناً أميناً** حسب ما بقلبي ونفسي وأبني له **بيتاً أميناً**، فيسير أمام مسيحي كل الأيام" (١صم ٢: ٣٥).

والأخبار المحزنة التي تُفجعنا بين الحين والحين عن شباب يُنكرون الإيمان، تكشف عن قصور الخدمة والرعاية وعدم الدراية بما تُعانيه بعض البيوت روحياً واجتماعياً، فضلاً عمَّا تتعرض له من مؤامرات عدو الخير وضغوطه.وهكذا

تُفاجئنا هذه الانفجارات التي لم تسلم منها حتى بيوت بعض الخدام. ولعلها تفتح أعيننا على الأخطار المحيطة بنا وعن الحاجة إلى مضاعفة الجهد لحماية الخراف من الذئاب بالخدمة الساهرة الأمينة، خاصة في النجوع والقرى والمناطق العشوائية ومساندة الطبقات الضعيفة المحاصرة بين شقَّي الرحَى.

(٤) الأمانة في التعليم

الأمانة في التعليم ضرورة قصوى ليظل الإيمان على نقاوته وأصالته ولتسليمه صحيحاً للأجيال التالية. والكتاب يحثنا أن نثبت على ما تعلَّمناه (٢تي ٣: ١٤)، وأن نُعلِّم بأمانة ما تسلَّمناه ونودِعه آخرين أمناء أيضاً (٢تي ٢: ٢).

ومن ناحية أخرى، يُحذِّر القديس بولس المؤمنين من التعليم المنحرف أو اتِّباعه حتى لو جاءهم منه هو: "**ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما** (محروماً)" (غل ١: ٨).

وهو يوصي الكنيسة مُشدِّداً أن تنذر المبتدعين، فإن لم يرتدعوا تعرض عنهم وتتركهم لمصيرهم: "**إن كان أحد يُعلِّم تعليماً آخر لا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي حسب التقوى، فقد تصلَّف وهو لا يفهم شيئاً. بل هو متعلِّل بمباحثات ومماحكات الكلام، التي منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية... تجنَّب مثل هؤلاء**" (١تي ٦: ٣-٥)، "**نوصيكم، أيها الإخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تتجنَّبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه منَّا**" (٢تس ٣: ٦)، "**الرجل المبتدع بعد إنذاره مرة ومرتين، اعرض عنه، عالماً أن مثل هذا قد انحرف وهو يُخطئ محكوماً عليه من نفسه**" (تي ٣: ١٠، ١١).

(٥) الأمانة مع النفس

المقصود هنا أن يعرف الإنسان قدراته ويحترمها ولا يتجاوزها و"**ألاَّ يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل**" (رو ١٢: ٣). فالمبالغة في تقدير النفس، والتطلُّع إلى ما لا نستطيعه، والسعي للمكان الأول كغاية في حدِّ ذاته، دائماً ما يقود إلى المتاعب. والرب يحثنا على الاتضاع تمثُّلاً به (مت ١١: ٢٩)، وأن نختار الموضع الأخير (لو ١٤: ١٠)، مؤكِّداً أن "**مَن يضع نفسه يرتفع**" (مت ٢٣: ١١؛ لو ١٤: ١١؛ ١٨: ١٤)، وينال نعمة من الرب (يع ٤: ٦؛ ١بط ٥: ٥)، وفي نفس الوقت "**يُقاوم الله المستكبرين**" ويحكم أن "**كل مَن يرفع نفسه يتضع**".

وفي تعاملنا مع النفس، علينا أن نُنحِّي المجاملة والتبرير جانباً، إن أردنا إصلاحها بالفعل. فالتغاضي عن عيوب النفس وقصورها أو التهوين من شأنها هو كمَن يخفي مرضه وينكره فلا يُعالجه، وتكون النتيجة تأصُّل الضعف وربما تعذُّر الشفاء. أخْوف ما نخافه هنا أن تبقى العيوب ويأتي الرياء وازدواج الحياة فيصير الخرق أردأ. وقد تحتاج النفس إلى لطمة قاسية كي تفيق وتطلب التوبة!

(٦) أمانة الحواس

خاصة النظر والسمع والكلام، وهي النِّعَم التي ينبغي أن يشكر الله عليها كل مَن يتمتع بها، فهناك الملايين في العالم ممَّن حُرموا منها، فتعطَّل اتصالهم بما ومَن حولهم، ومن هنا فيجدر توظيفها بكل أمانة كي لا تصير أداة للشر.

فالعين المختونة بالروح، ضمن الجسد الذي هو لله (١كو ٦: ٥)، تُبارك كل ما تراه وهي لا ترى في الوجود إلاَّ كل ما يُمجِّد الله، متعففةَ عن النجاسة(٥)، كما تحترم خصوصية الآخر فلا تقتحم غيرها، أو تشتهيه أو

---

(٥) يبرز أمامنا هنا موقف **يوسف** الشاب العبراني المتغرب الذي غلبت أمانتهُ مراودةَ سيدته وقسوة الظروف التي أحاطت به، وصارت قولته "**كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء إلى الله**" (تك٣٩:٩) شعاراً على مدى الأجيال لكل من يجاهد كي يبقى أميناً لله.

تشتهي ماله، أو تتجسس عليه؛ **والأُذن** تسعد بكل ما هو طيِّب وخيِّر، وهي ترفض كلام القباحة والسفاهة والوشاية والاغتياب؛ **واللسان** يُصلِّي ويُسبح ويشكر، ويبني ويُعزِّي، ويُعلِّم، ويُخبر، ويشهد للحق، ويُعبِّر عن الحب والفرح، ولكنه -وقد تحلَّى بالأمانة - يُدقق في كل قول، فلا يكذب أو يحلف أو يشتم أو يُراوغ أو يُقبِّح أو يثرثر، ولا يتكلم فيما لا يعرف، ولا يضيف ولا يحذف فيما ينقل (إلاَّ لقصد طيب)، ولا يتقوَّل على أحد، ولا يظن السوء، ولا يحتدّ، وقانونه (يع ١: ١٩) أن يكون **مُسرعاً في الاستماع** (مستجيباً مَن يحتاجه)، ولكن **مُبطئاً في التكلُّم** (كي يتحكَّم فيما يقول)، **مُبطئاً في الغضب** (لئلا يتجاوز الوصية أو يهين المحبة).

(٧) الأمانة في الوقت والصحة والمواهب

وهي ما أشار إليه الكتاب **بالوزنات** (مت ٢٥: ١٤-٣٠؛ رو ١٢: ٦-٨؛ ١كو ١٢: ١-٣١)، فهذه كلها نِعَمٌ ينبغي الحرص عليها وحمايتها وعدم تبديدها فيما لا يفيد، بل استثمارها الاستثمار الصحيح من أجل مجد الله وخدمة العالم. غير ذلك ليس من الأمانة: كمَن يُبدِّد عمره المحدود في اللهو الفارغ واللذة والكسل، أو يهدر وقته في المكالمات والهذر، أو أمام شاشات التليفزيون والكومبيوتر للتسلية، فلا يبقى إلاَّ القليل للصلاة ومعرفة الكلمة والدراسة وتنمية الذهن وخدمة الوطن والمجتمع والكنيسة؛ أو مَن يُدمِّر صحته بالنهم والأغذية الضارة، أو إدمان التدخين والخمور والمخدرات؛ أو مَن يستخدم ذكاءه في الشر وتدبير الجرائم، رغم الوصية: **"إن كان أحد يُفسد هيكل الله فسيفسده الله، لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو"** (١كو٣:١٧).

(٨) الأمانة في المال

أسلوب التصرف في المال يكشف عن توفُّر الأمانة أو غيابها. وأمام المال

ينقسم الناس بين مَن يستخدمه كعطية من الله، ومَن يتعبد له. وهو **للفريق الأول** خادم خاضع مطيع يُتيح لسيده عمل الخير، وبترفُّع السيد عن حاجته إليه تصير الأمانة هي القانون الطبيعي الذي يتم تنفيذه دون مقاومة؛ وهو **للفريق الثاني** سيد متسلط شرير يقود صاحبه إلى الموت.

والقديس بطرس المتجرِّد الذي خلص من سيادة المال صاح في سيمون الساحر، الذي حسب أنه يستطيع أن يحصل بماله على سلطان إيهاب الروح القدس، قائلاً له: **"لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم"** (أع ٨: ٢٠).

والرب في **مَثَل قاضي الظلم** يحسب كل مال في العالم "مال ظلم"، باعتبار أن كل الأموال تختلط في نهاية الأمر، سواء تلك المكتَسَبَة بالشرف والأمانة، أو تلك الآتية بوسائل منحرفة، وطالب الجميع بحُسن استثمارها: **"اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية"** (لو ١٦: ٩).

فالمال، بغض النظر عن مصدره، هو مجرد أداة للاستثمار في عمل الخير (من خلال العشور) والخدمة، ولتكوين علاقات طيبة مع الناس: فنُقدِّم لله من خلال المحتاجين، ونصنع محبة، ونُفرِّح القلوب، ونهدي، ونُعزِّي، ونساند؛ وهكذا يصير ما عملناه بالمال شاهداً لنا في اليوم الأخير: **"بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم... رِثوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم"** (مت ٢٥: ٣٤،٤٠). ويستقبلنا مع الرب الذين خدمناهم وسبقونا إلى المجد ويدعوننا، كما شاركونا في مال الرب من قبل، أن نشاركهم الآن مظالهم الأبدية.

فالمال رغم سطوته وسيطرته على الأفراد والدول والحكومات، مآله في

النهاية إلى التراب، ولكنه يظل مجالاً لاختبار الإيمان والأمانة، ومَن ينجح في استخدامه بالحق والاستقامة يُقيمه الله على الكثير الذي لا يَفْنَى. وبالتالي يأتينا التحذير: "**إن لم تكونوا أمناء في مال الظلم، فمَن يأتمنكم على الحق**" (لو ١٦: ١١)، كما أن أمانتنا في التعامُل مع الآخرين وممتلكاتهم وحقوقهم بغير منٍّ أو إبطاء، يكفل لنا أن نحصل على حقوقنا بناء على القانون الإلهي: "**فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم**" (مت ٧: ١٢؛ لو ٦: ٣١). كما أن أمانتنا في تعاملاتنا هنا، هي أيضاً شرط لحُسن مجازاتنا من الديَّان العادل في اليوم الأخير: "**وإن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير، فمَن يُعطيكم ما هو لكم**" (لو ١٦: ١٢).

والرب يُحذِّرنا من اكتناز المال هنا، وإنما يُشجِّع على استثماره لحساب الله، أي إنفاقه في أعمال المحبة[٦]، فيكون لنا كنز في السماء: **"لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض... بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء... لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً"** (مت ٦: ١٩-٢١؛ لو ١٢: ٣٤)، **"إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب بِعْ أملاكك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتبعني (حاملاً الصليب)"** (متَ ١٩: ٢١؛ مز ١٠: ٢١؛ لو ١٨: ٢٢)، **"لأنكم... قبلتم سلب أموالكم بفرح، عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً"** (عب ١٠: ٣٤).

(٩) الأمانة في الأسرة

الأمانة أساس متين بدءاً من فترة الخطوبة وفي الزواج، وفي التعامُل بين أفراد الأسرة. فالإخلاص والحب بين الزوجين هو القانون: **"إذاً ليسا بعد اثنين بل جسدٌ واحد"** (مت ١٩: ٥؛ مر ١٠: ٨)، والرجل يحب امرأته كجسده وكنفسه (أف ٥: ٢٨،٣٣)، والمقابل الطبيعي أنها تحبه وتُكرمه كاهناً لبيتها لحساب المسيح وإنجيله، وهما يبذلان نفسيهما من أجل أولادهما، وهؤلاء يقتدون بالوالدين في أمور العبادة والتصرُّف والكلام والتعاون. والشجرة تُعرف من ثمرها، فإذا غاب الالتزام الروحي وسادت الأخطاء بين الوالدين ومع الآخرين، انعكس ذلك على أولادهما، فلا يجني الجميع إلاَّ العلقم.

---

(٦) أطلق الملياردير الأمريكي **"وارين بافيت"** (الذي كان قد تبرَّع من قبل بكل ملياراته لـ "مؤسسة **بيل وبيلندا جيتس**" للأعمال الخيرية) مبادرة جديدة في يوليو ٢٠١٠، وحصل حتى الآن على تعهُّد أربعين من أثرياء الولايات المتحدة بالتبرُّع بنصف ثرواتهم عند وفاتهم (أي ما يقرب من ٦٠٠ مليار دولار قابلة للزيادة) للأعمال الخيرية حول العالم. وكان **"بول آلان"**، الذي شارك في تأسيس **"ميكروسوفت"**، قد أعلن قبل هذه المبادرة التبرُّع بمعظم ثروته قبل وفاته (١٣,٥ مليار دولار). وهو اتجاه يُنفِّذ وصية المسيح لاستنقاذ مال الظلم من الضياع دون فائدة.

وتفترض أمانة المسئولية، إذاً، أن يُتقن الوالدان ضبط النفس عند الاختلاف، وأن يُوحِّدا معاملتهما لأولادهما حُبّاً وحزماً وتأديباً، وألاَّ يكون للكذب والكلام الرديء والرياء والشكوك موضع في البيت، وأن يسود الاحترام العلاقة بين الجميع صغاراً وكباراً.

(١٠) الأمانة في المحبة والصداقة

عندما تمتزج **المحبة** بالأمانة تحتفظ بخواصها وتنجو من التزييف، فتكون عطاءً مكتفياً لا ينتظر المقابل، وتُحقِّق بذلك هدف وجودها، وتسترد أرضاً من سيادة الكراهية والأنانية وحب التملُّك والطمع والاستغلال والتعصُّب، وتأخذ بيد الضعيف والفقير والغريب وكل محتاج، وتُضفي على الحياة بعض العدل والفرح والسلام. **والمحبة الأمينة** تهرع إلى مناطق الكوارث: تُنقذ المُحاصرين، وتضمد الجراح، وتخفِّف الآلام، وتؤكِّد أُخوَّة جميع البشر. **المحبة الأمينة** قوية كالموت، هي نار متأجِّجة لا تقدر سيول البغضة مهما عظمت أن تُطفئها (نش ٨: ٦،٧). **المحبة الأمينة** لا تعرف الراحة، وتُرحِّب بالتعب الذي لن يُنسَى قدَّام الله.

المحبة الأمينة تغفر وتسامح وتتنازل (إلاَّ عن الحق) ولا ينفد صبرها، بل تظل تتأنَّى وترفق وتحتمل وتُصدِّق وترجو مؤملة في الخير. **المحبة الأمينة** تنسى نفسها وتستحي أن تتفاخر أو تنتفخ. **المحبة الأمينة** لا تعرف الحسد، بل تفرح لرفعة الآخرين لا لانكسارهم. **المحبة الأمينة** لا تنحاز ولا تتعصب ولا تحتد ولا تظن السوء، بل ترى في كل البشر وجه يسوع المسيح المُحب والمحبوب.

المحبة الأمينة متجرِّدة لا تنتظر شيئاً من الناس، ولكن لو قوبلت بمحبة مماثلة فهو الفرح والغِنَى للاثنتين، وهذه العلاقة لو توثَّقت لأثمرت صداقة تُقاوم الزمن. جائزة المحبة لا تؤخذ من الناس وإنما من الله الذي أحب حتى الموت:

"والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي... وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢١،٢٣).

والصداقة[٧] نعمة كبرى [ويسمِّيها القديس بطرس: **"المودة الأخوية"** (٢بط ١: ٧)]، وقد ترقَى محبة الصديق إلى محبة الأخ، بل وربما تتجاوزها: **"يوجد مُحب ألزق من الأخ"** (أم ١٨: ٢٤). وفي الكتاب نماذج شهيرة في الصداقة الفريدة كتلك التي كانت بين داود ويوناثان، الذي لما قُتِلَ مع أبيه الملك شاول، رثاه داود قائلاً: **"كنتَ حلواً لي جداً"** (٢صم ١: ٢٦). وكان يوحنا بن زبدي أقرب التلاميذ إلى الرب. كما أن صداقة الرب لعائلة لعازر ومرثا ومريم سجَّلها الكتاب: **"وكان يسوع يحب مرثا وأُختها ولعازر"** (يو ١١: ٥)، وكان يزورهم في بيت عنيا؛ ولما مرض لعازر أرسلت الأختان إلى الرب مَن يقول له: "هوذا الذي **تحبه** مريض" (يو ١١: ٣)، ومن ناحيته قال الرب إنَّ: "لعازر **حبيبنا** قد نام (ويقصد أنه مات)، لكني أذهب لأُوقظه" (يو ١١: ١١)، والرب جاء بالفعل وأقامه بعد موته بأربعة أيام (يو ١١: ٤٣)، وفي عشاء حضره الرب ولعازر العائد من الموت، دهنت مريم المُحبة قدمَي الرب بالطِّيب ومسحتهما بشعرها (يو ١١: ٢؛ ١٢: ٣)، ووصف الرب فعلها أنه تكفين مُسبق للرب قبل موته القريب (مت ٢٦: ١٢؛ مر ١٤: ٨؛ يو ١٢: ٧)، فهي صداقة ذات أبعاد خلاصية أيضاً.

والأمانة تدعم الصداقة وتُديمها، وهي البذل والخدمة المتجرِّدة المتبادَلة، والإخلاص وعدم الخيانة ["وفي المودة الأخوية **محبة**" (٢بط ١: ٧)]، والمشاركة في الفرح والمساندة وقت الآلام، والالتزام بالوعود والمواعيد وسهولة التعامُل والتحفُّظ من الانتقاد والعناد والإهانة، وأن يُغلِّف الحب عتاب الصديقين عند

(٧) تناولنا موضوع "**الصداقة**" بكثير من التفصيل في الفصل الأخير من هذا الكتاب (ص١٥٨)

حدوث ما يُعكِّر الصفو، وأن يتسع صدر كل منهما لنصيحة الآخر المُخلصة مهما كانت صادمة طالما هي إفراز المحبة، والكتاب يقول: **"أمينة هي جروح المُحب، وغاشة هي قُبلات العدو"** (أم ٢٧: ٦). فالكلام الطيِّب الذي يُجاملني ويُضلِّلني عن الحقيقة هو غشٌّ وخداع؛ ويقولون: "طوبى لَمن أبكاني وبكى عليَّ، وليس مَن أضحكني وأضحك الناس عليَّ".

(١١) الأمانة في العلاقة مع المجتمع والدولة

المسيحي عينه على الملكوت، ولكنه إذ يحيا على الأرض هو مواطن صالح منتمٍ، ويحب الوطن الذي يعيش فيه، ولا ينعزل عن همومه وقضاياه[٨] وما يحيق به أحياناً من نوازل، ويُشارك بالرأي من أجل تقدُّمه، ويُدافع عن أمنه وسلامته وسمعته، وهو يثق أن التعاون والنظام يجلب الخير للجميع. وهو في أمانته والتزامه يؤدِّي واجبه بجدية ويخضع للقانون، ولا يتهرب من تسديد الضرائب، ولا يلجأ إلى التزوير أو الرشوة ليسبق الآخرين أو لينال ما لا يستحق، ويُحافظ على سلامة البيئة والممتلكات العامة، ويُسهم بالتطوُّع في خدمة مواطنيه والتبرُّع للمشاريع الاجتماعية وخدمة الطبقات الضعيفة. وفي المجتمعات التي تُعاني التمييز العنصري أو الديني ويفتقد فيها المسيحي بعضاً من حقوق المواطنة، فهو يُقاوم الانزلاق إلى التعصُّب والعزلة، وبمعونة النعمة يغلب الكراهية بالحب.

(١٢) الأمانة في الدراسة والعمل

لا شكَّ أن حياة التلمذة وممارسة الأعمال مجال عملي لتفعيل الأمانة. فالطالب الأمين منتظم في دروسه وواجباته ويوازن بين العبادة والدراسة واللهو

---

(٨) كانت مشاركة الشباب المسيحي في ثورة ٢٥ يناير إلى جانب إخوتهم المسلمين وسقوط عدد منهم ضحايا العنف بين قتيل وجريح، ما كشف عن حبهم لوطنهم الذي يعيش فيهم.

والرياضة، وهو زميل لطيف المعشر قادر على المحبة والصداقة والخدمة، مندمج مع الجميع بغير تمييز، ويأبَى الغش في الامتحان الذي هو سرقة صريحة يُغتال فيها جهد الآخرين، فضلاً عن أنه إهانة للكرامة الإنسانية، وعار يبقى ملتصقاً بالشخصية مهما طال الزمن إلاَّ بتوبة حقيقية تتيح الحصول على الثمر بالتعب والعمل الشريف. ربما قاد الغش إلى النجاح في بعض الامتحانات، ولكن الامتحانات التالية الأصعب في الحياة لن يفلح معها الغش، ووقتها تنكشف القدرات المحدودة التي لو كان قد تمَّ استثمارها مع الاجتهاد لكانت النتيجة أفضل بالتأكيد. وإذا كان الغش يبدأ في الامتحانات إلاَّ أنه عندما يصل مَن تعودوا على الغش بنفس الوسائل إلى مواقع القيادة والعمل، تظهر عيوب الصناعة والأغذية والأدوية الفاسدة، والرشوة وفساد الحُكْم. **فالغش لا ينعكس فقط على صاحبه ولكنه يشوِّه المجتمع كله.**

وفي مجال العمل مرءوساً، فالأمانة تُترجم في الالتزام بالمواعيد والدقة والجدية في العمل كل الوقت، وحُسن التعامل مع الزملاء والعملاء (طلاباً أو مرضى أو عمالاً، بحسب الوظيفة)، وأداء الخدمة كاملة بغير حاجة إلى رشوة أو هدية، وإتقان العمل والعدالة في تقديره الأجرة (إذا كان عاملاً). وبالنسبة للمدير والرئيس، فالأمانة تتطلَّب منه العدل والحزم والعفة واحترام العاملين والعملاء وتقديم القدوة في الانتظام والدقة. وعلى العملاء من المسيحيين أيضاً أن ينصاعوا للعدل وألاَّ يسعوا لمعاملة خاصة لهم، وأن يحترموا تمسُّك الإدارة بالأمانة والاستقامة والحق، لأن ذلك في صالح الجميع.

وسيُضفي المسيحي على كل هذه المجالات مبادئه في الحياة العملية؛ فلا كلمات ردية، ولا انفعال صاخب غير منضبط، ولا نظر إلى الوجوه، مع استقامة ولطف ومحبة للزملاء ومبادرة للتعاون، ومساعدة للضعيف ومحافظة على المال العام.

على أن هناك بعض الأعمال بالذات التي تصير الأمانة فيها عنصراً أصيلاً لو افتقدته تفقد وجودها وجدواها. فالأمانة والدقة البالغتان محتمتان في مجال صناعة **الدواء والغذاء**، فتوفرهما يضمن الحياة، بينما التلاعب في هاتين الصناعتين قد يعني المرض أو الموت. وكثيراً ما تم سحب أحد الأدوية أو الأغذية من التداول إذا اكتُشِف أن له أثاراً جانبية أو احتواؤه على مواد تهدد الحياة.

وفي مجال **العدالة** يلزم توفُّر الأمانة والدقة في التحقيقات وشهادة الشهود وإصدار الأحكام. **والمعلم** في المدرسة، **والأستاذ** في الجامعة، هو أيضاً قاضٍ عادل تحت حُكْم الله والضمير، والمجاملة هنا محظورة خاصة في الامتحانات لأن معناها الانحياز والظلم. الأمانة قد تفقدك أصدقاء، ولكن هذه الخسارة أهون من خيانة الوصية أو خيانة الضمير.

وبالمثل **الطبيب** أمين على أسرار مرضاه، وأمين في مصارحة المريض بحقيقة مرضه ومساعدته على الشفاء، كما أنه أمين في تحصيل كل جديد في مجاله كي يستطيع خدمة مرضاه بأفضل ما يستطيع، وهو أمين في تقدير أتعابه بغير مغالاة، معتبراً خبرته وتخصُّصه عطية إلهية لتخفيف آلام الناس كما كان السيد محب البشر يشفي كل مرض في الشعب.

والأمانة العلمية هي أيضاً حجر الزاوية في البحث العلمي، وما يُقال من تزوير النتائج أو سرقة البحوث يُجرِّدها من قيمتها ويُدخلها في نطاق الجرائم. كما أن **الاتصالات الإلكترونية** والمجالات التي تستخدمها إن غابت عنها الأمانة، صارت مجالات للشر والعدوان والتجسُّس، وكلها أعمال ظلمة لا يمكن للمسيحي بأمانته المفترضة أن يشترك فيها (أف ٥: ١١)، بل إن اشتغاله كمسيحي أمين في هذه الأعمال ضمان أن تظل على استقامتها ولتحقِّق الخير الذي تقصده في الأساس.

بالطبع ستظل الحنطة والزوان ينميان معاً في هذا العالم حتى وقت الحصاد (مت ١٣: ٣٠)، ووقتها تتمجَّد الأمانة وأصحابها ويخزى الآخرون.

كُن أميناً، كيف؟

ليست **الأمانة** أمراً هيِّناً نبلغه وحدنا إن أردناه. وإبليس من جانبه يجعل الأمانة في عالمنا، روحياً واجتماعياً، أمراً عسيراً مُرهقاً، والعدو يُحاصر مَن يُنشِدون الأمانة بالتجارب والكراهية والظلم والشكاوي الكيدية، وربما بالإدانة بينما يفلت المجرمون الحقيقيون، كي يفقد الأمناء حماسهم. كما أنهم وهم يَرَوْن نجاح الأشرار وتقدُّمهم في العالم، قد يُداخلهم الشك في عدالة الله، حتى أن إرميا نفسه تساءل متحيِّراً: **"لماذا تنجح طريق الأشرار"** (إر ١٢: ١).

نعم، اقتناء الأمانة والنمو فيها ليس هو في الأساس عملاً بشرياً، وإنما هو عمل من أعمال النعمة. والقديس بولس يشير إلى رحمة الله وراء أمانته الموهوبة، فيقول: "... **كمَن رحمه الله أن يكون أميناً**" (١كو ٧: ٢٥)، "... **ربنا الذي قوَّاني أنه حسبني أميناً**" (١تي ١: ١٢). كما أن **أمانة الرب** تظل هي النموذج والقدوة لكل مَن يتطلَّع إلى تنفيذ الوصية: **"كُن أميناً"** (رؤ ٣: ١٠).

على أن هناك بالطبع، وبصورة عامة، جانباً إرادياً في تبعية الرب والإيمان به والنمو في حياة القداسة. فالروح يعمل في النفس المُستجيبة، أما النفس المُقاوِمة فلا يتصدَّى لها الروح إلاَّ استثناءً (إن كان يعرف أنها إناء مختار له فيُنقذها من عنادها، كما كان الحال مع **شاول/بولس** – أع ٩: ١٥). والإنسان خُلقَ حُرّاً كي يقبل تبعية الله بملء إرادته وليس قسراً، وهكذا يقتبل نعمة الله المُخلِّصة (تي ٢: ١١)، وينال المجازاة في اليوم الأخير.

ومن هنا فوصايا الكتاب تُخاطب إرادة الإنسان أولاً، ومتى استجاب فهذا

يعني أن الإيمان هناك والنية متوفرة، والله مِن ثمَّ يقود بنعمته هذه النفس الطائعة إلى البرِّ، ويتقدَّم بها من مجدٍ إلى مجد، وهذا واضح في الوصايا المختارة التالية:

"**تحب الرب إلهـــك...**" (تـــث ٦: ٥؛ لا ١٩: ١٨؛ مـــت ٢٢: ٢٧؛ مر ١٢: ٣٠؛ لو ١٠: ٢٧)؛

"**مَن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكُن لكم خادماً. ومَن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكُن لكم عبداً.** كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٦-٢٨؛ مر ١٠: ٤٣-٤٥)؛

"**إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه... مَن أراد أن يُخلِّص نفسه يُهلكها...**" (مت ١٦: ٢٤،٢٥؛ مر ٨: ٣٥؛ لو ١٩: ٢٤)؛

"**تواضعوا تحت يد الله القوية...**" (١بط ٥: ٦)؛

"**اشترك أنت في احتمال المشقَّات...**" (٢تي ٢: ٣).

ورغم أن الله "**يريد أن جميع الناس يخلصون**" (١تي ٢: ٣)، إلاَّ أنَّ إخفاق الإرادة في الانصياع لصوت الله يُعطِّل خلاص النفس، وهذا واضحٌ في صيحة الرب لإسرائيل قبل ارتفاعه على الصليب: "**يا أورشليم يا أورشليم**، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المُرسلين إليها، **كم مرة أردتُ** أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، **ولم تريدوا**. هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً" (مت ٢٣: ٣٧). **فهو أراد خلاصهم وهم لم يُريدوا، فلم ينالوا شيئاً سوى الخراب.**

فإذا جئنا لتطبيق ما سبق على الموقف من **الأمانة**؛ فالمطلوب، إذاً، **أن نقابل نعمة الأمانة بالانحياز لها طاعةً لصوت الله، وأن نرفض الخيانة وقت التجربة، واثقين أن الله يسمع ويرى وستأتي المعونة من الأعالي.**

+ **الأمانة** تـــنبع تلقائياً من **الإيمان الصادق ومحبة الله.** المؤمن الحقيقي يلتصق بالسيِّد ويظل أميناً له، حافظاً لوصاياه، وتصبغ الأمانة كل مجالات

حياته الروحية والنفسية والاجتماعية بغير افتعال أو تغصُّب. بغير الإيمان الحيّ لا توجد أمانة أو التزام. الذين حُرموا من الرعاية والتعليم والقدوة الصالحة، لا تمثِّل لهم علاقتهم بالمسيح – التي ورثوها عن آبائهم دون أن يختبروها – شيئاً ثميناً، وبالتالي يسهل عليهم التخلِّي عن مسيحهم والانسحاب من الكنيسة تحت إغراء المال أو الزواج أو الفرار من سوء معاملة العائلة. بغير الإيمان الحي تفتقد العبادة والخدمة والتعليم حرارتها وتتحوَّل إلى الشكلية وخدمة الذات، وتصير الحياة جسدية، وتشتعل الحواس بالشهوة، وتُستخدَم المواهب لخدمة العالم، ويصبح الغِنَى وجمع المال هو غاية المُنَى، وتتراجع من المشهد صورة الأبدية.

نعم، تبدأ **الأمانة** محدودة، ولكن مع النمو الروحي والنفسي والثبات في طريق القداسة، تنمو الأمانة أيضاً، وتنعكس في التصرُّف والكلام والسلوك، وبمعونة النعمة تتأصَّل دون تراجُع مهما تَكُن العواقب.

+ هناك عاملان يدعمان تمسُّك المؤمن بالأمانة وعدم الارتداد عنها: أولهما، **مخافة الله**؛ وثانيهما، **الصبر**.

وكلما تأصَّلت **مخافة الله** في القلب (والتي لا تتعارض مع محبتنا له ودالتنا عنده كأبينا السماوي، والتي تقتضي في ذات الوقت توقيره وخشيته وتصاغُرنا أمامه كضابط الكل الذي معه أَمرُنا)، كلما صارت **الأمانة** هي التوجُّه التلقائي في كل المواقف. فالأمانة ومخافة الله صنوان لا يفترقان. ونحميا أقام حنانيا رئيس القصر على أورشليم لأنه كما يُسجِّل الكتاب: **"كان رجلاً أميناً يخاف الله أكثر من كثيرين"** (نح ٧: ٢).

مخافة الله تستحضر الله معنا كل الأيام وفي كل الظروف: تُصدِّق على وعده (مت ٢٨: ٢٠)، وتضبط كل أعمالنا وتصرفاتنا لتتفق مع قصده، وهي رأس الحكمة والمعرفة عند الملكَيْن داود وسليمان (مز ١١١: ١٠؛ أم ١: ٧)، لأنها تعني أن الإنسان يُدرك هيمنة الله – الذي يَرى في الخفاء – على كل

الوجود بمَن فيه نفسه هو وكل ما يعمله، وهذه قمة الحكمة والمعرفة، بما يحفظ نفس الإنسان من الشطط أو الانسلاخ من الوصية، ويضمن أن تسود الأمانة والالتزام كل جوانب الحياة.

أما عن **الصبر**، فهو بصورة عامة عنصر أصيل في الحياة الروحية المسيحية، وهو يقترن، في آيات الكتاب وفي الواقع العملي، بالإيمان والرجاء والمحبة والعمل الصالح والجهاد واحتمال الآلام والضيقات (رو ٢: ٧؛ ١٢: ١٢؛ ١تس ١: ٣؛ ١تي ٦: ١١؛ ٢تي ٣: ١٠؛ تي ٢: ٢؛ عب ١٠: ٣٦؛ ١٢: ١؛ يع ١: ٣؛ رؤ ٢: ٢،١٩).

فمن الطبيعي، إذاً، أن يكون للصبر دوره في مساندة الجهاد للتمسُّك بأمانة الحياة خاصةً مع المقاومة التي لا تهدأ من الجسد والعالم ورئيسه إبليس. وإذا كانت الأمانة في الأساس هي نعمة من الله، فالله يهب معها أيضاً الصبر للصمود في معارك الأمانة مع قُوَى الظلام، كي يتواصل الجهاد والمقاومة المضادة ساعة التجربة، حتى تعبُر المحنة ويتمجَّد الله: "**لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد**" (عب ١٠: ٣٦)، "**هنا صبر القدِّيسين** (وإيمانهم). **هنا الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع**" (رؤ ١٣: ١٠؛ ١٤: ١٢).

الانهيار السريع هو شهوة عدو الخير، والمؤمن الملتزم لن يُتيح له هذه الفرصة بالصمود صابراً صبراً راسخاً (١بط ٥: ٨)، والاستناد على صاحب الذراع الرفيعة الذي يُنادي: "**ادعُني في يوم الضيق، أُنقذك فتُمجِّدني**" (مز ٥٠: ١٥)، و"**تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَل**" (٢كو ١٢: ٩)، والذي يُطالبنا بالأمانة "**إلى الموت**" (رؤ ٢: ١٠).

+ من الأهمية بمكان أن نتبيَّن، في نور الصلاة وعلى هَدْي الكلمة، مواطن الضعف في كل جوانب حياتنا الروحية والنفسية والجسدية أولاً بأول، كي

نتعامل معها ونشهرها خارجاً، تائبين عنها بمساندة روح القداسة؛ وأن نجعل التوبة اليومية والارتباط بآباء ومرشدين مختبرين اتجاهاً حياتياً أصيلاً؛ وأن نحرص أن نكون قدوة تُمجِّد الله في مجتمع الكنيسة والعالم.

+ إن التزامنا بالأمانة يُحقِّق مصالحتنا مع الله ومع النفس، فيسود السلام حياتنا، ولا يجد العدو الجائل من حولنا ثغرة لكي ينفذ منها لتلويثنا والإيحاء بفشلنا وهزيمتنا، وبالتالي الكفّ عن الجهاد لأنه بلا طائل. وحتى إن نجح إبليس مرة، فليس هناك غير أن نُقاومه **"راسخين في الإيمان"** (١بط ٥: ٩)، ولا نُعطي له مكاناً (أف ٤: ٢٧).

+ في مجالات العمل ربما ينجح (بحسب مقاييس العالم) مَن لا يلتزمون بالأمانة، فيجمعون الأموال والممتلكات، ويحصلون على الشهرة والمواقع الأولى في مجتمع الفساد. وقد يضيق بنا غير الأمناء لأن أمانتنا تكشفهم وتدينهم، وربما اجتهدوا أن يُوقعوا بنا، وعلينا ألاَّ نخاف ونثق في حماية إلهنا الذي **"يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه"** (٢تي ٢: ١٢)، وألاَّ نرى فيما يسود مجتمع العالم مُبرِّراً للخروج عن مقتضيات الأمانة أو مشاركة الأشرار انحرافاتهم لتفادي شرهم، أو باعتبار أن المجتمع فاسد وأن أمانتنا لن تُغيِّره، أو تحت ضغوط الأحوال المعيشية الصعبة. هذا لن يكون طريقنا بأي حال، لأن كلمة الله واجبة الطاعة، وسلوكنا بالأمانة هو لحساب الله لا الناس ولو بقينا وحدنا؛ ومن الله لا من العالم نتوقَّع المجازاة، و**"إن كان الله معنا فمَن علينا"** (رو ٨: ٣١).

والفتية الثلاثة الذين رفضوا وحدهم السجود للتمثال، وكان أن أُلقي بهم في أتون النار، لم تمس النار شعرة من رؤوسهم أو ثيابهم، وتمجَّد الله بهم، وارتفعت مكانتهم أكثر عند نبوخذنصَّر الملك (دا ٣). وبالمثل **فدانيال** المتمسِّك بالصلاة إلى الله وليس للملك، طُرِحَ في جُب الأسود عقاباً له، ولكن الله **"أرسل ملاكه وسدّ أفواه الأسود"** (دا ٦: ٢٢)، والذين أوقعوا به صاروا

هم طعاماً للأسود. كما لا ننسى أن عدم الأمانة طريق الهلاك و"**نحن لسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس**" (عب ١٠: ٣٩).

+ لا توجد آية صريحة عن مكافأة الأمانة كتلك التي اتخذنا بدايتها عنواناً لهذا المقال: "**كُنْ أميناً إلى الموت، فسأُعطيك إكليل الحياة**" (رؤ ٢: ١٠)، وهي كانت في أصلها موجَّهة من الرب إلى ملاك كنيسة سميرنا (أزمير) الذي تُحاصره الاضطهادات والآلام ومقاومة العدو الحادثة والقادمة؛ ولكنها تبقى على مدى الأيام وعداً إلهياً دائماً لكل مَن يريد أن يكون أميناً دون تحفُّظ وإلى الموت.

و"**إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه**" (يع ١: ١٢) مَن ظلُّوا أمناء واحتملوا التجربة فتزكّوا، يبقى دوماً في آفاق حياتنا الروحية، حاثّاً على المثابرة والصمود والسير في الطريق إلى نهايته، وهو بصورةٍ ما يُشبه "**نجم المشرق**" الذي اهتدى به المجوس حتى وصلوا إلى مكان ميلادِ السيِّد. ويظل الوعد داعماً لأمانتنا، والإكليل مُعزِّياً لنا في ضيقنا الحاضر، حتى نلتقي بالآتي على السحاب واهب الإكليل.

✻ ✻ ✻

إذا كان نصيب الأمانة في الدهر الآتي "**إكليل الحياة**"، فهي هنا علامة حيوية الإيمان، وسر نجاح الخدمة، وانتعاش الحياة الروحية، وطهارة الحواس، وافتداء الوقت، وأساس العلاقات الناجحة في العائلة ومع الأصدقاء وفي المجتمع، ووراء التوفيق في الدراسة والعمل.

وإذا كان الخبراء في التربية الحديثة يُركِّزون على **الأمانة** كمفتاح للنجاح في العالم، فهي في الحياة المسيحية **اللؤلؤة كثيرة الثمن** التي تستحق التعب لاقتنائها، فجائزتها "**إكليل الحياة**" أي "**نكون كل حين مع الرب**" (١تس ٤:

.(١٧

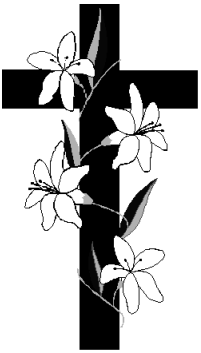

٣

ألوانٌ من التعب

+ تعبٌ وتعب

تعبٌ وتعب

ساعات الليل الطويلة قضاها صيادون خمسة في بحر الجليل: سمعان بطرس وأخوه أندراوس، في سفينة، ويعقوب وأخوه يوحنا وأبوهما زبدي في سفينة أخرى مجاورة، ولكنهم رغم التعب والخبرة الطويلة لم يصطادوا شيئاً. وعند إشراقة الصبح خرجوا قانطين من سفينتهما. وغسلوا شباكهما وأخذوا في إصلاحها. بعد قليل جاء المعلم ناحية الشاطيء وبدأ "**الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله**"، واختار الرب سفينة سمعان الذي "**سأله أن يبعد قليلاً عن البر ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة. ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد إلى العمق وألقوا شباككم للصيد**" فشكا له معاناتهم قائلاً : "**يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ولكن على كلمتك أُلقى الشبكة**".

أذعن بطرس وأخوه إذاً لكلام السيد رغم مخالفته لما ألفوه من أصول الصيد قرب الشواطيء ليس في العمق، وخلال ساعات الليل حين تنشط الأسماك وليس في رابعة النهار. على أنهم "**لما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جداً**

فصارت شبكتهم تتخرق. فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا ويساعدوهم. فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق". وهنا بُهت الكل بما جرى، وخرّ سمعان بطرس عند ركبتي يسوع مقراً بخطاياه متوسلاً أن يخرج من سفينته. فقال له يسوع **"من الآن تكون تصطاد الناس. ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه"** (مت٤:١٨-٢٢، مر١:١٦-٢٠، لو٥:١-١١).

كما نرى، فهناك من التعب والجهد ما لا طائل وراءه، وهو ما بذله أبطالنا طوال الليل، وكان **تعباً باطلاً**، ثم كان **التعب** في الصيد بعد أمر السيد والذي كان **مجدياً** هذه المرة وأعطى ثمراً كثيراً جداً، ولكن العائد هنا كان لحساب الأرض، ودعاهم الرب لتكريس **التعب لحسابه هو** والعمل معه وهذا هو **التعب المبارك والمقدس** الذي يبقى ويشهد للمؤمن في اليوم الأخير.

❄ ❄ ❄

عن التعب

التعب، أو العناء، هو بذل الجهد، أو ما يعقبه من الإرهاق البدني والعقلي والنفسي عند أداء عمل ما، أو ما ينجم عن المعاناة من مرض أو محنة أو فشل أو عقوبة أو غيرها. فللجسد والذهن والنفس طاقة نشاط محدودة إذا تم تجاوزها يحل التعب ويحتاج المرء للراحة كي يمكنه مواصلة العمل من جديد.

والتعب في الأساس كان عقوبة الخطية. فبعد السقوط قال الله لآدم **"ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك... بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها** (أي حتى الموت والعودة إلى التراب)". كما نالت حواء أيضاً نصيبها من التعب حسب قول الرب **"تكثيراً أكثّر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً"** (تك ٣:١٦-١٩).

صار **التعب** إذاً عنصراً طبيعياً لصيقاً بحياة الإنسان حتى جاء الرب وحوّله ليكون أيضاً سبباً للبركة.

التعب الطبيعي

منذ **آدم وحواء** والتعب جزء من حياة الناس. **وأيوب** الذي عانى طويلاً أتعاباً من كل نوع يقول إن "**الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً**" (أي ١٤:١). **ويعقوب** يرد على سؤال فرعون له عن عمره "**أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة قليلة ورديّة**" (تك٤٧:٩). وفي المزامير "**أيامي سنيناً هي سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبليّة**" (مز٩٠:١٠).

فالنشاط اليومي الطويل ينتهي بالتعب. والله جعل النوم راحة للبشر بعد العناء. بل مكتوب أنه "**يعطي حبيبه** (أو أحباءه) **نوماً**" كي يستريح (مز ١٢٧:٢). ولكن الله مع هذا ينهي عن النوم الطويل (**لا تحب النوم لئلا تفتقر** – أم ٢٠:١٣) لأنه علامة الكسل والتراخي "**إلى متى تنام أيها الكسلان. متى تنهض من نومك**" (أم ٦:٩) والذي قد يعطل الصلاة والسهر الروحي "**يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة**" (مر٢٤:٣٧)، والذي يُكني به أيضاً عن الإهمال وبرودة الروح "**إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم**" (رو١٣:١١) "**استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح**" (أف٥:١٤) "**اسهروا إذاً... لئلا يأتي** (المجيء) **بغتة فيجدكم نياماً**" (مر ١٣:٣٥، ٣٦).

+ على أن **التعب الطبيعي** هو في أحد جوانبه نعمة "**في كل تعب منفعة**" (أم ١٤:٢٣) لا يدركها إلا من أجبره المرض على السكون والبقاء أسير الفراش أو في سجن الشلل وغياب الإحساس، أو الذين أقعدتهم البطالة عن

العمل وبذل الجهد وممارسة إنسانيتهم وخدمة الحياة "**ليعملها ويحفظها**" (تك ٢:١٥)، حيث تحاصرهم الهموم والأحزان أي التعب العقلي والنفسي. فمن يختبر التعب عليه أن يشكر الله أنه لا يزال قادراً على العمل وتحمّل أعبائه حتى التعب. وبعد الراحة يمكن أن يواصل ممارسة العمل واختبار تعب "الأصحاء" من جديد.

+ والله جعل التعب في العمل الوسيلة المقبولة والمشروعة للعيش وممارسة الحياة "**بالتعب تأكل منها** (من الأرض).. **بعرق وجهك تأكل خبزاً**" (تك ٣:١٧، ١٩)، و أدان الحصول السهل والحرام على لقمة العيش واستلاب حقوق الغير وجعل له وصية بذاتها ضمن وصاياه العشر "**لا تسرق**" (خر ٢٠:١٥، لا ١٩:١١، تث ٥:١٩).

والقديس بولس يطالب من تعودوا السرقة والأخذ الحرام أن يعودوا للعمل الشريف والتعب المريح للضمير "**لا يسرق السارق فيما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه**" (أف٤:٢٨). كما أنه أدان البطالة والعيش عالة على الآخرين "**فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل** (ويتعب) **فلا يأكل أيضاً لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون. فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم**" (٢تس ٣:١٠-١٢).

+ وفي الكتاب يُعبّر "**بتعب اليدين**" عن تعب العمل ومشقة الحياة ومعاناتها داخل البيت وخارجه.

وعندما أنجب **لامك** نوحاً قال "هذا يعزينا عن عملنا **وتعب أيدينا** من قبل الأرض التي لعنها الرب" (تك ٥:٢٩). **ويعقوب** وهو يعاتب خاله لابان الذي يلاحقه يقول "**مشقّتي وتعب يديّ قد نظر الله فوبّخك**" (تك٣١:٤٢) مشيراً

إلى خدمته له مدة عشرين سنة وكيف أن الله يتدخل ليخفف التعب عن محبيه. وبالمثل فإن **يوسف** عندما دعا اسم ابنه منسّى (من أسْنات بنت فوطى فارع كاهن أون) قال **"لأن الله أنساني كل تعبي"** (تك ٤١: ٥١) ويقصد كل معاناته وسجنه الطويل الذي أعقبه تولّية موقعه الرفيع في بلاط فرعون "الذي جعله على كل أرض مصر" (تك٤١: ٤٣).

+ ولكن هناك أيضاً التعب النفسي والإرهاق العصبي بالتعرض لتجارب الحياة وهمومها، وألوان الحرمان المختلفة من الطعام أو الحرية، أو تحت ضغط المرض أو الفشل أو الوحدة أو البطالة والفراغ (الذي قد يكون أشد إرهاقاً من العمل الشاق) أو بسبب تدخلات الأشرار بالظلم أو إثارة الشائعات أو تدبير المؤامرات أو الاضطهاد، أو حتى من يسعى لتخفيف معاناة أحدهم فيؤدي إلى الضدّ باستخدامه كلاماً خالياً من الحكمة أو مشحوناً بالإيلام واللوم، حتى أن أيوب وسط أوجاعه صرخ فيمن جاءوا لتعزيته بصيحته الشهيرة **"معزون متعبون كلكم"** (أي١٦: ٢).

بل إنه مكتوب أن الإنسان يمكن أن يُحزن قلب الله ويُتعبه بالآثام والافتراء على الله. فيخاطب ملاخي النبي شعب اسرائيل **"لقد أتعبتم** الرب بكلامكم وقلتم **بما أتعبناه**. بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يُسر بهم. أو أين إله العدل" (ملا ٢: ١٧). والرب يخاطب الشعب قائلاً "لم استخدمك بتقدمة ولا أتعبتك بلبان... لكن استخدمتني بخطاياك **وأتعبتني بآثامك**. أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها" (إش٤٣: ٢٣-٢٥).

التعب الباطل

ولكن هذا **التعب الطبيعي**، الذي هو عنصر أصيل في نسيج الحياة، والذي يبدو في بعض جوانبه كإحدى نِعَم الله على الإنسان، يحقق به ذاته في العمل،

والحصول على القوت، والإنتاج، وخدمة البيت ورعاية العائلة، وتنمية المعرفة والفنون والاختراع، وإدارة شئون الدول، يمكن مع هذا أن يجوزه الإنسان كل حياته دون أن ينال شيئاً يبقى، أي يصير **تعباً باطلاً** بلا طائل، إذا أخذنا في الاعتبار أن حياة أي إنسان محدودة ونهايتها الموت، طال عمره أو قصر، أو كما يقول سليمان الحكيم **"ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس"** (جا١:٣) **"ثم التفت أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي وإلى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس"** (جا٢:١١). ومكتوب أيضاً **"فتتعب الشعوب للباطل والقبائل للنار حتى تعيا"** (إر٥١:٥٨).

ويصير **التعب** أكثر بُطلاً إذا كان فقط بقصد التمتع بأطايب الحياة والحصول على اللذة والفرح الجسدي بكل طريق أو السعي لجمع الثروة وتكديس المال أو الشهرة أو الحصول على الرئاسة والمكان الأول. وفي هذا يقول **سليمان الحكيم** "مهما اشتهته عيناي لم أمسكه عنهما. لم أمنع قلبي من كل فرح. **لأن قلبي فرح بكل تعبي وهذا كان نصيبي من كل تعبي... قبض الريح"** (جا٢:١٠، ١١) "من يحب **الفضة** لا يشبع من **الفضة** ومن يحب **الثروة** لا يشبع من دخل. هذا أيضاً باطل... ثروة مصونة لصاحبها لضرره. فهلكت تلك الثروة بأمر سيء... **كما خرج من بطن أمه عرياناً يرجع ذاهباً كما جاء ولا يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به في يده... في كل شيء كما جاء هكذا يذهب. فأية منفعة له للذي تعب للريح"** (جا٥:١٠، ١٣-١٦).

كما يقول **أيوب "عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك.** الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً" (أي ١:٢١). ويكتب القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس "وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة

عظيمة. **لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء.** فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما" (١تي٦:٦-٨).

نعم ... **فالمال وسائر الممتلكات** التي يجمعها المرء سيتركها، والأعمال التي كان يؤديها سيتوقف عن ممارستها، وكل آثارها خلال حياته مصيرها الفناء، وكل ما عمل لن يكون له جدوى يوم الدين طالما أنه كان لحساب الذات والناس.

ونضيف أن **التعب** والجهد، حتى لو كان قصده طيباً أو نبيلاً (ككل الأعمال والخدمات المشروعة) لكنه إذ يستقل عن الله (أي لا يكون لحساب الله ودون طلب قيادته وشركته) يصبح **تعباً باطلاً**، وقد ينتهي إلى الفشل **"إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس"** (مز١٢٧:١). فالمهم أن نسلم الرب العمل والتعب كي يأتي بالثمر. بل أن **ألوان العبادة والجهاد** بما في ذلك أصوامنا الطويلة التي يتممها البعض إرضاءً للذات والناس أو بحكم العادة على طول السنين ولا تقصد وجه المسيح فهي جهد بلا طائل وتستوفي أجرها من الناس هنا على الأرض (مت ٦:٢، ٥، ١٦) ولا تشهد لهم في يوم الدين.

وحتى **الخدمة** بكل أنواعها إذا كان أصحابها يطلبون مجد أنفسهم وليس مجد الله، ويجتهدون في اكتساب رضى الناس ومديحهم وليس مواجهتهم بحق الإنجيل، فهي "تعب باطل" مهما بدا من نجاحها الظاهري.

بالطبع فإن كل خدمة لله مهما كانت أمانة أصحابها هي هدف لحروب العدو الذي يسعى لوأدها حتى تؤول إلى الفشل فيصير تعب الخدام مهما بذلوا باطلاً. ومن هنا يجاهد الخدام مع الله لإحباط خطة الشرير. وها هو القديس بولس يكشف عن مشاعره هذه وهو يكتب لمن كرز لهم محذراً، فيقول

للغلاطيين "**أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً**" (غل٤: ١١)، ويحثّ أهل فيلبي على التمسك بكلمة الحياة "لافتخاري في يوم المسيح أني **لم أسع باطلاً ولا تعبت باطلاً**" (في ٢: ١٦).

الرب يقدس التعب

كما رأينا، فقد ظل **التعب** وَهَقاً للإنسان يجتازه بغير عزاء، أو يجمع من ورائه الكثير ثم يتركه ويمضي فارغاً، حتى جاء "ابن الإنسان" في ملء الزمان، وشاركه تعبه الجسدي والنفسي. ومكتوب عن الرب أنه وقد **تَعب** من السفر جلس على بئر سوخار في السامرة (يو٤: ٦)؛ كما أنه جاع وعطش وأُهين حتى من أقاربه وتعرّض لخيانة أقرب الناس إليه، وظُلم ولُطم وبُصق عليه وتعرّى وجُلد وسمع بأذنيه هتاف من أحبهم وخدمهم وشفى مرضاهم يطالبون بيلاطس بصلبه، وأُجبر على حمل صليبه الذي رُفع عليه كخاطيء مع أنه البار القدوس الذي بلا عيب.

والرب وقف أمام كل من يعانون أتعاب الحياة وآلامها، أو يتعبون طويلاً ويعودون خائبين صفر اليدين، وهو فاتح ذراعيه لنجدتهم وتحريرهم هاتفاً "**تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم**"، ويقدم لهم بديلاً يكون هو فيه الشريك القوي الذي يحمل العبء كله في الحقيقة فيقول مواصلاً "**احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف**" (مت١١: ٢٨-٣٠). فهو يأخذ الأتعاب والحمل الثقيل ويعطي في المقابل النير الهيّن والحمل الخفيف. ومكتوب عن الرب من قبل أن "**أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها**" (إش ٥٣: ٤) وأن "**بركة الرب هي تُغني ولا يزيد معها تعباً**" (أم ١٠: ٢٢).

مشاركة الرب في **التعب** بكل أنواعه قدسته، وجرّدته من اللعنة القديمة،

وجعلت من الممكن أن يصير للحياة كلها معنىً مهما بدا من عدم جدواها. فحضور الله في العمل والجهد، جسدياً كان أم روحياً أم فكرياً، وتحوّل العمل أو الخدمة لتكون من أجل مجد الله وبدافع الحب، صار المدخل لحلول البركة في التعب والقبول به بكل رضىً.

التعب المبارك

وإذا كان **التعب** حتى في العبادة والجهاد الروحي[1] والخدمة، وهي أعمال علاقتها بالله واضحة ويُفترض أن تعبها ضمن دائرة **"التعب المبارك"**، يمكن بعدم اقترانه بالله واصطباغه بالرياء وإرضاء الذات والناس أن يصير بالفعل **"تعباً باطلاً"**، فإنه يمكن لكل ضروب **"التعب الباطل"** أن تصبح على الفور **"تعباً مباركاً"** إذا انسلخت من أهدافها القديمة الميتة والتصاقها بالعالم وتحولت لحساب الله وبمعونته. فكل الأعمال حتى الجسدية منها وأمور المال إذا مارسناها من أجل الله تخرج من دائرة **"باطل الأباطيل... وقبض الريح"** لتضاف إلى **"ما لا يفنى"** وتقف شاهدة للمؤمن في اليوم الأخير ".. **وأعمالهم تتبعهم"** (رؤ١٤:١٣). فالأعمال التي تمت لحساب الله رغم أنها ظاهرياً تعود إلى الشخص نفسه أو إلى مؤسسة أو إلى الدولة، تأخذ بُعداً أُخروياً. فالذي كان يبني أو يزرع أو يعالج أو يدير أو ينشيء أو يدافع أو يتاجر والتي تؤدي الأعمال المترلية التي لا تنتهي، تتحول أعماله (وأعمالها) من الأرض إلى السماء. فكل ما عُمِل لم يكن يملكه هو (أو هي) وإنما هو خالق الكل وضابط الكل ومسيّر الأعمال وواهب العمل ومانح القدرة على التعب وبذل الجهد بكل الحب بغير دمدمة أو تذمر وإنما بكل الرضا والقبول. وفي هذا يقول القديس

---

(١) فداود يكتب "**تعبت** في تنهدي. أعوم كل ليلة سريري، بدموعي أذوب فراشي" (مز٦:٦) "**تعبت** من صراخي. يبس حلقي. **كلّت** عيناي من انتظار إلهي" (مز ٦٩: ٣).

بولس **"أنا غرست وأبلّوس سقى لكن الله كان ينمي إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي... فإننا نحن عاملان مع الله"** (١كو٣:٦، ٩).

كما أن الأعمال المادية والأنشطة الإدارية والاجتماعية والترفيهية التي تتطلبها الخدمة الكنسية ولا تستغنى عنها، خاصة مع تعدد مستويات المخدومين (ومثل إعداد الطعام والعمل في الزراعة وإدارة الآلات وغيرها في الأديرة)، إن لم تؤدَّ كلها لحساب الله وباللهج في اسمه وتسبيحه خلال العمل والنشاط تصير جهداً منفصلاً لا علاقة له بالعمل الروحي والتعليمي الأساسي ولا طائل من ورائه سوى خدمة الجسد والذات.

ومرثا التي أرادت إكرام السيد، وهو ضيف في بيتها، فانشغلت عنه **"مرتبكةً في خدمة كثيرة"**، بل إنها ضاقت بمريم أختها الصغرى **"التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه"** وجاءت تحتج عليها عند الرب ووقفت تقول **"يارب أما تبالي بأن أختي قد تركتني أخدم وحدي فقل لها أن تعينني"**؛ ولكن لم ير السيد الحق في جانبها بل واجهها قائلاً **"مرثا مرثا أنتِ تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة إلى واحد فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها"** (لو١٠:٣٨-٤٢). فسماع صوت الله وطاعته أفضل من الذبائح، ولابد أن تظل الحاجة إلى الواحد أسطع ما يكون في المجال الروحي وخدمة الله وألا يحجب وجه الله أيُّ عمل آخر.

تعب الخدمة

بين الأتعاب المباركة يبرز **تعب الخدمة** كأشرف الأتعاب أمام الله وضمنه تعب احتمال الاضطهاد من أجل الكرازة والشهادة للرب أمام العالم.

والرب أشار إلى **تعب الخدمة** في خطابه لتلاميذه وكيف أنهم يحصدون ما

لم يتعبوا في زرعه عندما قال "**ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول أنها قد ابيضّت للحصاد. والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً، لأنه في هذا يصدق القول أن واحداً يزرع وآخر يحصد. أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم**" (يو٤:٣٥-٣٨).

ورسائل **القديس بولس** تحفل بصنوف شتى من الأتعاب جاز فيها من أجل الكرازة بالإنجيل "لأننا لهذا **نتعب** ونُعيّر لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحي الذي هو مخلص جميع الناس" (١تي٤:١٠)، "الأمر الذي لأجله **أتعب أيضاً** مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيّ بقوة" (كو١:٢٩)، "**في الأتعاب أكثر** في الضربات أوفر في السجون أكثر.. ضُربت رُجمت.. **في تعب وكد.** في أسهار مراراً كثيرة. في جوع وعطش. في أصوام مراراً كثيرة" (٢كو١١:٢٣، ٢٧)، "في ضربات في سجون في اضطرابات **في أتعاب** في أسهار في أصوام" (٢كو٦:٥).

ولكن **القديس بولس** كان يتحمل ضمن خدمته الكرازية تعباً إضافياً هو أن يعمل بيديه ليحصل على قوت يومه لكي يعفي الكنيسة من إعالته ولا يثقّل على من يخدمهم[٢]، وحث كل من يخدمون معه أن يسلكوا نهجه لئلا تلام

---

(٢) وذلك رغم وصية الرب "**لأن الفاعل مستحق طعامه**" (مت١٠:١٠، لو١٠:٧، ١تي٥:١٨)، ورغم دفاع القديس بولس هو أيضاً عن حق الخادم أن يتعيّش من خدمته كما كتب في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس "**ألعلنا ليس لنا سلطان أن نأكل ونشرب.. من تجند قط بنفقة نفسه ومن يغرس كرماً ومن ثمره لا يأكل أو من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل... لأنه ينبغي للحرّاث أن يحرث على رجاء وللدارس على الرجاء أن يكون شريكاً في رجائه. إن كنا قد زرعنا لكم الروحيات أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديات. إن كان** (حدام) **آخرون شركاء في السلطان عليكم أفلسنا نحن بالأولى. لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شيء فلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح. ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون. الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من**

الخدمة "**فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله ونحن عاملون ليلاً ونهاراً لكي لا نثقّل على أحد منكم**" (١تس٢:٩)؛ "**ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً لكي لا نثقّل على أحد منكم**" (٢تس٣:٨). وفي اجتماعه بقسوس كنيسة أفسس يذكرهم ويوصيهم "**فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته. أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان**" (أع٢٠:٣٣، ٣٤). والكتاب يذكر عن القديس بولس أنه كان خيّاماً وأنه لما جاء إلى كورنثوس في رحلته الثانية التقى بأكيلا وبريسكلاّ امرأته النازحين وقتها من روما "**ولكونه من صناعتهما أقام عندهما وكان يعمل لأنهما كانا في صناعتهما خياميّين**" (أع١٨:١-٣).

ويوصي **القديس بولس** الكنيسة أن تعبّر عن حبها وتقديرها لمن يتعبون في خدمتها "**نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم**" (١تس٥:١٢، ١٣) "**أما الشيوخ المدبّرون حسناً فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة و لاسيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم**" (١تي٥:١٧).

كما أنه لا يفتأ يذكر بالاسم كل من يسهم في مساعدة الخدام وتيسير خدمتهم ليبارك الرب تعبهم فيكتب "**سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً.. سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب. سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب**" (رو١٦:٦، ١٢).

وعلى طريق الرب احتمل سائر التلاميذ والرسل كل الأتعاب من أجل أمانتهم لسيدهم وللكرازة باسمه: مطاردةً وسجناً وتعذيباً اختُتم بالصليب أو

الإنجيل يعيشون. أما أنا فلم أستعمل شيئاً من هذا. ولا كتبت هذا لكي يصير فيّ هكذا. لأنه خير لي أن أموت من أن يعطّل أحد فخري" (١كو٩:٤، ٧، ١٠-١٥).

السيف أو غيرهما؛ ومثلهم كل المؤمنين على مدى الدهور الذين يعانون، راضين من أجل إيمانهم، الاضطهاد والتمييز والتعرض للآلام الجسدية والنفسية فهذه كلها تندرج تحت اسم **"التعب المبارك"**.

وتبرز خدمة الفقراء والمحتاجين بين أنواع **"التعب المبارك"** خاصة وقد ذكرها الرب في أحاديثه الأخيرة (مت٢٥:٣٥، ٣٦) ضمن ما سينال المجازاة في اليوم الأخير، ويسميها القديس بولس الرسول **"تعب المحبة"** (عب٦:١٠، ١تس ١:٣)، وهي التي حث مساعديه أن تكون من أولويات خدمتهم **"في كل شيء أريتكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ"** (أع٢٠:٣٥).

أجرة التعب المبارك

الله يرى "مشقتنا **وتعبنا** وضيقتنا" (تث٢٦:٧)، وهو عارف بأعمالنا **وتعبنا** وصبرنا (رؤ٢:٢)، وهو جعل للتعب المقدس، أو المتوشّح بالروح والمبذول لحسابه ومن أجل اسمه، أجرته سواء على الأرض أو في اليوم الأخير.

وبالنسبة لخدمة الخادم فمكتوب أن **"كل واحد سيأخذ أُجرته بحسب تعبه"** (١كو٣:٨)، وعن أعمال المحبة وخدمة القديسين إخوة يسوع الأصاغر يقول الكتاب إن الله **"ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ خدمتم القديسين وتخدمونهم"** (عب٦:١٠) والذين تبعوا الرب وتعبوا من أجله وظلوا أمناءً له إلى النهاية يقول عنهم الكتاب **"طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعم يقول الروح. لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم"** (رؤ١٤:١٣) فالموت سيكون راحتهم لا عقوبتهم، وكل ما عملوه خيراً ونسوه سيأتي في يومهم الأخير كي يشهد

لهم.

❋ ❋ ❋

وكما جعل الله أمامنا طريقين: **طريق الحياة وطريق الموت** (تث٣٠:١٩، إر٢١:٨) كي نختار بينهما، فأتعاب الحياة نوعان "**تعب مبارك**" و"**تعب باطل**". واختيار **طريق الحياة** يقتضي ألا نهدر عمرنا في "**التعب الباطل**" وأن نقبل راضين بألوان "**التعب المبارك**" فهي ما لن يُنسى قدام الرب الديان العادل (٢تي٤:٨). والكتاب يحثنا أن نكون "**مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب**" (١كو١٥:٥٨).

ضبط النفس

+ ضبط النفس
+ ضبط الفكر
+ ضبط الحواس
+ ضبط الانفعال
+ ضبط الشهوات

ضبط النفس

واحدة من نقاط الضعف التي يعاني منها الكثيرون وتشوه شخصياتهم، بما ينعكس بالسلب على مسيرة حياتهم، هي عدم قدرتهم على ضبط أنفسهم والتحكم في تصرفاتهم وكبح جماحهم فكراً وكلاماً وانفعالاً وعملاً، فتنكشف رعونتهم وتهورهم واندفاعهم، كمن يركض في الظلام على غير هدى، مواجهين أتعس المواقف، فربما تسببوا في إهانة تستدعى الاعتذار أو خسائر لا تُعوّض، أو صنعوا جرحاً لا يندمل، أو انفجروا في غضب يصيب رذاذه حتى الإخوة والأحباء، أو فجرّوا فضيحة تطيح بالسمعة. وقد تكون النتيجة أحياناً جريمة تودي بصاحبها كما تودي بضحاياه[1].

(١) خلال سنة ٢٠٠٩ حملت إلينا الصحف أنه بسبب الخسائر المادية : قتل مهندس زوجته وابنه وابنته الجامعيين قبل أن يطلق الرصاص على نفسه ومات في السجن بعد أن حُكم عليه بالإعدام، وآخر قتل زوجته وابنه وابنته الجامعيين أيضاً ثم انتحر، وثالث ألقى بزوجته وطفلته في حضنها من الطابق الثالث؛ وآخر قتل زوجته وابنته الطفلة، بعد جدل عنيف حول سلوكه، وذلك عقب عودتهم

عن ضبط النفس

+ في الترجمة العربية للعهد الجديد تأتي كلمة **التعفف** (غل ٥:٢٣) مقابل **ضبط النفس** self control في الترجمة الإنجليزية NKJV . والعفة تعني الامتناع: فيقال عفَّ فلان عن كذا أي امتنع عن هذا الفعل. ويوصف إنسان أنه عفُّ اللسان أي أنه يتحكم في لسانه فلا ينفلت بالخطأ، أو عفُّ العين أي أنه يضبط نظره فلا تقتحم عينه غيرها، كما أن الصوم هو تعفف عن الأكل لضبط شهوة البطن والذي يمتد لضبط سائر الشهوات.

+ إن **ضبط النفس** هو صفة من صفات الشخصية السوية والتي تميز الإنسان عن الحيوان. فالحيوان الأعجم محكوم بغرائزه ويتحرك في إطار لا يتجاوزه إلا إذا أصابه مرض أو تعرّض لضغوط لا حيلة له أمامها. فالسعار يغيّر طبيعة الحيوان الأليف وربما دفعه لمهاجمة صاحبه، وتزاحم الحيوانات في رقعة ضيقة يصيبهم بالجنون، كما أن ندرة الطعام تُخرج الحيوان عن طوره.

أما الإنسان فإمكاناته أعظم، وهو المتسلّط على الأرض نباتاً وحيواناً (تك ١:٢٦، ٢:١٥)، وقد وُهب من الله عقلاً يفكر وروحاً خالدة وقدرة على التصرف في المواقف المتنوعة، وتحكماً في انفعالاته مهما جال في رأسه من أفكار. وهو كائن مجتمعي يضع في اعتباره أنه لا يحيا وحده وإنما مع آخرين. وفي أعماقه إرضاء الله ثم إرضاء الآخرين، وألا يرضي نفسه على حساب غيره.

+ ومع هذا فالإنسان ليس كاملاً، والله يدعوه أن يسعى للكمال مدى حياته (مت ٥:٤٨) بمعونة نعمة إلهه (١كو ١٢:٩) وبجهاده ضد أهوائه بحيث يقتني هذه الصفة النبيلة : **ضبط نفسه**، والتي قال عنها سليمان النبي **"مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة"** (أم ١٦:٣٢). وكتب القديس بولس في نفس السياق **"وكل من**

من الكنيسة (!).

يجاهد يضبط نفسه في كل شيء" (١كو ٩:٢٥) كما يوصينا أن نسلك بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء (أف ٥:١٥).

+ حتى الآلات التي صنعها الإنسان يوجد بها ما يسمح بإيقافها حسب الرغبة[٢]. وعندما يتلف صمام الغلق أو الإيقاف فلابد من إصلاحه من أجل سلامة الاستخدام. والسيارة أو القاطرة بها مكابح (فرامل) لإيقافها أو تهدئة سرعتها. وإذا تَلفت لا تُستخدم السيارة أو القطار حتى يتم إصلاحها وإلا نجمت الحوادث، بل والكوارث، التي تُزهق فيها الأرواح وتتحطم الممتلكات. ويمكن القول إن جهاز الكبح في السيارة (أو الإنسان) أهم من جهاز الحركة. والقدرة على القيادة بالسرعة البطيئة أو على إيقاف السيارة تحتاج إلى مهارة أكثر من الانطلاق السريع، فهذا لا يحتاج إلى أكثر من الضغط على صمام الوقود. أما الإبطاء أو الإيقاف، والذي ينبغي أحياناً أن يكون على الفور لتفادي الكوارث، فهو ما يحتاج إلى مهارة وتدريب طويل. والمشابهة مع الإنسان في كل هذا واضحة جلية.

ضبط النفس وحرية الإنسان

ضبط النفس أو صلب الجسد ليس ضد حرية الإنسان[٣]. حرية الإنسان إيجابية فهي لا تعني حرية الانحراف والخطأ. هذه ليست حرية وإنما استجابة وإذعان لنوازع الشر الذي لا يجلب إلا الآلام والأحزان وفي النهاية الموت. والإنسان عندما أنصت لإبليس وأخطأ فَقَد حريته في الحقيقة وصار عبداً لأن "**من يفعل الخطية فهو عبد للخطية**"، وهذا ما قاله الرب لليهود والذين ادّعوا أنهم أحرار ولم يُستعبدوا

---

(٢) وهو ما فعله عند ركوبه الخيل "**هوذا الخيل نضع اللُجم في أفواهها لكي تطاوعنا فندير جسمها كله**" (يع ٣:٣).

(٣) واقع الأمر أنه لا توجد في الكون حرية **مطلقة**، وإنما هي ضمن إطار وإتجاه: الوراثة، الزمن، الانتماء المسبّق لوالدين وعائلة ووطن ولغة وعقيدة، وصية المحبة، القانون، العرف والتقاليد، حرية الآخرين. والنهر لا يسير كيفما اُتفق ولكن يحدد مساره شاطئان، ومنبع ومصب، وإذا تجاوز النهر حدوده فهي الكارثة.

لأحد قط لأنهم أبناء إبراهيم وذريته (يو ٨:٣٣، ٣٤).

الحرية الحقيقية ليست هي حرية الجسد وإنما هي الحرية من الخطية **"فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً"** (يو ٨:٣٦)، والقدرة على التحكم في التصرفات بحيث لا تكون ضد الإنسان. والقديس بولس يعلمنا **"فاثبُتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية... فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة غير أنه لا تصيّروا الحرية فرصة للجسد... اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد"** (غل ٥:١، ١٣، ١٦). ويحثنا **القديس بطرس** أن نسلك **"كأحرار وليس كالذين عندهم الحرية سترة للشر بل كعبيد الله"** (١بط ٢:١٦).

هل يمكن ضبط النفس؟

هل من فائدة حقيقية للحديث عن ضبط النفس ؟ وهل هذا ممكن بالفعل؟ أليست هي الوراثة والمورّثات (أو الجينات genes)؟ وهل لنا حيلة أن نغيّر تركيبنا النفسي وطباعنا (وسُميّت كذلك لأننا طُبعنا عليها) ؟ وأليس الطبع يغلب التطبّع كما يقولون ؟ وهل من الممكن لشخص يفتقر إلى القدرة على ضبط نفسه ويعاني من التهور والاندفاع أن يصير شخصاً منضبطاً قادراً على التعامل مع الآخرين دون تجاوز أو صدام ؟

في الحقيقة لو كان تغييرنا إلى الأفضل مستحيلاً لكانت الدينونة ظلماً أكيداً. وإذا كان كل إنسان مسيّر بما خُلق عليه تصير الدعوة للحياة الفضلى وهْماً، وتصبح التوبة أمراً مستحيلاً، بل وتمسى الوصايا كلاماً في الهواء وتكليفاً ظالماً طالما أنه لا يمكن تنفيذها.

هنا.. فلنقّر بهذا، **أن الإنسان وحده لا يستطيع**. ولهذا جاء المخلص بدعوته **"أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل"** (يو ١٠:١٠). ونعمته يفيض بها على من يؤمن فيتغيّر ويصير ابناً لله وينال الحياة الأبدية (يو٣:١٦). والرب قال لتلاميذه ولنا من بعدهم **"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو ١٥:٥) وقال للرسول

بولس رداً على تضرعاته **"تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل"** (٢كو ١٢:٩).

واقع الحال يكشف عن تحولات مدهشة في حياة الناس باتحاد نعمة الله مع الإرادة الطائعة : فالزناة يصيرون قديسين (ويسبقون المؤمنين الشكليين إلى ملكوت السموات – مت٢١:٢١)؛ واللصوص والقتلة يتحولون إلى نسّاك وآباء للبرية، **وبطرس**، المندفع الذي يجبن ساعة المحنة وينكر سيده، يصير بعد أسابيع قائد الكنيسة الوليدة والمجاهد الشجاع الذي يحتمل الآلام مع إخوته فَرِحاً (أع ٥:٤١) دون أن يفقد حماسته وإقدامه واستعداده للموت من أجل من أحبه؛ **وشاول** المضطهد العنيف، والذي يسوق المؤمنين رجالاً ونساءً إلى السجون ويحرس ملابس الشهود اثناء رجم أستفانوس، يصير واحداً من تلاميذ الناصري المُضطهَدين مستعذباً كل خسارة من أجل فضل معرفة المسيح (في٣:٨)، ولكنه يظل على بسالته وصموده وقدرته على مواجهة من كانوا حلفاء الأمس وصاروا اليوم جلاَّديه.

نعم.. تغيير الحياة هو الأمر الطبيعي والسائد وجزء من تكويننا الإنساني. فنحن نتغير كل يوم، بل كل ساعة. فخلايانا تتغير كل يوم. ونحن نكتسب عادات جديدة. والطبيعة من حولنا تتغير على الدوام فيقولون "إن المرء لا يترل إلى نفس النهر مرتين"!

والقديس بولس يقول **"لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت أفتكر ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل"** (١كو ١٣:١١). فنحن ننمو وننضج ونتغير بحسب طبيعتنا الإنسانية. الكل يبدأون أطفالاً يلهون، ودائرة اهتمامهم صغيرة مثلهم، ولكنهم بعد سنوات تطول أو تقصر يتحولون إلى زعماء ورؤساء، يحملون مسئولية شعوب بالملايين، وقادة يديرون مؤسسات ويؤثرون في المجتمع، وعلماء يغيرون شكل العالم، وأصحاب مهن : أطباء ومعلمين ومهندسين وباحثين، ورجال دين ورجال أعمال، وضباط وجنود وفنانين ومفكرين وحرفيين وزرّاع وغيرهم، والشباب يتحولون إلى آباء وأمهات

يبذلون حياتهم من أجل أولادهم.

فنحن في داخلنا بذرة الكمال وطموح إلى الأفضل ورغبة في السمو يجهضها الضعف الكامن والميل إلى الشر في ذات الوقت. مع هذا فنحن نملك إرادة قادرة أن تخرجنا من هذا السجن إذا ساندتها نعمة الله **"الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"** (١تي ٢:٤).

فأن نمنع أنفسنا من التروع إلى الشر أو الاستطراد فيه، وألا نسمح أن تخرج كلمة ردية من أفواهنا، هو في مقدورنا كما جُبِلْنا. والمهم أن نريد مؤمنين [**"كم مرة أردت.. ولم تريدوا"** (مت ٢٣:٣٧، لو ١٣:٣٤) **"أتريد أن تبرأ"** (يو ٥:٦) **"ماذا تريد أن أفعل بك"** (مر ١٠:٥١)]. ربما يصعب علينا الأمر فنصرخ إلى الرب مع والد الشاب ذي الروح الأخرس **"إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا وأعنّا... أعن عدم إيماني"** (مر ٩:٢٢، ٢٤)، ووقتها يرد الرب **"كل شيء مستطاع للمؤمن"** ويمد يده متدخلاً مستجيباً (مر ٩:٢٣، ٢٧).

بين الضبط والكبت

يختلط معنى الضبط أو التعفف في ذهن البعض الذين يرونه منع الفكر أو الفعل بأي طريق. ولكن ينبغي التمييز بين **الضبط** بمعنى أن يضع الإنسان لنفسه حدوداً تتفق مع وصية الله يلتزم بها ولا يتعداها، تسانده رغبته الداخلية وامتناعه ورفضه للانحراف، مع مراجعة النفس ومحاسبتها إن أخفقت أحياناً، وتصحيح موقفه بالتوبة؛ وبين **قمع** الفكر أو الرغبة أو الشهوة مع بقائها مُرحَّباً بها في اللاشعور. فهذا **كبت** يُبقي على الفساد في الداخل مع رضىً عن النفس، وتكون النتيجة السقوط في أول فرصة تحين، ويعقبها خيبة أمل وإحساس بالفشل وربما اليأس إذا تكرر الأمر.

فالضبط الصحيح يقود إلى نتائج جيدة وينمي الإرادة والثقة في مساندة الله والانتصار في التجارب التالية الأقسى والأشدّ، أما **الكبت** الذي يشبه إغلاق الإناء

بإحكام وماؤه يغلي، فعاقبته الانفجار بخسائره وهزائمه الكثيرة واختبار مصاعب البداية الصحيحة من جديد.

مجالات ضبط النفس

ستتناول المقالات التالية تباعاً بعض جوانب ضبط النفس : ضبط **الفكر** وتبعاته، ضبط **الحواس** ومنها النظر والسمع والكلام، ضبط **الانفعال**، ضبط **الشهوات** وما يتصل بها.

ضبط الفكر

بدأنا **بضبط الفكر** ضمن مجالات **ضبط النفس** لأن **العقل** هو الموقع الذي تُصنع فيه الأفعال وتتشكّل قبل أن تصدر. وإذا كان **يقال عن الكلمة إنها بنت الشفة فهي في الحقيقة كانت بنت العقل قبل أن تُنطق وتخرج من الشفاة "لأن من القلب** (العقل) **تخرج أفكار شريرة: قتل زنى فسق سرقة..."** (**مت١٥:١٩**). العقل هو أبو التصرف والفعل والكلمة وحركة الحواس (ويقصد به علمياً قطاع التفكير في المخ).

+ وفي **العهد القديم** كان الأمر متعلقاً بالفعل، كما كان النهْي في أكثره عن الفعل (**لا تصنع، لا تنطق، قدّس ، أكرم، لاتقتل، لا تزْن، لا تسرق، لا تشهد..**) عدا الوصية الأخيرة من الوصايا العشر (**لا تشته**) التي تحتوي إشارة صريحة إلى **الفكر** (خر٢٠:١-١٧). ولما جاء المسيح بشريعة العهد الجديد للإنسان عندما بلغ سن الرشد (بعد ١٥ قرناً من توراة موسى) طالبه في كل الأحوال بضبط فكره والتحكم فيه وحاسبه عليه:

" **كل من يغضب على أخيه باطلاً** (وليس فقط من يقتل) **يكون مستوجب الحكم**"(مت٥:٢٢) لأن الغضب الأعمى هو قتل معنوي وكسر للوصية بالفكر. وإذا تصدّينا لاندفاع الغضب نكون قد نجونا من السقوط في قتل النفس "**من لا يحب أخاه يبق في الموت. كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه**" (١يو٣:١٤، ١٥)؛

"**كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه**" (مت ٥:٢٨). فاشتهاء رجل لامرأة (أو اشتهاء امرأة لرجل) بالفكر هو زنا بالفكر وكسر للوصية السابقة كأنه زنا بالفعل. ففي ضبط العين من الشر (أولى الحلقات) [" **اقلعها وألقها عنك** " (مت٥:٢٩)] نجاة من السقوط في الزنا.

+ وحتى كلام الانتقاد والاعتراض والتربّص والانتقام يبدأ في الفكر "**ما يخرج من الفم فمن القلب** (العقل) **يصدر**" (مت ١٥:١٨). والذين كانوا حول المسيح يشهدون إعلانه غفران خطايا المفلوج ودون أن ينطقوا "قالوا **في أنفسهم** هذا يجدّف"، وعلم يسوع أفكارهم فقال "**لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم**" (مت٩:٢-٤، لو ٥:٢٠-٢٢). وهو ما يقوله لكل منا عندما يبدأ أولى حلقات سلسلة الخطية مترلقاً إلى التفكير بالشر.

+ ضبط الفكر هو علامة الحكمة والصحو والتأهب (**لكل عمل صالح** – ٢تي ٣:١٧) والاستعداد لممارسة كل ما هو حق وجليل وعادل وطاهر ومُسّر وصيته حسن "ففي هذه افتكروا" (في ٤:٨). وعلى العكس فالفكر الملوث متأهب للشر وناشر للظلام ومستقبلٌ لكل ما هو ردئ، ومعطِّل عن كل ما هو خيّر ومقدس "**من هو حكيم وعالم بينكم فليُر أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة... لأنه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردئ**" (يع ٣:١٣، ١٦).

خطوات لضبط الفكر

(١) وظيفة العقل أن يفكر ولا يمكن منعه من التفكير. ولكن العقل نفسه يحوي قدرة على ضبط عمله وترشيده وانحيازه لتوجيه الروح والضمير. وبعض الفكر **غير إرادي** (وهو المختزَن في العقل الباطن أو من تجارب سابقة أو من إيحاء عدو الخير) وبعضه **إرادي** تستثيره الظروف والأحداث والأنشطة اليومية. وبحسب مصادر الفكر يكون التعامل معه برفض ما هو شر والاستطراد فيما هو فاضل وإيجابي، ولوم النفس والتوبة إذا جرى الاستسلام له " **كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم**" (١بط ١:١٤).

وبالنسبة للأفكار الشريرة غير الإرادية فلا تضطرب إذا هاجمتك حتى في أقدس اللحظات، ولا تناقش أسبابها وإنما ارفضها بهدوء، فأنت لم تستدعها ولا تريدها، وسوف تتبدد سريعاً.

(٢) الفكر ينشغل بما هو موضع الاهتمام: أأمور الصحة والعمل والبيت وأداء الواجب وغيرها، **في جانب**، أم شهوة الطعام أم الجنس، أم الاعتداد بالذات، أم الغيرة والانتقام، أم الحسد، أم الهم والحزن والاكتئاب **في جانب ثان**، أم تتميم الخلاص بالقداسة والطهارة وخدمة الله والناس، **في جانب ثالث**. فما أفكر فيه يكشف عما يشغلني، وما يدور في ذهني يجعلني أعرف نفسي. الروح في داخلنا يكشف تعثّرنا وضعف إيماننا وانحرافنا ويديننا وساعتها، فلنتوقف فوراً وندين أنفسنا هاربين من الخطية وفكر الجسد.

(٣) تطهير الفكر أولاً بأول مما علق به أو انزلق إليه وسقط فيه ضرورة ليكون الإنسان مهيّأً لحياة حسب الروح (رو ٨:٤-١٣): للصلاة وحياة التقوى وخدمة الله ومحبة الإخوة. فنقاوة الفكر هدف روحي له الأولوية "**فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة**" (أم٤:٢٣) "**يا ابني اعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي**" (أم ٢٣:٢٦).

العقل (أو القلب تجاوزاً) هو غرفة العمليات لكل الأنشطة الإنسانية من أفكار وعواطف وأفعال. فإن كان نقياً سليماً صَلح كل ما يصدر عنه، وإن كان شائهاً مرتبطاً مستباحاً من قوى الشر ضلّ صاحبه السبيل وطعن نفسه بأوجاع كثيرة "**فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور**" (مت١٢:٣٥، لو ٦:٤٥) .

فخطية آدم وحواء وقايين وإخوة يوسف وداود، ويهوذا، والعبد الرديء (الذي قال **في قلبه** سيدي يبطئ في قدومه – مت ٢٤:٤٨) وحنانيا وسفيرة (أع ٥)، كلها بدأت في الفكر الذي استطاع الشيطان أن يقتحمه بسهولة لأنه لم يكن ساعتها مصوناً منضبطاً ودخل التجربة "**ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية** (فعل شر) **والخطية إذا كملت** (ولم تعقبها توبة) **تلد موتاً**" (يع ١:١٤، ١٥). ولكن توبة **داود** مع هذا تقدم نموذجاً لكيف يتم التصحيح والرجوع إلى الله حسب الوعد "**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم**" (١يو١:٩)، " **فاذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى** " (رؤ ٢:٥).

(**٤**) الفكر غير التائب غير المنضبط يعوق الصلاة، وإن تمت بجسارة غير لائقة صارت لغواً وكلاماً أجوفاً وإهانة لله فاحص القلوب والكُلى (مز٧:٩، رؤ ٢:٢٣)، وخطية مركبة "**ذبيحة الأشرار مكرهة الرب**" (أم ١٥:٨، ٢١:٢٧). وعلى العكس، فالفكر الخاضع لله ووصاياه يتيح الصلاة كل حين فيتقدس صاحبه بالوقوف أمام الله، ويفتح الذهن لفهم كلمة الله. بل إنه يجنّبنا ثورات الغضب والاضطراب والارتياب وسوء النية والقرارات الهوجاء وليدة التسرع والانحياز وسوء التقدير، وبغيره تُستنفد طاقتنا الذهنية فيما يعود علينا

بالضرر نفسياً وجسدياً **"لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه... رجل ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه"** (يع ١:٦-٨).

(٥) مصادر الشر معروفة لكل منا فالذي يقترب من النار يشعر بحرارتها ومن يضع يده فيها تحترق. ومن الحكمة تَجنُّب مصادر تلوث الفكر سواء ما يأتي عن طريق الحواس أو القراءة، أو المواد الالكترونية وغيرها. ودوام الوجود في أوساط جيدة يديم علينا نعمة السلام، كما أن **"المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة"** (١كو ١٥:٣٣) ومعظم النار من مستصغر الشرر، والثعالب الصغيرة هي التي تفسد الكروم (نش ٢:١٥). عندما نتذكر جرأة المغامرة ولذة الانحراف فلنتذكر معها أيضاً ما عانيناه بعدها من كآبة تملكتنا طويلاً واغترابنا المحزن عن الله وكيف كنا نخجل من التواجه قدامه.

(٦) الطبيعي أن تملأ فكرك بالإيجابيات، فالحياة الروحية النشطة من صلاة وتوبة واعتراف وتناول واللهج في كلمة الله يحفظ ذهنك مقدساً. والتوبة من جانبها يدعمها كل جهد روحي وعملي في ذات الاتجاه، وأن يستثمر الوقت استثماراً حسناً **"مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة"** (أف ٥:١٦). وكلما استمر إشغال الفكر بما لله وبما صيته حسن، يتعود على النقاوة وينفر من الشر الذي يفقد معه السلام، وعلى قدر صدق النية والأمانة في الجهاد **"حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة"** (أف٦:١٦) تأتي المعونة والنصرة من فوق.

(٧) لنحذر الشرود والتشتت بكل وسيلة. فهذا يعني أن الفكر صار مستباحاً وخارج السيطرة. فلا تليق الصلاة بدون تهيئة الذهن وعزله عما سبق من أعمال وأفكار مادية، أو في وجود مصادر جاذبة للحواس أو في مكان غير مناسب للصلاة.

وخلال القداس والصلوات الطويلة يحتاج الواحد منا إلى جهاد للتركيز وحصر الذهن في الصلاة، سواء بمتابعة الصلوات في الكتاب أو على شاشة العرض. فلنجتهد للشعور بحضور الله ووقف أي اهتمام آخر خاصة إذا كان الفكر مهموماً من قبل بمشاكل حياتية تتعلق بالعمل أو العائلة أو الصحة. وليكن شعارنا "**ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم**" (١بط٥:٧).

(**٨**) ذو الفكر المنضبط بالروح لا يظن السوء ولا يدين أحداً ويرى الله في كل إنسان ويرثى لضعف الساقطين ويشفق عليهم ويصلي من أجلهم ويأخذ بأيديهم، إن استطاع، ناظراً إلى نفسه لئلا يجرب هو أيضاً (غل٦:١). فالشهوة "**طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء**" (أم٧:٢٦). وهو لن ينتقم ممن أساء إليه بل يراه أسير ضعفه ويصلي من أجل أن يعود إلى صوابه، ويترك الأمر لله الذي سلمه كل حياته. وهو يتبنى فكر المسيح (١كو ٢:١٦) في كل المواقف التي يصادفها في حياته: فبإزاء المرأة الخاطئة كان فكر المسيح رحمة وإنقاذ نفس من الهلاك وإعادة الكرامة الإنسانية إليها وإعادتها هي إلى براءتها الأولى، بينما كان فكر البشر (الخطاة هم أيضاً مثلها) تشفٍّ ونزوع إلى التشهير بها. المسيح يحب ويرحم ويبني ويعطي ويختطف من يد إبليس وهكذا أيضاً كل من يتبعه.

(**٩**) حتى وأنت لا تعمل شيئاً لا تجلس خاملاً وإنما مارس شيئاً مفيداً من أجل سلامة فكرك. فالرياضة الجسدية نافعة (ولو لقليل — ١تي ٤:٨)، إمشِ، اقرأ كلمة الله أو كتاباً مفيداً في مجالٍ تُفضّله، اكتب، ارسم، تأمل في الخليقة والأحداث، اجلس مع صديق، اخترٍ من برامج التلفاز وقنواته أو من الشبكة الإلكترونية ما يفيد ويضيف إلى خبراتك، ضع خطة عمل، نسّق أشياءك، ساعد في أعمال البيت، اسمع موسيقى أو ترتيلاً ... الخ. المهم لا تجلس فارغاً،

فعقل الكسلان بيت للشيطان.

ضبط الحواس

(١) ضبط النظر

حاسة النظر نعمة عظيمة، لا يدرك قدرها إلا من فقَــدها، وهي نافذتنا الرئيسية لما حولنا. وفقْد البصر يعوق وظائف سائر الحواس ويعطّل التواصل مع الآخرين. ونظرة واحــدة أحيانــاً كفيلة بالحكم على حالة من نقابله من مجرد التقــاط ملامحــه؛ ونظرة واحدة من الرب إلى بطرس نفذت إلى قلبــه وجعلتــه يكتشف سقطته حتى أنه **"خرج... إلى خارج وبكى بكاءً مرًّا"** (لو٢٢: ٦١، ٦٢).

والخطية في جنة عدن بدأت من العين. فحواء نظرت إلى شجرة معرفة الخير والشر **"فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معهــا فأكــل"**

(تك ٣:٦). والعاقبة كانت وبالاً: فالمرأة تلد بالأوجاع، والأرض أصابتها اللعنة، والتعب ساد حياة الإنسان وبعرق وجهه يأكل خبزه (تك٣:١٦-١٩). والفصل المظلم في حياة داود بدأ من مرأى امرأة تستحم فأخذها واضطجع معها، ولما حملت منه دبّر مقتل زوجها، فجاءه صوت الله **"لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد.. أقيم عليك الشر من بيتك.. الابن المولود لك يموت"** (٢صم ١٢:١٠، ١١، ١٤)، وتحقق العقاب فأمنون بن داود زنى بأخته غير الشقيقة (أخت أبشالوم ابن داود) (٢صم١٣:١٤)، ودبّر أبشالوم مقتل أمنون انتقاماً ممن أذلّ أخته (٢صم ١٣:٢٩)، وانقلب أبشالوم على أبيه وقتله رجال الملك (٢صم ١٨:١٤، ١٥).

فالعين يمكن أن تقودنا للاستمتاع بالحياة وممارسة أعمالنا بكفاءة ومن ثم إلى تسبيح الله وشكره. أو – إن لم تُستخدم حسناً وانفلتت من عقالها هاربة من رقابة الروح – فيمكن أن تلوث الفكر وتُسقط الإنسان في الخطية الفعلية. والرب يعرف أن **"العين لا تشبع من النظر"** (جا ١:٨) ومن هنا نبّهنا إلى ضرورة التحكم فيها. وهو يقول **"سراج الجسد هو العين. فإذا كانت عينك بسيطة (طاهرة) فجسدك كله يكون نيراً (بلا خطية، ورمزها الظلمة) وإذا كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً** (ملوثاً بالخطية)" (مت ٦:٢٢، ٢٣). والرب لكي يقطع الطريق على استكمال الشهوة اعتبر أن نظرة الاشتهاء هي زنا بالفكر أو في القلب **"من ينظر إلى امرأة** (أو من نظرت إلى رجل) **ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك"** (مت ٥:٢٨، ٢٩). والمقصود هنا بالطبع ليس قلع العين بالفعل، وإنما من ناحية كفّ النظر عن المعثرات كأن العين قد قُلعت، ومن ناحية أخرى تطهير الداخل أي قلع فكر الشر من جذوره بالتوبة وتنشيط

الجهاد الروحي. وأيوب يقدم المثل فيقول "**عهداً قطعت لعيني فكيف أتطلع في عذراء**" (أي ١:٣١). فالتفرس وإطالة النظر في الآخر تمليًّا واشتهاءً لا يليق بأولاد الله.

ويجدر بالمؤمن بصورة عامة ألاّ تكون عينه جسورة مقتحمة (فهذا أيضاً ليس من الآداب العامة) وإنما عفيفة متحفّظة عابرة تساندها طهارة القلب "**لأنه من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة (طمع) شهادة زور (خبث مكر عهارة عين شريرة) تجديف (كبرياء جهل)** .. "(مت ١٥:١٩، ٢٠ ، مر ٧:٢١، ٢٢). فليس المطلوب إغلاق العينين وإنما طهارة النظر التي هي من طهارة الكتر الصالح في القلب.

وقد يكون الفراغ أحياناً سبباً لطياشة النظر. فملء العقل بالفكر الجيد والحياة بالعمل المُجدي كل الوقت يجنّب الانزلاق إلى الخطأ. وأمامنا مثال داود الملك الذي إذ كان خالياً فكراً وعملاً "**وكان وقت المساء، قام عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك**" (٢صم١١:٢) وهي ظروف مثالية للسقوط خاصة لو كانت الروحيات هابطة. وهذا ينبهنا إلى أن انتعاش حياتنا الروحية ينعكس على طهارة كل الحواس. فلنثابر على التوبة والاعتراف أمام أب مختبر والتناول المنتظم وقراءة الكلمة وذكر موضوع طهارتنا في الصلاة بما ينقّي الفكر ويضبط عمل العين ويحفظها بسيطة دوماً بما يفتحها على مرأى السماويات وكل ما يمجد الله من مصنوعات ومخلوقات خاصة الطبيعة بأحيائها الجميلة التي تشهد بعظمة الخالق وجلاله.

وعلينا أن نتنبّه إلى علاقة العين بالحسد والانتقاد والاحتقار والتعالي والتقاط العيوب والإدانة والتلصّص والتجسس والغش وما إلى ذلك. والحياة الروحية الناجحة تجنبنا كل هذه الانحرافات التي هي إفراز من يحيون حسب الجسد.

(٢) ضبط السمع

ليس للآذان جفون كالعيون فهي مفتوحة دائماً و"**لا تمتلئ من السمع**" (جا ١:٨). وهي نعمة نشكر الله عليها، فنحن نسمع فنتواصل بالكلام، فالسمع وسيلتنا للتعامل مع الآخرين كل الحياة. وآذاننا تستقبل أصوات الطبيعة وما يجري فيها من حولنا فتشجينا أو تنبهنا للتصرف أو حماية حياتنا. والبعض يعتبر الصمم أقسى من العمى، فهو يعطل الكلام فيفقد الإنسان أهم وسائل الاتصال.

وكثيرون أتوا إلى يسوع وتغيرت حياتهم بعدما سمعوا عنه كالمرأة نازفة الدم (مر٥:٢٧) والكنعانية (مر٧:٢٥). وسماع كلمة الله هو باب الإيمان "**من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني..**" (يو٥:٢٤، ١٢:٤٧، ٤٨) و"**الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله**" (رو ١٠:١٧)، وهو يطهر القلب وينير الذهن (مز ١١٩:١٠٥).

ولكن الأذن يمكن أيضاً أن تتلقى ما لا يليق: نكاتاً وكلاماً قبيحاً ونميمة واغتياباً وإدانة وسخرية وتحقيراً وثرثرة وأخباراً وإشاعات وغيرها مما ينجس الذهن ويُظلم القلب ويضيع الوقت. فالذين هم للمسيح لا يشتركون في أعمال الظلمة هذه ويرفضون أن يكونوا مستقبلين لهذه النفايات وأن يسهموا في نهش الأعراض والتسلّي بضعفات الآخرين أو بتشجيع من ينطقون بالسفاهات.

الأذن المختونة مع القلب بالروح (رو ٢:٢٩) والتي مُسحت بالميرون يوماً ترفض تلقائياً كل ما يلوثها. هي تنتشي لسماع كلمة الله وتنصت لها بتركيز وخشوع ويبهجها الصوت الحلو والنغم الشجي والترتيل والتسبيح كأنها في السماء. وقد تكون الأذن مرهفة موهوبة فإذا رافقها الصوت الجيد فيرتل صاحبها ويحفظ الألحان، أو يعزف الموسيقى بما يرقى مشاعره ويعلي إنسانيته،

أو يلحّن النصوص أو التراتيل أو المزامير فيُسهم في إشاعة الجو الروحي للمؤمنين.

ولكن علينا أن نصلي ونعمل من أجل أن تصير آذاننا (وسائر حواسنا) مدربة على التمييز بين الخير والشر (عب ٥:١٤)، وكيف نضبط رد فعلنا إذا جاءنا ما يهين أو يكدّر أو يُحزن أو يثير الغضب، خاصة وهذا الفيض الذي يأتينا في عصر الاتصالات الفائقة لا يكاد يتوقف طوال اليوم، بحيث نحتفظ بسلامنا وهدوء قلبنا، ونتفادى الغضب الشرير أو الهمّ، وألا نجازي كما جوزينا، وأن نتعلم كيف نُميت العثرات التي سمعناها فنمنعها من الانتشار وتلويث الأجواء ولا نعطي إبليس مكاناً.

ولا ننسى أن الكتاب يعلمنا أن نسمع أكثر مما نتكلم وأن ننصت ونستوعب ونفهم قبل أن نتكلم، فتكون الكلمات في موضعها ولا تُحسب علينا **"ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في التكلم"** (يع ١:١٩). وحسن الاستماع صفة طيبة وفضيلة كبرى يُمتدح صاحبها وهو أول من يفيد منها لأن من يحسن الإنصات يتكلم أفضل ويتفادى أخطاء التسرع وسوء الفهم.

(٣) ضبط الكلام

العلاقات بين السمع والكلام وثيقة جداً. فالطفل يتعلم الكلام مما يسمع. ونحن نتكلم ردّاً على ما نسمع أو تعبيراً عما يجول في فكرنا. وكل ما هو جيد أو رديء من الكلام قد جاء من حصيلة السماع.

والكلمات مؤشر لا يخطيء عن شخصية صاحبها وثقافته ومبادئه وتوجّهاته. ومن هنا قال الفيلسوف سقراط قولته الشهيرة **"تكلم حتى أراك"**

(أي كي أعرف حقيقتك التي ربما أخفتْها هيئتك). ولُقّب "الابن" "بالكلمة" لأنه يعبّر عن حكمة الله وفكره ومحبته، وهو الذي خبّرنا عن الآب (يو١:١٨).

أهمية الكلام

بين الوصايا العشر توجد وصيتان تتعلقان بالكلام : الوصية الثالثة "**لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً** " والوصية التاسعة "**لا تشهد بالزور**" بما يشير إلى الدور الهام للكلام في حياة الإنسان إيجاباً وسلباً.

فالكلام كان وسيلة مناداة الرب بالخلاص والدعوة إلى التوبة والإيمان (مر١:١٤، ١٥). والكرازة والتعليم والصلاة والتسبيح هي بالكلام بالروح : "**اكرز بالكلمة**" (٢تي٤:٢) "**كلمة الإيمان التي نكرز بها**" (رو ١٠:٨) .

وكلمة أو جملة واحدة كافية لإثارة الشقاق أو لارتكاب جريمة أو إعلان حرب، كما أن كلمة أو جملة واحدة كفيلة بإلقاء ماء على النار والاتجاه نحو المصالحة. والكلمة يمكن أن تبني وتسند وتعزي وترشد وتفرح وتتوّب وتنقذ من الموت. والرب بكلماته أعاد للزانية كرامتها الإنسانية التي ضيّعتها الخطية، لّما كشف عن خطية الذين دانوها، ولّما أطلقها بسلام بغير أن يدينها وشجعها ألاّ تخطئ وصارت من تلاميذه (يو ٨:١١). نعم.. كلمة واحدة قد تصنع فرحاً أو حزناً ، سلاماً أو خصاماً، بركة أو لعنة، تشجيعاً ومؤازرة أو إحباطاً وتدميراً، فكلمات العشار (لو١٨:١٣) والمرأة الكنعانية (مت١٥:٢٧) واللص التائب (لو٢٣:٤٠-٤٢) قادت إلى قبولهم وخلاصهم على عكس كلمات الفريسي (لو١٨:١٠-١٤) والعبد الشرير (لو ١٩:٢١، ٢٢) واللص الآخر (لو٢٣:٣٩-٤٣).

والكلمة التي تخرج من الفم لا يمكن استعادتها أو حذفها، فإن كانت خاطئة فستؤثر سلباً، وقد يكون إصلاح ما سببته مستحيلاً أو فات أوانه. ومن هنا أهمية

وخطورة كل كلمة. وآيات الكتاب تحفل بالكثير في هذا السياق. فالرب يقول "**إن كل كلمة بطالة** (عاطلة ولا تفيد) **يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً في يوم الدين لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان**" (مت١٢:٣٦، ٣٧).

وسليمان الحكيم يكتب "**الموت والحياة في يد اللسان**" (أم ١٨:٢١)"**كثرة الكلام لا تخلو من معصية أما الضابط شفتيه فعاقل**" (أم ١٠:١٩) "**من يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه** " (أم ٢٨:٢٣). وفي مدحه للكلام الطيب يقول "**تفاح من ذهب في مصوغ من فضة كلمة مقولة في محلها**" (أم ٢٥:١١)، وعن إدانته للكلام الأحمق يقول "**الأحمق إذا سكت يحسب حكيماً**" (أم١٧:٢٨).

والقديس بولس يوصينا "**لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين**" (أف ٤:٢٩)، وأيضاً "**ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد**" (كو ٤:٦)، ومثله القديس بطرس يطلب "**غير مجازين عن شر بشر أو عن شتيمة بشتيمة**" (١بط ٣:٩).

وفي رسالة **القديس يعقوب** فقرات مطوّلة عن ضبط الكلام وأهميته وخطورة أخطائه : "**إن كان أحد فيكم يظن أنه ديّن وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة.. إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً**" (يع١:٢٦، ٣:٢). وهو شبّه ضبط اللسان **باللُجُم** التي نضبط بها جموح الخيل، **وبالدفة الصغيرة** التي ندير بها السفن التي تمخر عباب البحار وسط الرياح والأنواء، واللسان **كالنار القليلة** التي تحرق أي وقود، فهو يدنّس الكيان كله، "**وهو شر لا يضبط مملوء سماً مميتاً. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس.. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنه**"

(يع ٣:٣-١٠). فانفلات اللسان (عندما نفقد السيطرة عليه) إعلان عن

التسيّب والتيه والجموح في مجالات أخرى. والعكس صحيح، فالكلام المنضبط المتزن يعبّر عن قلب نقي وحياة تسير في خوف الله.

انحرافات الكلام

نشير هنا، بغير ترتيب، إلى "**بعض**" انحرافات الكلام، فمن الصعب حصرها جميعاً: الكذب الصريح (لا ١١:١٩، أم ١٧:٦ ، أف ٢٥:٤، كو ١٩:٣) أو ألوانه الأخرى [مثل إخفاء كل أو بعض الحقائق أو تحويرها أو الإضافة إليها عن عمد وبسوء نية – عدم الدقة في القول – ما يسمونه الكذب الأبيض – التهويل والمبالغة المقصودة – الافتراء والشهادة الزور – الالتواء والمراوغة – المكر والخداع واللؤم والخبث (١بط ١:٢) وازدواج اللسان (١تي ٨:٣) – إذاعة الإشاعات – التزوير أي تعمد الخطأ في ذكر البيانات، كما في إقرار الذمة المالية أو الضرائب أو غيره من الوثائق]، الحلفان بأنواعه (مت٣٤:٥)، الشتيمة والسب (١كو١٠:٦، ١بط ٩:٣)، السخط (أف ٣١:٤) والتذمر (١كو ١٠:١٠)، الثرثرة الفارغة (أم ١٩:١٠، جا ١٤:١٠، ٣:٥) والكلام الباطل (١تي ٢٠:٦)، التملق (١تس ٥:٢) والمداهنة والرياء (لو ١:١٢، رو ٩:١٢، ٢كو ٦:٦، ١تي ٥:١، ١بط ٢٢:١)، المزاح الشرير (وهو غير كلام المرح اللطيف بغير خطأ)، القباحة والسفاهة والهزل (أف ٤:٥، كو ٨:٣)، الكلام القاسي الموجع (أم ١:١٥)، كلام الإثارة والغيظ، النميمة والاغتياب والوشاية (لا١٦:١٩) والتسلّي بسيرة الآخرين (كما في المكالمات الهاتفية وغيرها)، الدس والوقيعة وتوصيل الكلام الرديء، التهكم والسخرية القاسية والتحقير والإهانة، المباحثات الغبية التي تولد الخصومات (٢تي ٢٣:٢، تي ٩:٣).

وأخطاء الكلام هذه وغيرها هي نتاج نفوس متغربة عن الله (مت١٨:١٥، ١٩) ولم تعرف طريق التوبة بعد، وأخطاؤها تنطلق بتلقائية وسهولة ودون أن تشعر بالأسف أو التأنيب فهذه طبيعتها إلى أن تلتقي المسيح الذي يجردها من

ضعفها ويقدس داخلها، وهذا ينعكس على كل ما تفوّه به ويصير التعفف في الكلام صفة أصيلة تلتصق بها، **ولا تستطيع** أن تقترب من كلام القباحة والسفاهة والشتيمة والكذب والإهانة والنميمة وأشباهها، مقتدية بالرب "**الذي إذ شُتم لم يكن يَشتم عوضاً**" (١بط ٢:٢٣)، وبالرسول بولس وقانونه "**نُشتَم فنبارِك .. يُفتَرى علينا فنعظ**" (١كو ٤:١٢)، ولن تخطئ إلاّ استثناءً يعقبه الأسف والندم وتغسله التوبة التي لا تهدأ.

خطوات لضبط الكلام

ما أسهل الانطلاق في الكلام، وبالنسبة للموهوبين بالذات من أصحاب الكلام فقد تكون مهارتهم هذه هي شوكة جسدهم والباب الذي تدلف منه تجربتهم. وما أيسر أن تتزلق الكلمة الخطأ إذا لم يكن الإنسان متنبّهاً واعياً خاضعاً لقيادة الروح.

ومن هنا فإن اقتناء التعفف في الكلام والتحكم فيه هو ضرورة لحماية النفس من الخطأ، خاصة في أوقات التجارب والضعف وحصار الظروف الصعبة. وتتزايد أهمية ضبط الكلام عندما يكون الشخص متقدماً بين الآخرين أو مسئولاً عنهم: أباً أو أماً، خادماً أو معلماً. فخطأ القدوة يكون معثراً جداً ويقع من ثم تحت إنذار الكتاب (مت١٨:٧، لو ١٧:١). والعامل الرئيسي في نوال هذه الهبة هو مساندة نعمة الله والتزام المؤمن بحياة حسب الروح (رو٨:٤، ١٣). وصاحب المزمور إذ يدرك حاجته في ذلك إلى العمل الإلهي يقول "**اجعل يارب حارساً (حافظاً) لفمي. احفظ يا رب شفتي**" (مز ١٤١:٣).

على أن هناك عوامل واختبارات مساعدة تدعم القدرة على ضبط الكلام وتفادي أخطائه، منها ما يلي :

+ ينبغي أن تشترك الإرادة في بلوغ هذه الغاية التي تتناغم مع ضبط سائر الحواس والانفعالات "**وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء.. بل أقمع**

جسدي وأستعبده" (١كو٩:٢٥، ٢٧)، **"الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات"** (غل ٥:٢٤). فمطلوب من المسيحي أن **"يصلب"** أي **"يضبط"** بل و**"يقمع"** ميول جسده. **"فالروح" و"العقل"** (أو الذهن – ١كو ١٤:١٥) يقودان الفكر والعقل. وكل كلمة من ثم وقبل أن تخرج من الشفاه" لابد أن تخضع لرقابة الروح والذهن، التي لن تسمح بالكلام العشوائي الذي لا يليق بالحكماء والعقلاء أتباع المسيح. انتبه إلى أخطاء لسانك وكن حاسماً في التوبة عنها من كل قلبك.

+ كن مستمعاً أكثر مما تتكلم، ولا تتعجل التكلم بل كن مبطئاً (يع ١:١٩) ومقتصداً ولا تتكلم فيما لا تعرف، وتفادى الاستطراد دون داعٍ، أي دون إضافة حقيقية، فكلما قل الكلام زادت قيمته. وشهوة الكلام الكثير تقود إلى الزلل. ووقت الفراغ يغرى بالكلام الكثير والثرثرة التي لا تترك أثراً بل ربما سمحت بالأخطاء. فاملأ حياتك بالعمل والاجتهاد الروحي والخدمة والقراءات المفيدة وحافظ على وقتك القليل مهما زاد ولا تسمح بقتله.

+ اتقن **الصمت** كما تتقن الكلام **"للسكوت وقت وللتكلم وقت"** (جا ٣:٧) فالصمت مطلوب كثيراً. وفي بعض الأحيان يكون الصمت أبلغ وأعظم تأثيراً من الكلام. والرب وهو واقف يحاكم أمام بيلاطس كان يتكلم أحياناً عندما ينبغي الكلام **"لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق"** (يو١٩:١١)، وأحياناً يصمت **"فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة"** (مت٢٧:١٤). والقديسون يفضلون الصمت عن الكلام. وللقديس أرسانيوس قول يتردد كثيراً "كثيراً ما تكلمت وندمت أما عن السكوت فما ندمت قط"، وقيل أيضاً "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".

ولكن **الصمت** ليس دائماً أفضل من الكلام، فهو يصبح خطيئة إذا كان في

وقت يتحتم فيه الكلام كالدفاع عن الإيمان أو الحق أو مجاوبة من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا (١بط ٣:١٥)، ويصبح عيباً عندما ينبغي التعبير عن الشكر والامتنان والاعتراف بالجميل، أو الحب، أو تقديم النصح لمن يهمنا أمرهم، أو إظهار المودة والمجاملة للآخرين.

+ هناك ظروف قد تجلب الكلام الرديء على غير الإرادة، فبحسب خبرتك كن حذراً منتبهاً خلال هذه الظروف :

– تفادي الشخص المستفز الغضوب، المتهور سريع الانفعال، فالحوار معه وقت انفعاله خسارة مؤكدة. انتظر حتى يهدأ وتخمد ثورته ولو أدى الأمر إلى تأجيل الحوار طويلاً. وأيضاً تفادي الموضوع الذي يجلب المتاعب، أو غيّر مسار الحديث. من الحكمة أن تختار الشخص المناسب والمكان المناسب والظرف المناسب والموضوع المناسب للكلام دون أن يُفرض عليك، ولا تنسَ أن **"الجواب اللـيّن يصرف الغضب"** (أم ١٥:١) .

– المعاتبة وجهاً لوجه أفضل منها كتابة أو مكالمةً (إلا لو كنت مضطراً)، فالمواجهة تضمن ألا ينتهي الكلام سلبياً أو مقاطعةً وإنما بنبذ الخصام وصنع المصالحة. والكتاب يحثنا "إن أخطأ إليك أخوك **اذهب وعاتبه**". فاستمرار الحوار بوداعة ومحبة وحكمة يتيح له أن يسمع منك وهكذا تربحه. والكتاب يوصينا ألا نفقد صبرنا إذا ظل الآخر على عناده، فيقول **"خذ معك واحداً أو اثنين"** كوسطاء وشهود على محاولات الصلح. وإذا استمر على صدوده ورفضه **"فقل للكنيسة"، "وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار"** (مت١٨:١٥-١٧) أي تتركه وشأنه ولا تزيد. والكتاب عموماً يشجع على صنع السلام لا على الجدل والانتصار على الخصم، فيقول الرب **"كن مراضياً لخصمك** مادمت معه في الطريق" (مت٥:٢٥) فالصلح خير ولا تكن

متطرفاً واسع للتصالح بدل تصعيد الأمور أكثر.

– لا تتكلم وأنت متعب أو مجهد أو منفعل. هذه ساعة ضعفك. اصمت تماماً أو حتى اترك المكان.

– لا تستطرد في المزاح والمرح لأنه الوقت الذي تتراجع فيه قوى التحكم وقد يتزلق اللسان إلى ما لا تحب، وربما تؤذي مشاعر الغير عن غير قصد. كما أن المرح الكثير يفتّر الحياة ويسمح بالضعف. كن معتدلاً.

– قد يبقى من الحياة القديمة (أو الجهالة – قبل التوبة والتجديد) كلمات لا تليق، قد تعود للظهور وقت الضعف أو السهو أو انفعال الغضب، فكن منتبهاً حذراً. وربما كنت تذكر اسم "الله" لا كقسم وإنما بدءاً أو استهلالاً للكلام، والحل أن تستبدل به كلمة أخرى مثل : أظن، أعتقد، في الحقيقة، حسناً، دعني أقول، وغيرها كبداية للكلام، و"صدقني" بديلاً للقسم. وعموماً فلتكن مثل الكلمات التالية سهلة في فمك : نشكر الله، الحمد لله، شكراً، عفواً، سامحني، اسمح لي، الله يعوضك، من فضلك، لو سمحت، إن شاء الرب وعشنا، فهي تستبعد الرديء من الكلمات، وهي أيضاً سمة من سمات الحوار المتحضّر.

ضبط الانفعال

(١) ضبط الغضب

الغضب غريزة وطبيعة إنسانية. وهدفه كسائر الغرائز، وكل ما جُبل عليه الإنسان، هو في الأساس للخير والتقويم والانحياز للحق وحماية الحياة (بالرغم مما يحيط بالكلمة من سمعة رديئة!) ويتكامل مع سائر صفات الإنسان.

عن الغضب الإيجابي

الغضب في ممارسته الإيجابية سلوك مقبول ومطلوب، حتى أن القديس بولس يقول "**اغضبوا ولا تخطئوا** (أي على ألا تخطئوا)" (أف ٤:٢٦) لأن الغضب انفعال قوي، ومن هنا ينبغي التعامل معه بحذر وضبط شديد "**البطيء الغضب خير من الجبار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة**" (أم ١٦:٣٢).

والغضب الإيجابي – أو **المقدس** – دوافعه نبيلة لأن مصدره المحبة والغيرة ويسنده الروح وكلمة الله، ومجاله الدفاع عن الحق والثورة على الباطل والفساد

ورفض الخطية والانحراف في النفس (وسيكون هنا حواراً داخلياً وتبكيتاً وندماً) أو المجتمع، دون أن يختلط بدوافع ذاتية (وإن كان لا يتعارض مع الدفاع عن الكرامة الإنسانية التي هي هبة إلهية) أو يقترن بأخطاء الكلام أو العصبية والصياح. وهو يقصد لفت الانتباه إلى الخطأ والحث على الرجوع عنه سعياً إلى التصحيح والإصلاح والبناء.

والرب لما دخل الهيكل ورأى كيف تحول إلى سوق للبيع والشراء، أخذته الغيرة على بيت أبيه (مز ٩:٦٩) فصنع سوطاً من حبال وطرد الباعة والصيارف والغنم والبقر وقلب الموائد والكراسي ونثر الدراهم قائلاً **"لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة"** (يو ١٤:٢-١٧) **"مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة للصوص"** (إش ٧:٥٦، إر ١١:٧، مت١٣:٢١ ، مر ١٧:١١، لو ٤٦:١٩). والرب لم يضرب بالسوط ولكنه بهيئته وكلماته أرعب الجميع وجعلهم يهربون بجلدهم ولم يجرؤ أحد على مواجهته. والرب رغم المكتوب عنه أنه **"لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفيء"** (إش ٢:٤٢، ٣، مت ١٩:١٢، ٢٠) لم يكن غير مبالٍ، بل وفي مواقف كثيرة انتقد تصرفات من حوله بدافع الغيرة وبهدف الإصلاح. فقد أدان الكتبة والفريسيين وتديّنهم الشكلي إنقاذاً للشعب. ولما كانوا يراقبونه هل يُشفي صاحب اليد اليابسة في السبت كي يشتكوا عليه، يقول الكتاب إنه "نظر حوله إليهم **بغضب** حزيناً على غلاظة قلوبهم" (مر ٥:٣).

وفي أثينا كان **القديس بولس** في انتظار وصول سيلا وتيموثاوس فرأى المدينة مملوءة أصناماً **"فاحتدت روحه فيه"** (أع ١٦:١٧). وغيرته المقدسة هذه جعلته يقف في آريوس باغوس يبشر الفلاسفة الأثينيين بالإله الحقيقي الذي **"به**

نحيا ونتحرك ونوجد" (أع ١٧:٢٨). فطاقة غضبه وإدانته لعبادة الأصنام تُرجمت إلى كرازة في عقر دار الوثنيين.

والقديس أثناسيوس في حماسه للدفاع عن إلهه لم يبال أن العالم كله ضده وقال قولته المشهورة "**وأنا ضد العالم** Contra Mondum". فغضبه الهائل ملأه بالقوة والصلابة على مجابهة أعداء الإيمان المستقيم.

وعلى العكس فإن عدم الغضب الواجب (أي المقدس والضروري) في حينه يعتبر تقصيراً وتخلياً عن الأمانة بل وإنكاراً للإيمان. **فموسى النبي** الذي كُتب عنه أنه **"كان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض"** (عد ١٢:٣) لم يستطع أن يقف هادئاً مكتوف اليدين لما أبصر العجل الذهبي الذي صنعه شعبه، فترة غيابه لتسلم الوصايا العشر، وكانوا يرقصون ويغنون حوله، ويسجل الكتاب عنه **"فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعه وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذرّاه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل"** (خر٣٢:١٩، ٢٠)، ولو كان موسى قد تراخى و لم تأخذه الغيرة لكان خائناً للأمانة والدعوة وحليفاً للشيطان.

كل الشعوب والأمم تحتاج إلى أشخاص يغضبون على الشر والانحراف **(مثل دانيال والمعمدان)** لكي ينتهي أمرها إلى الصلاح. وفي أوقات الضعف والانهيار فإن النهوض يعتمد على هذه النفوس الكبار التي تشحذ الهمم وتحفز الإرادات للقيام والعمل، كما استنهض **نحميا** من بقى من السبي أن يبنوا أورشليم التي خربت وأبوابها التي أُحرقت بالنار قائلاً **"هلم فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عاراً"** (نح ٢:١٧). ولا يعني هذا في المقام الأول التظاهر والصياح، وإنما تغيير النفوس، واستبعاد من يعوق الإصلاح، ومساندة القادة المستنيرين الذين يتصدّون للفساد وينشدون التقدم. فالغضب بهذه الصورة يتحول إلى "خطط عمل" ولا يكون مجرد تنفيس عن ضيق مكتوم ينتهي كما

بدأ أو اندفاعاً أهوج يحطم ويدمّر. فهذا انحراف عن جادة الصواب، وفي التظاهرات التي يسودها العنف يستدعي الأمر التدخل لإيقافها ولو بالقوة.

عن الغضب المرفوض

ككل الغرائز، إذا تجاوز الغضب حدوده يتحول من أن يكون رفضاً للخطأ ليصير إضافة له، وبدل أن يكون الدواء يصير هو الداء الذي يتطلب العلاج.

ويختلف **الغضب الشرير** عن الإيجابي أن دوافعه جسدية ذاتية. وهو إفراز الكبرياء والاعتداد بالذات، أو، على العكس، نتاج عقد النقص مع المبالغة في تقدير المواقف والتسرع في رد الفعل. وفي كل الأحوال هو يكشف عن هزيمة داخلية وتغرّب عن حياة القداسة وسعى للصالح الشخصي بكل طريق ولو على حساب الحق، وهذا الغضب تصاحبه الانفعالات والصياح وأخطاء الكلام من كل نوع لأنه يشل التفكير الصحيح، ويجعل صاحبه خاضعاً لحوافز عمياء ودوافع قسرية تفقده السيطرة على إرادته وانفعالاته ويغيب عنه المنطق. وفي هذا قيل "**إن الغضب ريح تهبّ تطفيء سراج العقل**" [كما يحدث في الاعتداءات الطائفية في قرى مصر، بناء على شائعة أو تعبيراً عن غضب وتعصب دفين، أو انتقاماً من شخص، في أهله أو من يدين بدينه، بالقتل، وأعمال التخريب في الكنائس والممتلكات، وإشعال الحرائق]. ونتائجه دائماً رديئة لا تسر، فالخلاف المحدود يتحول إلى حقد وغيظ وشتائم وينتهي خصاماً وعداءً وقطيعة وربما أكثر (وكل جرائم القتل هي الصفحة الأخيرة من كتاب كان الفصل الأول فيه عن الغضب. وبعض جرائم القتل – في غير مجالات الدفاع عن النفس – تتم عفو الساعة وبدون تدبير مُسبَق).

والخسائر تتوالى : فقدان صداقة الناس واحترامهم الذين يتفادون التعامل مع الغضوب، فضلاً عن تدهور أحوال الغضوب جسداً ونفساً وروحاً. وفي هذا قيل إن الغضب (الرديء) حامض يلحق ضرراً بالوعاء الذي يحويه أكثر من الذي

يلحقه بأي شيء يُصب عليه.

بالفعل **فالغضب الشرير** شديد الوطأة، والغضوب يدمّر حياة من حوله ويفقدهم سلامهم، ويمزّق العلاقات مع أقرب الناس إليه. فغضب **قايين** قاده إلى قتل أخيه الوحيد هابيل (تك ٤:٨)؛ **وعيسو** المستبيح، الذي باع بكوريته بأكلة عدس (تك ٢٥:٣٣، عب ١٢:١٦)، لما خسر البركة حقد على أخيه يعقوب وأراد قتله (تك ٢٧:٤١)؛ **ورؤساء الكهنة والكتبة** لما رأوا "العجائب التي صنع (يسوع) والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون أوصنا لابن داود **غضبوا (عن حسد)** وقالوا له أتسمع ما يقول هؤلاء..." (مت ٢١:١٥)، بينما لم تزعجهم الفوضى الضاربة أطنابها في جنبات الهيكل من باعة البقر والغنم والحمام والصيارفة؛ **ويهوذا** لما ندم على خيانته لمعلمه لم يتحول غضبه لتوبة تبللها الدموع – كبطرس – وإنما إلى **يأس أعمى** أضاع كل شيء (مت ٢٧:٥)؛ **وصنّاع التماثيل** بقيادة ديمتريوس الصائغ لما سمعوا هجوم بولس على آلهتهم التي تُصنع بالأيادي **"امتلأوا غضباً" بسبب خسائرهم** المتوقعة (أع١٩:٢٣-٢٨).

وفي أمثال سليمان الكثير عن الغضب الشرير :

"الرجل الغضوب يهيج الخصام. والرجل السخوط كثير المعاصي" (أم ٢٩:٢٢)؛ **"الحجر ثقيل والرمل ثقيل وغضب الجاهل أثقل منهما"** (أم ٢٧:٣)؛ **"لا تسرع بروحك إلى الغضب لأن الغضب يستقر في حضن الجهال"** (جا٧:٩) فهو يقرن الغضب الشرير بالجهال والحمقى، لأنه يغيب فيه العقل. ومن هنا يقول **"تعقل الإنسان يبطئ غضبه وفخره الصفح عن معصية"** (أم١٩:١١)، والتعقل ليس فقط يبطيء الغضب وإنما يضبط مساره ويوقف تداعياته.

وفي رسائل الرسل هذه الآيات في نفس السياق :

"لا تغرب الشمس على غيظكم.. ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط

وغضب وصياح وتجديف (ما يصاحب الغضب الشرير) **مع كل خبث وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين"** (أف ٤:٢٦، ٣١، ٣٢) ؛ **"ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في التكلم مبطئاً في الغضب لأن غضب الإنسان** (بالشر) **لا يصنع بر الله"** (يع١:١٩، ٢٠)؛ **"لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أُعطوا مكاناً للغضب** (غضب الله) **لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب**[1]**... لا يغلبنّك الشر بل اغلب الشر بالخير"** (رو ١٢:١٩، ٢١)؛ **"الذي** (المسيح) **إذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل** (الله)" (١بط ٢:٢٣).

خطوات لضبط الغضب

المقصود بضبط الغضب في الأساس هو منع انحراف الغضب كغريزة إيجابية، وبرغم نبل الدوافع أحياناً، إلى الشر والانفعال الزائد والخطأ الذي يشوهه، ليظل محصوراً في جوانبه الجيدة التي تتفق مع الوصية **"اغضبوا ولا تخطئوا"** (أف٤:٢٦)، أي أن يصير للغضب حدود لا يتعداها إلى أخطاء الكلام والتصرف ودون تجاوزات ضد الآخرين. والرب يقول "إن كل **من يغضب** على أخيه **باطلاً** يكون مستوجب الحكم" (مت٥:٢٢) أي أنه يمكن أن يكون الغضب في محله. فالخطأ ليس في الغضب ذاته وإنما فيما قد يصاحبه من أخطاء أو أن يكون بغير مبرر.

وهناك ما يساعد للوصول إلى هذه الغاية نرصده فيما يلي :

---

(١) ولكن غضب الله (وهو تعبير بشري) يستند إلى سائر كمالات الله ضابط الكل : محبته، عدله، قضائه، إحاطته ومعرفته وقدرته، ومكتوب أن "من لا يؤمن بالابن فليست له حياة بل يمكث عليه **غضب الله**" (يو ٣:٣٦). فغضب الله هنا يعني الدينونة وهي نصيب من يقاومه والحكم على من يرفض خلاصه المقدم للبشر كنعمة مجانية لا تتطلب غير الإيمان الصادق) **"غضب الله** معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم" (رو١:١٨)؛ "لأنه بسبب هذه الأمور (الخطايا) يأتي **غضب الله** على أبناء المعصية" (أف٥:٢٦، كو٣:٦).

+ لارتباط الغضب بالكلام الذي يعبّر عنه، فسنجد أن الكثير من الخطوات المذكورة بضبط الكلام (المقال السابق ، ص ١٢٥) يمكن تطبيقها هنا، والذين نجحوا في السيطرة على كلامهم مهيئون أكثر من غيرهم في التحكم في غضبهم وضبط تداعياته ".. **قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً**" (يع ٣:٢).

+ لا نحتاج إلى التأكيد أن الحياة الروحية النشطة توثّق الاتصال بالله وتتيح للمؤمن حماية النعمة التي تهب السلام الداخلي وقوة العقل. وتعقّل الإنسان – كما يقول الكتاب – يبطيء الغضب، ويمنح رباطة الجأش وسيطرة المرء على انفعاله وامتلاك المنطق المقنع لا مجرد الصياح والكلام الأجوف.

+ لا تلق اللوم دائماً على الطرف الآخر واحتمله. ضع نفسك مكان الشخص الذي أغضبك بخطئه فربما اشفقت عليه، فلا تكن عنيفاً في لومه وتقريعه وإنما ساعده كي يخرج من مأزقه، وهذا يساعد على انضباط رد فعلك. والكتاب ينصح في هذا السياق "**أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ في زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تجرَّب أنت أيضاً**" (غل ٦:١)، "**شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع**" (١تس ٥:١٤)، "**محتملين بعضكم بعضاً في المحبة مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام**" (أف ٤:٢، ٣).

+ لا تتعامل مع سريعي الغضب "**لا تستصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجيء**" (أم٢٢:٣٤) ولا تواجه الغضوب في ثورة غضبه بأخطائه، واحذر أن تواجه صياحه بالصياح، فالنار لا تطفئها النار بل الماء، أي بالهدوء والتماسك، واعرف أن "**الجواب الليّن يصرف الغضب**" (أم ١٥:١)، كما أنه من الحكمة تفادي الموضوعات التي قد تثير الغضب.

+ لا تناقش ولا تصدر قرارات عندما تكون مرهقاً أو تعاني نفسياً من ضيقة ما أو فشل. هذه ساعة ضعفك واضطراب انفعالاتك التي قد تقودك إلى مسالك مظلمة. فانتبه إلى نفسك.

+ لا تغامر بفقدان السلام. اجعل سقفاً لرد فعلك ولا يدوم غضبك

"لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبلـــيس مكانـــاً" (أف٤:٢٦). والرب يطالبنا أن نكون مستعدين للغفران لمن يخطيء إلينا ليس إلى سبع مرات **"بل إلى سبعين مرة سبع مرات"** (مت١٨:٢١، ٢٢). وقد تضطر أحيانـــاً أن توقف المواجهة وتنسحب للاحتفاظ بسلامك، هكذا نصحت رفقـــة ابنـــها يعقوب لما أدركت غضب أخيه عيسو عليه لحرمانه من بركة أبيه اسحق قائلة **"قم اهرب** إلى أخي لابان إلى حاران وأقم عنده أياماً قليلة **حتى يرتد ســـخط أخيك. حتى يرتد غضب أخيك عنك وينسى ما صنعت به"** (تك ٢٧:٤٥).

+ للضعفاء أصحاب النفس القصير محدودي الصبر سريعي الانفعال، لابد من خطوات صعبة وحاسمة لتفادي الانفجار والأخطاء :

- انفرد بنفسك حتى تهدأ.
- اترك المكان وانسحب معتذراً.
- تفادي الاشتراك في الخلافات وإشعال الثورات.
- لا تبرر نفسك إذا أخطأت: كن شجاعاً. اعتذر بصدق واطلب الغفران.
- اصرف طاقة الغضب في أي عمل : نظّف البيت، رتب أشياءك، اغسل الأواني، اكتب، اقرأ. وما إلى ذلك.
- اذكر دائماً النتائج الضارة التي نجمت عن سلوكك في السابق كي تضبط انفعالك.
- تعلّم التوبة، واذكر هذا الأمر في صلاتك. واطلب من الآخرين الـــصلاة من أجلك.
- ثق أن الله قادر أن يغيّرك. التحم بالله في كلمته وجسده ودمه، وتعلـــم من الرب الاتضاع (مت ١١:٢٩). ودرّب نفسك على عدم ارتفاع صوتك. تعلم من الرب وقديسيه أن تسامح وتطرح. حتى إن كنت من النوع المتحمس المتقد، فالله قادر أن يستخدم حماستك لحسابه ولخلاصك: قوة واندفاعاً وإقداماً وقيادة للآخرين في طريق النور، وهو يكون ضابطك لأنه هو ضابط الكل.

(٢) ضبط الحزن

الحزن عاطفة إنسانية طبيعية، صادقة وغنية، تنم عن رقة المشاعر ورهافة الحس، حتى أن سليمان الحكيم يقول إن **"الحزن خير من الضحك"** (جا٧:٣). والفرد يحزن إذا مر بتجربة أو تعرض لفشل أو خسارة أو خيانة، أو أسفاً على انحراف قلبه وخطيته، كما يحزن مشاركةً للمتألمين المجرَّبين، أصدقاء كانوا أو أقرباء أو غرباء، في الداخل أو في الخارج **"بكاءً مع الباكين"** (رو ١٢:١٥). ويبلغ الحزن أوْجَه عند فراق الأحباء.

+ ومكتوب أن الله **"حزن ... أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه"** (تك٦: ٦) لما رأى تعاظم شر الإنسان. والرب أصابه **الحزن** إزاء غلاظة قلب الذين يشتكون عليه ويرفضونه (مر ٣:٥)، بل أن الرب **بكى** عند موت لعازر الذي كان يحبه (يو ١١:٣٥)، كما **بكى** على أورشليم المرشحة للخراب بعد قليل لأنها **لم تعرف زمان افتقادها** (لو ١٩:٤١-٤٤)، وفي طريقه إلى الصليب **حزن واكتأب** وقال إن نفسه **"حزينة جداً حتى الموت"** (مت٢٦:٣٨، مر ١٤:٣٤)، كما أن تلاميذه **أحزنهم** أمر موته منذ أن صرّح لهم بآلامه القادمة (مر ١٤:١٩، لو ٢٢:٤٥، يو ١٦:٢٢). ولا تزال خطية الإنسان **تُحزن قلب الله** ولهذا يحثنا الكتاب ألا نخطيء" **ولا تحزنوا** روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أف ٤:٣٠).

+ ولكن الوصية تنهي عن الإفراط في الحزن مهما كان الأمر لأن هذا يشي بضعف الإيمان وغياب الرجاء. وضبط الحزن هو جزء من ضبط النفس الذي يجب أن ينسحب على كل الانفعالات.

وفي مجال **حزن الموت** أوصى القديس بولس المؤمنين **ألا يحزنوا "كالباقين الذين لا رجاء لهم"** (١تس ٤:١٣). فرجاؤنا في المسيح الذي وعدنا بالحياة الأبدية (١يو ٢:٢٥) هو السقف الذي ينبغي أن يتوقف عنده حزننا، ليس فقط في مجال موت الأحباء وإنما في كل ما يستدعي الحزن خاصة ألوانه الرديئة

الناشئة عن أسباب جسدية مادية: كالخسائر المالية أو الفشل أو المرض، والتي لا ينجم من الحزن عليها غير الإحباط والاكتئاب واليأس والنكد والغضب والمرض، بل وربما الموت، وهو ما يسميه القديس بولس **"حزن العالم"** الذي **"ينشيء موتاً"** (٢كو ٧:١٠)؛ وهو مثل حزن الشاب الغني الساعي للحياة الأبدية، الذي لما سمع الرب يطالبه أن يبيع كل ماله ويوزعه على الفقراء فيكون له كنز في السماء **"اغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة"** (مت ١٩:٢١، ٢٢، مر ١٠:٢١، ٢٢، لو ١٨:٢٢، ٢٣)، فحزنه هذا كان ضد خلاصه.

هذا حزن ينبغي ضبطه سريعاً وعدم الاستطراد فيه طالما أن الخسائر لم تُصب غير الجسد والأشياء، ولكن لم تلحق بالنفس أو الإيمان ولا بكل ما يتعلق بالمصير الأبدي، فهذا هو المهم. وعلى النفس ساعتها أن تنهض وتستنجد بالقادر أن يُعين المجربين ليخرجها من السجن الذي دخلت فيه. وكاتب المزمور يبتهل **"لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ. ترجّي الله لأني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي"** (مز ٤٢:١١، ٤٣:٥).

+ على أن هناك **حزناً جيداً** ومطلوباً هو الذي **"بحسب مشيئة الله"**. إنه حزن الأسف والندم على خيانة العهد والانزلاق إلى الخطية، الذي **"ينشيء توبة لخلاص بلا ندامة"** (٢كو٧:١٠) فيتحول من ثمّ إلى فرح التوبة كما يقترن به فرح السماء (لو١٥:٧، ١٠) **"أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح"** (يو ١٦:٢٠).

وهذا النوع من **الحزن** أبهج قلب القديس بولس **"الآن أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة. لأنكم حزنتم حسب مشيئة الله"** (٢كو ٧:٩). وهو من ثم يقول **"كحزانى** (على خطايانا أو بسبب الحصار والاضطهاد) ونحن **دائماً فرحون** (بسبب الغفران والمساندة والالتصاق بالله)" (٢كو ٦:١٠). ودموع التوبة الصادقة لآليء ثمينة تحنّن قلب الله **"حوّلي عنّي عينيك فإنهما قد غلبتاني"** (نش ٦:٥) وبها نالت المرأة الخاطئة غفران خطاياها

متوَّجاً بالخلاص والسلام (لو٧:٣٨، ٤٧-٥٠).

كل التحفظ إزاء هذا **الحزن** هو ألا نسمح أن ننحصر ونبقى فيه، أو أن يخلو من العزاء، أو أن يتحول إلى يأس وهروب من الله، كما في حالة الشاب الذي أخطأ في كورنثوس وطلب القديس بولس من الكنيسة عزله واستبعاده (١كو٥:١٣)، ولكنه عاد وطالب المؤمنين أن يمكِّنوا له المحبة ويسامحونه **"لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط"** (٢كو ٢:٧)، فالحزن البالغ مهما كانت مبرراته يمكن أن يقود إلى اليأس.

+ ومثله أيضاً **الحزن** بسبب الظلم والاضطهاد من أجل الإيمان الذي يراه القديس بطرس فضلاً عند الله **"لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم"** متمثلاً بالرب الذي تألم من أجلنا (١بط ٢:١٩). ويشّجع القديس بطرس الذين يحزنون بسبب التجارب : أن هذه يسمح الله بها تزكيةً لإيماننا وامتحانه، كما يُنقَّى الذهب بالنار، لتكون **"للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح"** (١بط ١:٦، ٧).

+ عطايا الله ونعمه كثيرة ونور معرفته كنز **"ولكن لنا هذا الكنز في أوان خزفية** (نفوسنا الهشة الضعيفة) **ليكون فضل القوة لله لا منّا : مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين** (فللاكتئاب حدود)، **متحيرين لكن غير يائسين** (فقد يستعصى علينا الفهم ولكننا لا نبلغ إلى اليأس)، **مضطهَّدين لكن غير متروكين** (إحساسنا بحضور الله في الضيقة يضع حدّاً لتأثيرها)، **مطروحين لكن غير هالكين** (مهما كانت المحنة مُرة نثق أنه مادُمنا في يد الله لن نهلك).. **لذلك لا نفشل** (نسقط أو ننهار) **بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً. لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشيء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً. ونحن** (من قبل ومن بعد) **غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى** (لا ننتظر جزاءنا فيما هو جسدي أو عالمي) **بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تُرى وقتية وأما التي لا تُرى فأبدية** (٢كو ٤:٧-١٠، ١٦-١٨).

(٣) ضبط الفرح

الفرح **الروحي** هو أحد ثمار الروح القدس (غل ٥:٢٢) وهو من طبيعة الملكوت الذي يوصف أنه الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد (إش ٣٥:١٠، ٥١:١١)، وحيث **"لا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت"** (رؤ٢١:٤). والرب وعدنا بالفرح (يو١٦:٢١، ٢٢)، والكتاب يحثنا أن نفرح كل حين (في ٣:١، ٤: ٤، ١تس ٥:١٦) فرح الغلبة والخلاص والقداسة ورفقة الله الأبدية. ربما يتطلب الأمر ألا نفصح عن فرحنا القلبي، إلا في مجال تمجيد الله وشكره، لئلا يجرّبنا إبليس حسداً، ونغلبه ساعتها باتضاعنا. ولكن ليت الله يوسّع تخوم فرحنا لكي نغلب ما قد يصادفنا من هموم وأوجاع **"ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم"** (نح ٨:١٠).

ولكن ما يستحق الضبط بالفعل هو الفرح **الجسدي**، أي المتصل بالملذات والمسرات في الطعام والمال والممتلكات والجنس والمراكز والسلطة وغيرها. وهذه كلها ليست شراً في ذاتها إذا أُخذت بالشكر كعطايا الله **"الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع"** (١تي٦:١٧)، ولكنها بطبيعتها قصيرة العمر وتطيح بها التجارب والهموم والأمراض وتقدم السن؛ ولا يليق من ثم الاستغراق فيها والتعويل عليها فمآلها كلها للموت والتراب.

والمؤمن الحقيقي دائب الجهاد من أجل أساس حسن للمستقبل كي يمسك بالحياة الأبدية (١تي ٦:١٩). لا بأس بالطبع من الاحتفال بالأعياد والمناسبات، والابتهاج بالنجاح والترقي في العمل ومستوى المعيشة، والتنزه والسياحة والتسلية، على أن يكون الرب في هذه كلها هو ضيف الشرف ورفيق الحياة، وأن يكون لإخوة المسيح من المحتاجين نصيبهم الأوفر في حياتنا كمؤمنين وفي مشاركتهم أفراحنا منصتين إلى قول القديس يوحنا **"وأما من كانت له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه"**

(١يو٣:١٧).

عدم التمادي في أفراح الجسد[٢] يجعلنا مستعدين للتعامل مع تجارب الحياة وآلامها دون أن نُصدم أو نكتئب أو ننهار، بل كما اختبرنا حضور الله في السرّاء نختبر مساندته وشركته في الضرّاء. فالاعتدال مطلوب في الفرح كما في الحزن. وكما يقولون خير الأمور الوسط وإن كان ليس دائماً.

(٢) نلفت النظر هنا إلى ما يقترن أحياناً باحتفالاتنا – خاصة حفلات الزواج التي تعقب الصلوات في الكنائس – من وسائل الفرح المصطنع كشرب الخمر، والهزل والصخب، وتراجع الحشمة، مما لا يليق بأبناء النور ومما يشي بازدواج الحياة. وعلى المستوى الشعبي البسيط فإن البعض يتوجس من الفرح المبالغ فيه لئلا يعقبه ما يسبب الحزن. وربما يعكس الناس في هذا ما جاء في الأمثال **"أيضاً في الضحك يكتئب القلب وعاقبة الفرح** (الجسدي) **حزن"** (أم ١٤:١٣)، ولكن هذا لن يكون بالنسبة للمؤمنين الذين يعيشون بالتقوى، فهؤلاء يحيون في سلام، وإن فرحوا أو ضحكوا لا يتوجّسون خيفة من المجهول فالتشاؤم سمة الخطاة الذين تبكتهم ضمائرهم (يو ٨:٩).

ضبط الشهوات

الشهوات، أو الرغبات القوية، يمكن أن تكون **روحية أو جسدية**. وهذه الأخيرة في أصلها خيّرة ومنسجمة مع احتياجات الإنسان، ولكنها يمكن أن تنحرف، ككل الغرائز والميول، وتصبح ردية (كو٣:٥).

والرب ليلة آلامه اجتمع مع تلاميذه وقال لهم "**شهوة اشتهيت** أن آكل هذا الفصح (الجديد) معكم قبل أن أتألم" (لو ٢٢:١٥). ومكتوب أيضاً أن "**الرب اشتهى** صهيون مسكناً له" (مز١٣٢:١٣، ١٤). والحكيم يقول "**شهوة الأبرار خير فقط**" (أم ١١:٢٣).

والشهوات الروحية تنافس تلك **الجسدية** والعكس بالعكس "**لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس** (ناموس الجسد)" (غل ٥:١٧-١٨). وعلى قدر غلبة الروح على قدر ما ينمو الإنسان روحياً، فتصير شهوته محبة الصلاة والتسبيح، أو اللهج في كلمة الله وحفظها،

أو الوجود في بيت الله، أو الكرازة بالخلاص، أو خدمة الفقراء والمرضى والمنبوذين وغيرها.

أما **الشهوات الجسدية** فهي كثيرة، وسنتناول هنا ضبط ثلاث منها : الطعام والجنس والمال. وقد سبق الحديث عن ضبط النظر (ص١١٨) وضبط الكلام (ص١٢٢).

(١) ضبط شهوة الطعام

في جنة عدن، ارتبطت الخطية الأولى، التي انفصل بها آدم عن الله، بالأكل، وإن لم تكن هي الأكل في ذاته. فقد أتاح الله لأبوينا أن يأكلا من جميع شجر الجنة ولكنه نهاهما عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تك ٢:١٧)، ولكن المرأة "**أخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل**" (تك ٣:٦). فكان الأكل هنا تعبيراً عن التجاسر على الله وعصيان وصيته والاستقلال في المعرفة عنه، مع الانصياع لإبليس الكذاب الذي لا يؤتمن وإشباع مشورته. وبعد حكم الموت والطرد من الجنة إلى الأرض ارتبط الأكل بالتعب وعرق الوجه (تك٣:١٧، ١٩).

+ والإنسان (والحيوان) بطبيعة جسده لا يستغني عن الأكل فهو قوت حياته. ومع هذا فإن الله أوصى الإنسان ألا يخضع للقمة العيش وإنما يضع كل ثقته في الله مصدر كل خير "**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله**" (تث ٨:٣، مت ٤:٤، لو٤:٤). وكثيراً ما نسى الإنسان وصية الله هذه ودخل إلى فخ التجربة تحت إغراء الطعام؛ فعيسو لم يفقد بكوريته متنازلاً عنها بسهولة ولم يبالِ بقيمة بكوريته وأهدرها رخيصةً من أجل أن يسد جوعه (تك ٢٥:٣٠-٣٤، عب ١٢:١٦). وبنو إسرائيل الذين أنقذهم الله من العبودية وعبر بهم البحر إلى سيناء سرعان ما تذمروا

وكرهت نفوسهم المن والسلوى (الطعام السخيف! – عد٢١:٥) معبّرين عن شوقهم إلى أرض العبودية حيث "**قدور اللحم ... والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم**" (خر١٦:٣، عد ١١:٤، ٥). والبعض تغلبهم الشراهة ومحبة الطعام حتى ليكادوا يتعبدون له (**إلههم بطنهم** – في ٣:١٩)، والبعض تدفعهم حاجتهم إلى الطعام إلى السرقة أو حتى إلى القتل.

+ الله خلق النبات والحيوان، وأعطى الإنسان أن يُخضع الأرض ويتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض، كما جعل البقول والأشجار طعاماً للإنسان، والعشب طعاماً للحيوان (تك ١:٢٨-٣٠). وكل ما خلق الله "**هو حسن جداً**" (تك١:٣١)، "**لأن كل خليقة الله جيدة ولا يُرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر لأنه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة**" (١تي ٤:٤، ٥)، ولنا أن نستمتع بالطعام والشراب ونختار منه ما يروق لنا ونتناوله بالشكر ممجدين الله "**فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله**" (١كو ١٠:٣١). ولكن الله عندما أمر بالصوم قصد أن نفهم أنه ليس الطعام، وإنما **هو** مصدر الحياة، وبالصوم علّمنا ضبط هذه الرغبة. فالشراهة والبِطنة والتخمة ضعف يقود إلى خطايا أخرى. فكثرة الأكل تحفز الشهوة الجنسية وتضعف النشاط الروحي والفكري، فضلاً عما تسببه من بدانة وأمراض كثيرة تهدد الحياة. وانتعاش الحياة الروحية من صلاة وتسبيح وحفظ كلمة الله يتناغم مع الصوم لا مع الانكباب على الأطعمة والتفنن فيها والانفاق الكثير عليها.

+ ووصايا الكتاب بعدم الاهتمام الزائد بالطعام شهيرة: ففي موعظته على الجبل أخذ الرب يذكّر المؤمنين برعايته لهم وأنه لا يليق بهم أن ينشغلوا كثيراً بأمور الطعام والشراب كأهل العالم قائلاً "**فلا تهتموا ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس فإن هذه كلها تطلبها الأمم لأن أباكم السماوي يعلم أنكم**

تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم (كعطية إضافية)" (مت ٦:٣١-٣٣).

وفي رسائل القديس بولس أن "**الطعام لا يقدمنا إلى الله لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص**" (١كو ٨:٨) "**الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك**" (١كو٦:١٣) "**لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس**" (رو١٤:١٧). وهو يحثّ على الاكتفاء والرضا بالقليل والكثير مع شكر الله "**تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن استفضل وأن أنقص**" (في ٤:١١، ١٢) "**والذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله. والذي لا يأكل** (يصوم) **فللرب لا يأكل ويشكر الله**" (رو١٤:٦). والنفوس التي اتقنت الصوم تشكر الله على المائدة الحافلة كما تشكره على الطعام البسيط، ولا تتذمر على نوعه أو قلّته، وهي تقتسم اللقمة مع الفقير، وتحتمل الجوع، وتتذكر الملايين المحرومين من الطعام في أنحاء الأرض وتصلي من أجلهم وتسهم في تقديم المساعدات لهم.

+ كلمة الله تنفي نجاسة الأشياء بما فيها الأطعمة وتؤكد أن النجاسة هي في أعمال الشر والاستخدام الشرير للأشياء "**ليس كل ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان**" لأن "**ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذاك ينجس الإنسان** (مت١٥:١١، ١٨)، "**إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجس بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس... كل الأشياء طاهرة**" (رو١٤:١٤، ٢٠)، "**ما طهّره الله لا تنجّسه أنت**" (أع ١٠:١٥، ١١:٩)، "**كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم**" (تي١:١٥).

والاقتصار خلال الصوم بعد فترة الانقطاع على الأطعمة النباتية لا يعني أنها طاهرة وحدها وأن غيرها من الأطعمة الحيوانية نجسة، وإنما لأنها تناسب هذه الممارسة الروحية حيث يسهم الجسد المنضبط المنسكب كذبيحة قدام الله في انتعاش الروح "...**أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية**" (رو١٢: ١).

+ والكلام ينسحب أيضاً على **الخمر**[1]، التي هي، كمادة كحولية تنتج من تخمر بعض العصائر النباتية السكرية، لها فوائدها الصحية والعلاجية في كمياتها القليلة، ولكنها تتحول إلى عدو إذا صارت **مسكراً**، أي إذا ارتفعت نسبة الكحول فيها أو زاد تركيزها في الدم، وعندها يفقد الإنسان عقله وكرامته. ومكتوب عن **نوح** أنه "**شرب من الخمر** (كثيراً) **فسكر وتعرّى**" (تك٩: ٢١)، كما أن ابنتي لوط سقتا أباهما خمراً واضطجعتا معه الواحدة بعد الأخرى، وفي سكره لم يدر باضطجاعهما أو قيامهما! (تك ١٩: ٣١-٣٥).

والكتاب يميز بين **الخمر والمسكر** ولكنه يمنعهما كليهما عن خدامه. فالله يقول لهرون وبنيه اللاويين "**خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع**" (لا١٠: ٩). وملاك الرب يقول لامرأة منوح العاقر وهو يبشرها بولادة شمشون "**احذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً**" (قض١٣: ٤، ٧، ١٤)، والملاك جبرائيل وهو يبشر زكريا الكاهن بولادة يوحنا يقول عنه "**لأنه يكون عظيماً وخمراً ومسكراً لا يشرب**" (لو١: ١٥). ولكن القديس بولس سمح لتلميذه تيموثاوس بأن يستعمل "**خمراً**

---

(١) والرب يسوع أظهر مجده في عرس قانا الجليل بأن حوّل الماء خمراً في أولى معجزاته (يو٢: ١-١١) استجابة لرجاء أمه العذراء وليرفع الحرج عن أصحاب العرس الذين فرغت خمرهم. وفي عصر المسيح كان عصير الكرم هو المشروب السائد في هذه البلاد. وكانت الخمر تُقدم إكراماً للضيف وفي حفلات العرس أو غيرها من المناسبات الاجتماعية، وليس للسكر والخلاعة. وحاشا للرب القدوس أن يصنع شراً.

قليلاً لمعدتك وأسقامك الكثيرة" (١تي٥:٢٣) مشيراً إلى تأثير الخمر العلاجي، ولكن هذا ليس تصريحاً بشرب الخمر دون دواعٍ صحية لأن القديس بولس نفسه حذّر من تناول الخمر كمسكر "**ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة**" (أف ٥:١٨) وبيّن أنه "**لا سكيرون ... يرثون ملكوت الله**" (١كو٦:١٠).

وبالنسبة لكل المؤمنين فالتعفف عن شرب الخمر، للهو أو بغير ضرورة، يتفق وروح الإنجيل لئلا يتحول إلى عادة متسلطة ولذة آسرة يصعب التخلص منها بعد إدمانها، فضلاً عن آثارها المدمّرة للذهن والجسد والشخصية (وفي هذا يقول الحكيم "**الخمر مستهزئة. المسكر عجاج ومن يترنح بهما ليس بحكيم.. لا تكن بين شرّيبي الخمر بين المتلفين أجسادهم لأن السكير والمسرف يفتقران... لمن الويل. لمن الشقاوة. لمن المخاصمات. لمن الكرب. لمن الجروح بلا سبب. لمن ازمهرار العينين. للذين يدمنون الخمر**" (أم ٢٠:١، ٢٣:٢٠، ٢١، ٢٩، ٣٠). والقانون المطبق هنا هو "**كل الأشياء تحل لي ولكن لا يتسلط عليّ شيء**" (١كو ٦:١٢).

وهذا يمتد بالطبع إلى كل العادات المتسلطة **كالتدخين**[٢] **والمخدرات**. ورغم أن التبغ وكل المواد المخدرة هي من أصول نباتية وليست شراً في ذاتها (وعلى العكس فإن للمخدرات بالذات فوائدها الطبية كدواء أو لتخفيف الآلام أو التخدير أثناء الجراحات)، لكنها كلها مرفوضة الاستخدام بسبب سلبها للإرادة وإيقاعها الإنسان في فخ الإدمان. وبعض المخدرات (مثل الكوكايين أو الكوكين Cocaine) تسبب الإدمان من المرة الأولى وبالتالي فتجربتها ولو لمرة واحدة هي أشبه بالانتحار. وكل المخدرات تدمر الجهاز

(٢) تشير الإحصاءات إلى ارتفاع نسبة الإصابة بسرطان الرئة بين المدخنين أكثر من غيرهم. كما أن هناك حالة وفاة بسبب التدخين بين كل عشر وفيات.

العصبي للمدمنين وتحولهم إلى أشباح تهيم في مسالك مظلمة إلى عالم الجريمة والفساد والموت وتسبب لذويهم التعاسة والعار. ومحاولات الخروج من دائرة الإدمان في المراكز المتخصصة هي أيضاً دونها العذاب والأهوال. وأولاد النور، الذين ليسوا لأنفسهم، لا يقتربون من دائرة الهلاك هذه، ولا تغريهم دعوة إبليس للتجربة والتذوق ولو لمرّة واحدة، لأنهم يُجلّون نعمة الحياة ويمجدون الله في أجسادهم وأرواحهم التي هي لله (١كو ٦:٢٠).

(٢) ضبط شهوة الجنس

الميل الجنسي أودعه الله منذ البدء في الحيوان والإنسان عندما خلقهم ذكراً وأنثى (تك١:٢٧) كي تستمر الحياة على الأرض **"وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض"** (تك ١:٢٨). ولكن الرغبة الجنسية في الحيوان موسمية ولا هدف لها غير التناسل وحفظ النوع، وفي معظمها تخلو من الالتزام الإنساني عندما رسم الله الزواج بأن **"يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً"** (تك ٢:٢٤، مت ١٩:٥) تعبيراً عن الحب الزوجي الذي يجمعهما فضلاً عن التعاون والخصوصية التي تكلل علاقة الزوجين **"معيناً نظيره"** (تك٢:١٨).

وعندما تعرض الرب للعلاقة بين الرجل والمرأة أكد على الترتيب الإلهي الأصيل من عدم فصم الزواج **"فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان"** (مت٩:٦)، وأن الطلاق الذي جاء تالياً في الناموس لم يكن إلا بسبب "قسوة القلب" ويتحتم حظره من أجل ملكوت الله، وأن قصر الطلاق على علّة الزنا لا يعني أنه صار مسموحاً به بعد أن يُغضّ الطرف عنه، وإنما لأن الزنا يفصم عُري

الزواج بالفعل باعتبار **"أن من التصق بزانية هو جسد واحد** (معها)" (١كو ٦:١٦)[٣]. ومع هذا فالمسيح وسع قلبه الجميع وانتشل الكثيرين من مهاوي الرذيلة [المرأة الخاطئة (لو ٧)، المرأة السامرية (يو ٤)، المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل (يو٨)]، وهو ختم مثل الابنين قائلاً لليهود الرافضين **"إن العشارين والزواني يسبقونكم** (بتوبتهم) **إلى ملكوت الله"** (مت ٢١:٣١).

وفي رسالته إلى أفسس، وهو يؤكد على أن يبذل الزوجان كل منهما نفسه من أجل الآخر (أف٥:٢٥، ٢٨، ٣١)، شبّه القديس بولس محبة الزوجين بمحبة المسيح والكنيسة **"كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها"**.

العفة في الزواج

على أن الزواج، مع هذا، لا يعطي رخصة لتصير العلاقة الزوجية مقصودة لذاتها ومستقلة عن شركة الله. فالجنس عندما يتقدس يصير خاضعاً للروح ولا يتنافر مع حياة القداسة، وسيقتضي الأمر أن يتعفف الزوجان من أجل الصلاة والصوم. هكذا أوصى القديس بولس المؤمنين **"لا يسلب أحدكم الآخر** (أي لا يمتنع أحدكم عن لقاء الآخر بإرادته المنفردة) **إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة** ثم تجتمعوا أيضاً لكي لا يجربكم الشيطان بسبب عدم نزاهتكم" (١كو ٧:٥).

العالم يستخدم الجنس للتسلية وإشباع الشهوات والمتاجرة والتربح، ويحول الإنسان خليقة الله الأثيرة إلى شيء وسلعة فاقدة لكرامتها الإنسانية. والمؤمنون

---

(٣) لأن الزواج هو نموذج للتعاهد الأمين بين الزوجين، فإن الأنبياء يقدمون العهد الذي يجمع الإنسان والله برباط الحب الأمين تحت رمز زواج غير قابل للفسخ، وتصير خيانة العهد زناً روحياً. والقديس يعقوب يصف محبي العالم أنهم أعداء الله وبالتالي هم "زناة وزواني" (يع ٤:٤).

لا علاقة لهم بهذا العالم الشرير وانحرافاته الصارخة، وزواجهم لا يبرر لهم تلويث ذهنهم النقي بنجاسات العالم وموبيقاته ليظل **"المضجع غير دنس"** (عب ١٣:٤) و**"ليكن ينبوعك مباركاً وافرح بامرأة شبابك"** كما يقول الحكيم (أم ٥:١٨).

الزواج المستند فقط إلى علاقات الجسد – أي يكون فقط لإطفاء الرغبة – هو أدنى أنواعه (... لأن التزوج أصلح من التحرق – ١كو ٧:٩). الزواج المسيحي شركة بين ثلاثة : الزوج والزوجة والروح القدس. لو كان ما يجمع الزوجين الجسد فقط، ينفصل الزواج إذا حدث ما يعطل الاتحاد الجسدي، وهذا ليس وارداً في الزواج المسيحي. فالحب هو مسئولية وبذل واحتمال. الخيانة وحدها تسمح بالافتراق إلا إذا غلب الحبُ المحنة وتحقق الندم والتوبة من ناحية والغفران من الناحية الأخرى.

العفة خارج الزواج

ولكن غريزة الجنس تبقى قوة دافعة إيجابية حتى قبل الزواج، وهي وراء طاقة الشباب الموجهة للجهاد الروحي والدراسة والعمل والرياضة والخدمة واحتمال المشقات، وإن كان البعض، على الجانب الآخر، لا يرى فيها غير اللذة الآسرة يغطيها الادعاء الكاذب من الكثيرين أنها تعبّر عن الحب. **ولكن الحب الملتزم في كماله لا يكون إلا في الزواج حيث المسئولية والعطاء المتبادل وتقديس العلاقة الزوجية وتحمّل الزوجين أعباء العائلة وإيهاب حياتهما لأولادهما وقيادتهم في طريق الحياة الأبدية.**

العلاقة الجنسية إذاً لا يُعبّر عنها بصورة كاملة إلا في الزواج. ومن هنا فالعفة واجبة للشباب إلى أن يحين الزواج. وكثير من الشباب الذين ينشدون

الطهارة وتجنب حروب الشهوة يعيشون العفة منذ مطلع شبابهم كأنهم نـــذروا البتولية؛ فإن أُتيح لهم الزواج في وقته يقبلون عليه طاهرين، وإلا ظلـــوا علـــى عفتهم وهم في العالم كمتبتلين، أو تركوا العالم إلى حياة الرهبنة. هؤلاء هـــم الذين أشار إليهم الرب بقوله "**يوجد خصيان خصوا أنفسهم** (روحياً) **لأجل ملكوت السموات**" (مت١٩: ١٢) أي الذين يكرّسون طاقتهم الجنسية وكل حياتهم لحساب الله ومحبته وخدمته وكأنهم يعيشون الملكوت منذ الآن.

والقديس بولس (البتول) كان يميل إلى البتولية وعدم الزواج، **من ناحيـــة** ليكون المؤمن بلا هّم، **ومن ناحية** لتوقعه المجيء الثاني للرب، وإن كان يراهـــا ليست موهبة الجميع "**لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا. لكـــن كـــل واحد له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا** (أو كما قـــال الرب: "**من استطاع أن يقبل فليقبل**" – مت١٩: ١٢)... **فإني أشفق عليكم. فأقول هذا أيها الإخوة إن الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون الـــذين لهـــم نساء كأن ليس لهم.. لأن هيئة هذا العالم تزول. فأريد أن تكونوا بلا همّ.. هذا أقوله لخيركم ليس لكي أُلقي عليكم وهقاً بل لأجل اللياقـــة والمثـــابرة للرب من دون ارتباك**" (١كو٧: ٧، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٥).

ولكن لأن الشهوة الجنسية قوية بطبيعتها لدوام الحياة، خاصـــة في ســـن الشباب، فسد المنافذ التي تغذي الشهوة، والتحفظ الصارم في الفكر والنظـــرة والقراءات والمعاشرات الرديئة هو من أوجب الواجبات، وبالأولى ألا يـــسعى المؤمن الملتزم إلى ما يثير شهوته متعلماً من خبراته السابقة ناجياً بنفـــسه مـــن السقوط وما يتبعه من آلام ودموع وتعاسة. ولا مجال لتفاهمات في أمر شـــهوة الجنس، بل يصير الهرب في أحيان – طاعة لله واقتناعاً بجدوى الطهارة وحفظ

النفس بلا دنس من العالم (يع١:٢٧) – تصرفاً شجاعاً وصعباً، حتى لو وصفه البعض بالجبن. فتقدير يوسف الصديق للظروف المحيطة به جعله بعد الإلحاح يفرّ من تجربته تاركاً ثوبه في يد امرأة سيده رغم تيقنه أن العقاب في انتظاره، وشعاره **"كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء إلى الله** (فالخطية موجهة إلى الله)" (تك ٣٩:٧-٢٠)، وهو شعار كل أولاد الله. والهرب من الشهوات الشبابية هو ما أوصى به القديس بولس تلميذه تيموثاوس (٢تي ٢:٢٢)، وهو ما علّم به القديس بطرس أيضاً **"هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة"** (٢بط ١:٤).

عن الزنا

الزنا، بأشكاله، خطية منذ ما قبل الناموس، والله رمّد سدوم وعمورة بالنار (تك١٩:٢٤، ٢بط٢:٩) لشذوذ رجالها[٤] الذين لو كان بينهم عشرة أبرار لنجتا من الحريق (تك١٨:٣٢).

والوصية السابعة من الوصايا العشر تنهي عن **الزنا** (خر ٢٠:١٤، تث ٥:١٨) لأنه ضد مبدأ الزواج الذي رسمه الله ليعبّر عن العلاقة الجنسية الأمينة.

---

(٤) والعهد الجديد أدان الشذوذ الجنسي باعتباره ضد الطبيعة وانسياقاً وراء أهواء الهوان والوضعة **"لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم... لذلك أسلمهم إلى أهواء الهوان لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتعلوا بشهواتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المُحق** (كالإصابة بالإيدز)" (رو١:١٨، ٢٦، ٢٧). والانهيار الأخلاقي كان أحد أسباب انهيار الدولة الرومانية، وهو ما يهدد الحضارات الحالية، بل أنه يهدد بعض الكنائس الغربية التي سمحت برسامة أساقفة مثليين. وقوانين بعض البلاد تعترف حالياً بزواج الشواذ أو المثليين جنسياً، وبعض المثليين من الجنسين هم من المشاهير ويعتلون أرقى المناصب ويجاهرون بميلهم الجنسي الشائن هذا. والقديس بولس يشير إلى مصيرهم قائلاً **"لا زناة... ولا فاسقون... ولا مضاجعو ذكور... يرثون ملكوت الله"** (١كو ٦:٩، ١٠).

كما أن الوصية الأخيرة تنهي عن اشتهاء امرأة القريب (خر ٢٠:١٧، تث ٥:٢١) لحماية الزواج. والمؤمن الذي يحيا التوبة يحفظ نفسه طاهراً (١تي ٥:٣٢) قلباً وقالباً. والقديس بولس يؤكد **أن الجسد للرب وأن أجسادنا هي أعضاء المسيح، وهي هيكل للروح القدس، ولا يليق أن نجعلها أعضاء زانية** (١كو٦:١٣، ١٥، ١٩). وتحريم الزنا ليس في الفعل الجنسي بحد ذاته، فجسدياً الفعل الجنسي المجرد هو هو في الزواج أو في الزنا، ولكن الخطية هي في ممارسة الجنس خارج الإطار الذي رسمه الله وهو الزواج، والذي فيه فقط يتقدس الجنس وتتجرد العلاقة من الخجل والإثم (تك٢:٢٥) وإنما تُسعد الزوجين وتجعلهما جسداً واحداً. وبصورة عامة فالأفعال التي تتم في دائرة الإيمان تكون لمجد الله، أما تلك المستقلة عن الله حتى لو لم تكن شراً في ذاتها فهي فقط ترضي أصحابها أو الناس ولا تقصد مجد الله، فتكون بالتالي أفعالاً ردية ميتة.

والقديس بولس يجعل كل الوصايا تستند إلى المحبة التي هي تكميل الناموس، فمحبة القريب تتنافى مع الزنا والقتل والسرقة وشهادة الزور واشتهاء ما للقريب (رو١٣:٨-١٠).

+ **والزنا** هو الخطر الذي يهدد حياة الشباب الروحية. والرب لما أخذ في سرد الوصايا للشاب الغني بدأها بوصية "**لا تزن**" التي وإن كانت موجهة للجميع إلا أنها تعني الشباب بدرجة أكبر. والسلوك بالطهارة هو التحدي الصعب أمام الجميع.

+ في دول العالم التي نَحّت الإيمان جانباً، صارت العفة هي الاستثناء ويرونها أثراً من آثار الماضي عفا عليه الزمن، والنجاسة لم تعد أمراً يُخجل منه أو يتم في الخفاء وإنما بجسارة وبغير حياء. وفي منطقتنا يتخذ الزنا أسماء أخرى يتخفّى تحتها (مثل الزواج العرفي وأشباهه) وبعضها يكون مؤقتاً بزمان يتفق

عليه الطرفان مقدماً وبانتهائه تنفصم عري هذا الزواج الحر الزائف الـــذي لا يحمل أي قدر من الالتزام أو الاحترام أو الحب بمعناه الحقيقي.

+ الشهوة الجنسية، دون قيود، وخارج دائرة الـــزواج، أو بـــرغم قيـــود الزواج، قادت وتقود إلى جرائم قتل وسرقة واختلاس وتجارة رقيق وخيانـــة، ودمرت وتدمر حياة عائلات، وحطمت ملوكاً ورؤساءً وقادةً كـــانوا مـــلء السمع والبصر فأطاحت بهم الفضائح وهووا إلى الحضيض. ومنذ قرون كتب سليمان الحكيم في سفر أمثاله يحذّر **"لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المـــرء إلى رغيف خبز.. أيأخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه أو يمـــشي علـــى الجمر ولا تكتوي رجلاه، هكذا من يدخل على امرأة صاحبه.. أما الزاني.. فعديم العقل.. ضرباً وخزياً يجد وعـــاره لا يُمحـــى"** (أم ٦:٢٦-٢٩، ٣٢، ٣٣)، وأيضاً **"لأن الزانية هوة عميقة"** (أم٢٣:٢٧) **"لأنها طرحت كـــثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء"** (أم٧:٢٦) ويقول القديس بولس عـــن ضـــحايا شهوتهم **"الذين إذ هم فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كـــل نجاسة في الطمع** (أف٤:١٩). ومن له أذنان للسمع فليسمع.

(٣) ضبط محبة المال والامتلاك

المال أداة ابتدعها الإنسان لتيسير التبادل التجاري والحصول على حاجاته بعد أن كان يعتمد في ذلك على مبادلة السلع. وبمضي الزمن تمايز الناس بـــين أغنياء وفقراء، وأصبح الغِنى يوفر الجاه والكرامة، وصار الحصول علـــى المـــال واكتنازه هدفاً وبدأت آلام الإنسان. **فالمال** الذي كان عبداً جيداً صار ســـيداً شريراً. وظهر التنافس والطمع والكبرياء والغرور وتعظم المعيـــشة، وانفـــصل البشر بين سادة وعبيد ومُلاّك وأُجراء فكان الحقد والحسد والغـــيرة والظلـــم والفقر. وبالنسبة للكثيرين صار **المال** إلهاً معبوداً بديلاً عـــن الله، وفي ســـبيل

الحصول عليه ارتُكبت جرائم (سرقة – اختلاس – رشوة – قتل حتى أقرب الأقربين – وحتى بيع الجسد)، وعلى مستوى الدول كان الاستعمار وقامت حروب.

+ وفي كلمات الرب الكثير الذي يتعلق بدور **المال** في حياة الناس "**لا يقدر أحد أن يخدم سيدين.. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**" (مت٦:٢٤، لو ١٦:١٣)، "**ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه**" (مت ١٦:٢٦، مر ٨:٣٦، لو ٩:٢٥) وهو نفسه، الذي له "كل ما في السماء والأرض" (١أى ٢٩:١١) لم يحمل كيساً (مت ١٧:٢٧) ولم يكن له أين يسند رأسه (مت ٨:٢٠). وتلاميذه مثله سُبوا العالم شرقه وغربه ولم يكن لهم فضة ولا ذهب (أع٣:٦)، والأموال التي كانت تُقدم لهم كانوا يضعونها عند أقدامهم (أع ٤:٣٥) وشعارهم "**كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء**" (٢كو ٦:١٠).

ومكتوب في رسائل القديس بولس "**وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرِّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة**" (١تي٦:٦-١٠)، وأن الطمع والجشع والتطلع لزيادة المال وتكديسه هو نوع من عبادة الأوثان (كو ٣:٥).

+ **المال**، ككل الأشياء، يمكن أن يكون بركة عظمى أو مصدراً للتعاسة والموت إذا صار موضع حبنا وانشغالنا، وهو في أيدينا إحدى الوسائل لتمجيد الله وخدمته. وتقديم العشور معروف منذ أيام إبراهيم الذي عشّر لملكي صادق (تك١٤:٢٠) وصار فيما بعد أمراً لكل الشعب (لا٥:١١، ٢٧:٣٠-٣٢،

تث ١٢:٦، ١٧). والرب أوصانا أن نسد حاجة الجائع والعطشان والعريان كأننا نخدمه هو (مت ٢٥:٣٥-٤٠). فلنجعل المال خادمنا المُخلص الذي يسدد احتياجاتنا ويلبي أعواز الغير ويخدم الكنيسة والمجتمع الذي نعيش فيه، وبهذا يمكن أن يشهد لنا المال في اليوم الأخير. ولنطلب من الله "**الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر**" (يع١:٥) أن يهبنا أن نعطي بالسخاء والبركات (٢كو ٩:٦)، وأن نتعلم من سيدنا الذي قال "**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**" (أع ٢٠:٣٥)، وأن يتصاعد عطاؤنا ليتجاوز العشور "**إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات**" (مت٥:٢٠) واثقين في أمانة الله الذي وعد "**إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع**" (ملا٣:١٠).

+ والمؤمن إذا جاءه **المال** الكثير يشكر الله على سخاء عطائه لأنه يتيح له أن يوزع أكثر، ولا يحزن لخسارته أو دمار ممتلكاته (فهذا هو حزن العالم الذي يدمر النفس – ٢كو ٧:١٠) ولكنه يسلّم الأمر لله القادر أن يعوضه ويقول مع أيوب "**الرب أعطى الرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً**" (أي١:٢١)، فالله الغني هو واهب كل العطايا، وهو يحثّنا أن نطلب أولاً ملكوت الله وبره، أما عن العطايا المادية "**وهذه كلها تزاد لكم**" (مت٦:٣٣، لو١٢:٣١) ونحن عندما نعطي فنحن نقول مع داود "**لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك**" (١ أى ٢٩:١٤).

وبصورة عامة، ففي مجال الإنفاق ينبغي أن نعامل المال كوزنة تُستثمَر بأمانة، فلا إسراف وتبذير، أو إهدار سفيه للمال في المغامرة، أو استدانة بغير حساب، مع تحفّظ في شراء الكماليات، كي نستطيع أن نوفي التزاماتنا للرب وإخوته الأصاغر.

❄ ❄ ❄

في ختام هذه المقالات، يمكن القول إن **ضبط النفس** ليس قاصراً على المجالات التي سبق ذكرها، وإنما هو منهج ينسحب على كل مواقف الحياة فيصبغها بالحكمة والاتزان والوسطية.

ففي مجال **الوعود والعهود والمواعيد** يكون الالتزام الصارم، وهو ما يقضي تنظيماً دقيقاً **للوقت** وكل أمور الحياة اليومية وأخذ النفس بالشدة لتنفيذ الوعود مهما كانت العقبات، وفي مجال **الصحة الجسدية والنفسية** يكون المحافظة عليها وعدم الشراهة في الطعام والبُعد عن المكيفات والالتزام بالدواء وعدم السماح لمسببات القلق بتهديد السلام القلبي، وفي مجال **العمل** يكون احترامه والالتزام بمواعيده وتقدير رؤسائه وأمانة القيام بواجباته والمحافظة على وقت الآخرين وحسن معاملة المرءوسين، وفي مجال **العلاقات الاجتماعية** يكون الاتزان في الاهتمام والمشاركة مع الالتزام بالنهج المسيحي، وفي مجال **الزينة والملابس** تكون الحشمة وعدم المبالغة في الزينة والمظاهر وعدم الانسياق وراء الموضات إلا ما يناسب ورفض كل ما هو خليع ومعثر. وفي مجال **المعرفة والطموح وحب الاستطلاع** يكون ألا نرتئي فوق ما ينبغي أن نرتئي بل أن نرتئي إلى التعقل (رو١٢:٣) لأن التجاوز خاصة في مجالات التجريب والتعرف على المجهول قد يقود إلى الدمار، كما أن الطموح المُغالَى فيه يسلب الإنسان سلامه ويحرمه من الفرح بالكثير الذي عنده.

وفي كل مجال ليكن قانون الحياة "**وكل من يجاهد** (من أجل حياة أفضل) **يضبط نفسه في كل شيء**" (١كو ٩:٢٥).

"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله"
(تث ٨:٣، مت ٤:٤ ، لو ٤:٤)

عن الصداقة

+ الصداقة من منظور كتابي

الصداقة من منظور كتابي

بينما وصية **المحبة** عامة لجميع المؤمنين يمارسونها من جانبهم مع الجميع: للمؤمنين أقرانهم وغير المؤمنين، القريب والغريب، وحتى للعدو؛ فالعالم كله مجال محبة المؤمن. فهي تعبّر عن قبول الآخر وحسن معاملته والاستعداد لخدمته ومساعدته كأننا نعامل شخص الرب ودون انتظار المقابل. وبالطبع إذا قوبلت المحبة بمثلها اضطرمت وأثمرت فرحاً وسلاماً لكل الأطراف.

ولكن **الصداقة**، التي تنبثق بطبيعتها من المحبة الإنسانية، هي علاقة شخصية اختيارية. وهي قد تبدأ كنبتة صغيرة بين زملاء دراسة أو عمل أو بين جيران أو حتى بمصادفة في الطريق، كمجرد زمالة أو معرفة، ثم تنمو إلى صداقة بدوام الاتصال واتفاق المشارب والميول والفكر وتقارب المستوى الاجتماعي. وبالرعاية المشتركة من الطرفين تتصاعد الصداقة وتتوثق، ولكنها تنحسر وتذبل

بالإهمال والانحصار في الذات.

والصداقة هي بالفعل نعمة عظيمة من نعم الحياة. وتميُّزها وتفردُّها هي أنها ليست مفروضة كالقرابة التي تفترض المحبة كفطرة وغريزة. فالوالدان كتروع طبيعي يحبان أولادهما ويرعيانهما ويفديانهما بأرواحهما[1]. ومع هذا فمن الممكن أن ينقلب الحال بوازع الشر أو تحت ضغط الظروف الحياتية فيقتل الوالد ابنه أو ابنته أو يقتل الابن أباه أو أمه أو أخاه (كما فعل قايين بأخيه في القديم). من هنا تسمو الصداقة في جانب منها على القرابة الجسدية لأنها علاقة حرة تماماً حتى أن سليمان الحكيم يقول في "الأمثال" "**يوجد محب ألزق من الأخ**" (أم ١٨:٢٤) أي قد تكون علاقة المحبة بين صديقين أشد وثوقاً مما هي بين الأخ وأخيه.

نماذج وخبرات في الكتاب

(١) الله صديق الإنسان

+ تحمل لنا صفحات **العهد القديم** نموذج الصداقة الحقيقية في علاقات الله بالإنسان. ويبرز من بينها علاقة الله **بإبراهيم** حتى أن الكتاب يسجل عن الله قوله : "**هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله؟**" (تك١٨:١٧) "**يا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي**" (إش ٤١:٨)؛ وعلاقته **بيوسف** "**وكان الرب مع يوسف..**" (تك٣٩:٢)، **وموسى** "**فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين**" (عد ١٢:٧، ٨)، **وداود** "**وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي**" (أع ١٣:٢٢). فالله بكل جلاله لا يأنف أن يصير صديقاً لبعض

---

(١) وهذا يسود أيضاً غريزياً في عالم الحيوان لحفظ النوع. فحتى الوحوش ترعى ذريتها وتحميها من كل الأخطار وتدافع عنها بكل بسالة وإلى حد الموت، إلى أن تشب عن الطوق، وتدربها على سبل العيش كي تستقل هي أيضاً وتمارس حياتها كأسلافها.

عبيده الذين بادلوه حباً بحب.

+ وتجسُّد الرب كعبد ونزوله إلى أرضنا لخلاص البشر هو تعبير عن حبه ووقوفه إلى جانب الإنسان الذي غلبه الموت وبذله ذاته من أجل من أحبهم حتى المنتهى. وقبل ارتفاعه على الصليب مارس صداقته للكل وشاركهم أفراحهم وآلامهم وأحزانهم وكان يجول يصنع خيراً (أع١٠:٣٨). ويسجّل الكتاب أنه لما رأى الجموع **تحنن عليهم** "إذ كانوا متزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها" (مت٩:٣٦). كما قال أيضاً عن الجموع الذين كانوا يسمعونه **"إني أشفق على الجمع** لأن الآن لهم ثلاثة أيام وليس لهم ما يأكلون **ولست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوّروا في الطريق"** (مت١٥:٣٢، مر ٨:٢، ٣). ولما صادف في الطريق أرملة تشيّع ابنها الوحيد **"تحنن عليها وقال لها لا تبكي"** ثم أوقف الجنازة ولمس النعش وأقام الشاب ودفعه إلى أمه (لو ٧:١١-١٥).

وعلاقته الوثيقة بتلاميذه لا تحتاج إلى بيان فهو اختارهم **"ليكونوا معه** وليرسلهم ليكرزوا" (مر٣:١٤)، كما دعاهم **أحباءه "لا أعود أسميكم عبيداً لكني قد سميتكم أحباء"**[٢] (يو١٥:١٥). وهم شاطروه تجاربه وأبدوا في وقت ما استعدادهم للوقوف معه في آلامه **"أنتم الذين ثبتُوا معي في تجاربي..."** (لو٢٢:٢٨). وبين تلاميذه كانت علاقته أوثق **بيوحنا "التلميذ الذي كان يسوع يحبه"** (يو١٣:٢٣، ١٩:٢٦، ٢٠:٢، ٢١:٧، ٢٠) والذي أظهر هو أيضاً حبه للسيد ورافقه في آلامه ليس في جثسيماني فقط وإنما حتى الصليب

---

(٢) يميز الكتاب بين "الصديق (أو المحب) philos" كما دعا تلاميذه، وبين "الرفيق (أو الصاحب hetairos)" كيهوذا "يا صاحب.. لماذا جئت؟" (مت ٢٦:٥٠)، واستخدمت كلمة "صاحب" في مثل الفعلة والكرم (مت٢٠:١٣) ومثل العرس (مت٢٢:١٢).

والقبر، وعهد إليه الرب بأمه العذراء وجعلها له أماً بعد أن جعله لها ابناً (يو١٩: ٢٦).

وبين البيوت التي كان يجد فيها راحته كان بيت لعازر "**وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر**" (يو١١: ٥). وعند موت لعازر جاء إلى بيته من سفره البعيد وشاركهم حزنهم وأظهر نفسه القيامة والحياة إذ أقام لعازر "**حبيبنا**" بعد أربعة أيام من موته (يو ١١).

والرب استودع تلاميذه وصيته بأن يسود الحب الأخوي بينهم على غرار محبته لهم "**هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم... بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً**" (يو١٥: ١٢، ١٧). وقد حققت الكنيسة الأولى وصية الرب وقدمت نموذجاً شاهداً مدى الأجيال على المحبة العملية والترابط الأخوي الصادق بين المؤمنين الأوائل "**وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً**" (أع ٢: ٤٤) "**وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة**" (أع٤: ٣٢).

(٢) داود ويوناثان

منذ القديم تبرز أمامنا الصداقة الأسطورية للشابين **داود ويوناثان**، ابن الملك شاول، والمحبة الرائعة التي جمعت بينهما و لم تتراجع رغم عداء الملك شاول الصريح لداود (١صم١٨: ٢٩). فبعد أن انتصر داود الشاب اليافع على جليات الذي كان يعيّر "صفوف الله الحي" يقول الكتاب "**إن نفس يوناثان تعلّقت بنفس داود وأحبه يوناثان كنفسه.. وقطع يوناثان وداود عهداً لأنه أحبه كنفسه وخلع يوناثان الجبة التي عليه وأعطاها لداود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته**" (١صم ١٨: ١-٤). بل أنه وقف بجانب داود يحميه من غضب أبيه ويدافع عنه أمامه ويمتدحه عنده حتى تهدأ نفسه "**لا يخطيء الملك إلى عبده داود لأنه لم يخطيء إليك ولأن أعماله حسنة لك جداً...**" (١صم

١٩:١-٧) وتعّهد يوناثان لداود قائلاً **"مهما تقل نفسك أفعله لك"** (١صم ٢٠:٤). وبسبب محبته لداود تحمّل يوناثان هو أيضاً غضب أبيه الذي حاول أن يثيره على داود "لأنه مادام ابن يسّى حياً على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك" (١صم٢٠: ٣٠، ٣١).

+ ولكن محبة الصديقين ظلت غالبة. وقال يوناثان لداود "لا تخف لأن يد شاول أبي لا تجدك وأنت تملك على إسرائيل **وأنا أكون لك ثانياً وشاول أبي أيضاً يعلم ذلك"** (١صم٢٣:١٧). رغم كل شيء، ظل داود، وهو ملك، على محبته وتوقيره للملك شاول "مسيح الرب". ولما بلغه مقتله هو ويوناثان لم يتمالك نفسه، فمزّق ثيابه، ورثاهما بحزن عظيم قائلاً **"كيف سقط الجبابرة؟**.. من دم القتلى ومن شحم الجبابرة لم ترجع قوس يوناثان إلى الوراء وسيف شاول لم يرجع خائباً. **شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان في حياتهما لم يفترقا في موتهما. أخف من النسور وأشد من الأسود.** يا بنات أورشليم ابكين شاول الذي ألبسكن قرمزاً بالتنعم وجعل حلي الذهب على ملابسكن. **كيف سقط الجبابرة في وسط الحرب. يوناثان على شوامخك مقتول. وقد تضايقت عليك يا أخي يوناثان. كنت حلواً لي جداً. محبتك لي أعجب من محبة النساء. كيف سقط الجبابرة وبادت آلات الحرب"** (٢صم١:١٩-٢٧).

+ ولم يفتر حب داود ووفاؤه لصديقه يوناثان بعد رحيله الدامي، فأخذ يسأل "هل يوجد أحد قد بقى من بيت شاول **فأصنع معه معروفاً** (إحسان الله) **من أجل يوناثان"** فعلم من عبد لبيت شاول اسمه "صيبا" أن هناك ابناً ليوناثان اسمه "مفيبوشت" (أعرج الرجلين) يعيش في بيت رجل اسمه ماكير بن عميئيل في بلدة لودبار. فاستدعاه داود ولما جاءه خرّ على وجهه وسجد. فقال له داود **"لا تخف. فإني لأعملنّ معك معروفاً من أجل يوناثان أبيك وأرد لك كل حقول شاول أبيك وأنت تأكل خبزاً على مائدتي دائماً... كواحد من بني الملك"**. وبالفعل فقد أعاد داود لمفيبوشت كل أرض شاول جده، وأمر

صيبا وبنيه الخمسة عشر وعبيده العشرين أن يصيروا عبيداً لـــه ويـــشتغلوا في أرضه (٢صم ٩: ١-١٣).

فالصداقة الحقيقية تبقى ولا تضعف وإنما تظل منتعشة حتى مـــع البعـــد، ومُضيّ السنين لا ينال منها. وحتى الموت لا يستطيع أن يلاشيها "**المحبة قويـــة كالموت**" (نش ٨: ٦).

(٣) القديس بولس

للقديس بولس تجاربه في مجال الصداقة. فمحبته المسيحية جعلته مرتبطـــاً بإخوته في الكنيسة بأوثق الروابط. وفي رسائله يفرد جانباً يُعتّد به للسلام على أحبائه ويذكرهم بالخير ويبدي اهتمامه بهم ويوصي بهم خيراً.

+ ففي ختام رسالته إلى أهل رومية (رو ١٦) يرسل الـــسلام إلى **أكـــيلا وبريسكلا** "اللذيْن وضعا عنقيهما من أجل حياتي" وإلى "**ابينتوس** حبيبي الذي هو باكورة أخائية (كورنثوس) للمسيح"، وإلى **مريم** "التي تعبت لأجلنا كثيراً"، **واندرونيكوس ويونياس** "وقد كانا في المسيح قبلي"، **وأمبليـــاس** "حبـــيبي في الرب"، وإلى "**أوربانوس.. وإستاخيس** حبـــيبي"، وإلى **تريفينـــا وتريفوســـا** "التاعبتين في الرب"، وإلى "**بَرسيس** المحبوبة التي تعبـــت كـــثيراً في الـــرب"، **وروفس** (ابن سمعان القيرواني) "المختار في الرب وعلى أمه أمي". كما يـــسلم على أحد عشر آخرين بالاسم إضافة إلى "جميع القديسين الذين معهم". فهـــو يتابع أصدقاءه على البعد بالرسائل ويقول فـــيهم حـــسناً ويمتـــدح عملـــهم وخدمتهم، وهكذا تنمو الصداقات وتتدعّم.

+ وهو لا يغمط حق تلاميذه الذين يخدمون معه فيذكرهم في صدر رسائله إلى الكنائس كأنهم مكافئين له ويحيطهم بألقاب التكريم والمحبة، كمـــا يقـــرن حاملي رسائله بكلمات الحب والتقدير والمديح لخدمتهم كي يجدوا نعمة عنـــد الكنيسة التي يخاطبها وهكذا يساند خدمتهم ويبني قامتهم الروحية: "**بولس**..

وسوستانيس الأخ إلى كنيسة الله" (١كو١:١)، "**بولس.. وتيموثاوس** الأخ إلى..." (٢كو١:١، كو ١:١)، "**بولس وتيموثاوس** عبدا يسوع المسيح إلى جميع القديسين.." (في ١:١)، "**بولس وسلوانس وتيموثاوس** إلى كنيسة الله" (١تس ١:١، ٢تس١:١)، "**تيخيكس** الأخ الحبيب الخادم الأمين والعبد معنا (مثلنا) في الرب" (كو ٤:٧)، "**أبفراس**.. العبد الحبيب معنا الذي **هو خادم أمين للمسيح لأجلكم.. مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات**" (كو١:٧، ٤:١٢).

+ وفي رسالة **القديس بولس** القصيرة إلى صديقه **فليمون**، التي يوصيه فيها **بأُنسيمُس** عبده الهارب منه والعائد إليه في المسيح، يخاطبه بفليمون **المحبوب**، ويذكر معه **أبفيّة** المحبوبة، ويدعو **أُنسيمُس "ابنه الذي ولده في قيوده!** [٣]"، والذي لم يشأ أن يبقيه معه ليخدمه "في قيود الإنجيل (أي وهو سجين من أجل الكرازة) بغير أن يستأذنه "**ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً**"، وهو يعلن أنه يتحمّل عن أُنسيمُس أي خطأ في حق سيده "**احسب ذلك علي. أنا أوفي** (أُسدّد)". فالقديس بولس – كسيده – يحمل عار الضعفاء ويتعامل مع صديقه فليمون بكل الرقة والاحترام، ولا يستخدم موقعه الكبير عنده في الضغط عليه وإنما يكاد يتوسل إليه كي يعفو عن عبده ويعامله في المسيح "**لا كعبد في ما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً.. فاقبله نظيري**"، وهو يمتدحه في الختام معرباً عن حسن ظنه به "عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول". فالمحبة والصداقة تفترضان إنكار الذات وتقديم الصديق في الكرامة (رو ١٢:١٠) بروح الاتضاع وحسن اختيار الكلمات التي تعبر عن التقدير الصادق والمجاملة الحقّة.

+ على أن **القديس بولس** يضع حدوداً للصداقة بين الخدام فلا تكون على

(٣) ويدعوه في رسالته إلى أهل كولوسي "**أُنسيمُس الأخ الأمين الحبيب**" (كو ٤:٩).

حساب حق الإنجيل. فليس مقبولاً غضّ الطرْف عن تهاون الخادم الصديق أو انحراف عقيدته. وهو قد واجه مصاعب قاسية مع **برنابا** الذي كان يريد أن يرافقهما مرقس على عكس ما كان يراه **القديس بولس** الذي كان يتأهب لرحلته الكرازية الثانية، فقد أخذ على مرقس مفارقتهما من قبل ورفضه الذهاب معهما للخدمة في بمفيلية (أع ١٤:٢٤) **"فحصلت بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر"** وبرنابا أخذ مرقس (ابن شقيقته) معه إلى قبرس وبولس أخذ سيلا معه إلى سورية وكيليكية ثم إلى اليونان فيما بعد (أع ١٥:٣٦-٤١).

+ وهناك موقف آخر مع **القديس بطرس** يذكره الرسول بولس بالتفصيل في رسالته إلى غلاطية (غل ٢:١١-١٤) مشيراً إلى الاتفاق الذي تم مع سائر التلاميذ في أورشليم أن يكون هو وبرنابا لخدمة الأمم (بحسب دعوة الرب له – أع ٩:١٥) وهم لخدمة الختان[٤]. ولكن ما أزعج القديس بولس أن القديس بطرس لما جاء إلى أنطاكية كان يأكل مع الأمم بغير تحفظ، ولكن لما جاء يهود مؤمنون من عند القديس يعقوب أسقف أورشليم بدأ **"يؤخر ويفرز نفسه"** متحفّظاً في التعامل مع الأمميين **"خائفاً من الذين هم من الختان"** (غل٢:١٢)، وأزعجه بالأكثر أن هذا الاتجاه المرائي تبنّاه معه باقي اليهود وحتى رفيقه **برنابا**. هنا انتصب القديس لمقاومة القديس بطرس (أخيه وصديقه)

---

(٤) على أن هذا لم يمنع **القديس بطرس** أن يبشر ويعمد الأممي كرنيليوس قائد الكتيبة الإيطالية في قيصرية (أع ١٠) وإن خاصمه بسبب ذلك اليهود المؤمنون في أورشليم، وأخذوا عليه أنه أكل مع غُلف. وبيَّن لهم القديس بطرس أنه كان أمراً إلهياً لا يقدر أن يمنعه (أع ١١:١-١٨)؛ كما لم يمنع القديس بولس أن يبشر اليهود، فأول من آمن في فيلبي ليدية اليهودية التقية واعتمدت هي وأهل بيتها (أع ١٦:١٤، ١٥). وبدأ خدمته في تسالونيكي وكورنثوس بين اليهود (واليونانيين) (أع ١٧:١، ١٨:٤)، ولكن لما قاومه بعض اليهود "نفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم. أنا بريء. **من الآن أذهب إلى الأمم**" (أع ١٨:٦) (وإن بقى في كورنثوس لسنة ونصف مبشراً طاعة لأمر الرب).

مواجهةً **"لأنه كان ملوماً"** (غل ٢:١١)، فهنا انحراف لا يمكن السكوت عليه وقال له قدام الجميع "وإن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً.. فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا" مؤكداً **"أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح"** (غل٢:١٤، ١٦).

فعندما يتعلق الأمر بالإيمان ومبادئه لا تقف الصداقة عائقاً أمام إعلان الحق. وفي نفس الوقت لا تحدث خصومة ومقاطعة لأن الأمر ليس شخصياً، وهو ما حدث. فبرنابا ومرقس عادا للخدمة مع القديس بولس (كو ٤:١٠، فل ٢٤). وفي حصاره الأخير قبل استشهاده يطلب القديس بولس في رسالته الثانية إلى تلميذه الوفي المحبوب تيموثاوس أن **"خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة"** (٢تي٤:١١). فما جرى قبل سنين كان حادثاً عارضاً يتصل بمباديء الخدمة.

وإذا كان العالم ينادي أن "اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية" فبالأوْلى أن أتباع المسيح وخاصةً الخدام تستوعب محبتهم المسيحية كل ألوان الاختلاف في الرؤى، وقادرون بالنعمة على الاحتمال والغفران والنسيان كسيدهم. وهكذا أوصى القديس بولس في رسائله **"كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح"** (أف ٤:٣٢)، **"محتملين بعضكم إن كان لأحد على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً"** (كو ٣:١٣).

والقديس بطرس في رسالته الثانية يشيد بالقديس بولس ويذكره بالحب، وهو ينبيء عن ملابسات المجيء الثاني للرب، فيكتب **"واحسبوا أناة ربنا خلاصاً. كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس بحسب الحكمة المعطاة له كما**

في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور. التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم" (٢بط ٣:١٥، ١٦)، فليس في القلب غير المحبة التي لا يمكن أن تسقط.

فالمحبة "تتأنى وترفق.. ولا تحتد ولا تظن السّوء.. وتحتمل كل شيء.. وتصبر على كل شيء" (١كو ١٣:٤، ٥، ٧).

اصنعوا أصدقاء

في ختام مَثَل وكيل الظلم الحصيف- الذي عَمَد قبل عزله من الوكالة إلى تخفيض مديونية عملاء سيده لحسابه، ويقتسم معهم الفرق لمواجهة أيام الضيق القادمة – قال الرب **"اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم.."** (لو١٦:٩). وبغير دخول في تفاصيل المثل الشهير، فما يهمنا هنا هو دعوة الرب لنا لاكتساب أصدقاء باستخدام ما نملكه والذي اكتسبناه طبعاً بالأمانة[٥]، في عمل الخير، فنعطي الفقراء والمحتاجين ونمارس كل أوجه العمل الصالح فنجد رحمة في الساعة الأخيرة.

ولكن يمكن تطبيق دعوة الرب حرفياً بأن نوظّف مواهبنا وأموالنا في خدمة الآخرين، والتعبير عن محبتنا لهم بكرم وتجرد، ونقدم هدايانا في مناسباتهم السعيدة، والوقوف إلى جانبهم في محنهم، ونكون لهم أصدقاء فيكونوا لنا أصدقاء. فالصداقة وإن نشأت أحياناً بمصادفة طيبة، إلا أن النفوس الإيجابية المنفتحة والمبادِرة للتعامل مع الآخر بمحبة هي التي تفوز قبل غيرها بصداقة الآخرين فتثري حياتها وتغلب الصعاب وتمتليء بالبهجة.

---

(٥) حتى وإن نَعَت الرب كل الأموال التي في العالم بأنها **"مال الظلم"** باعتبار أنها جميعاً، سواء ما جاء بالأمانة أو بغيرها، تصب في وعاء واحد.

سمات الصداقة الحقيقية

(١) **الصداقة** هي تعبير عن وصية المحبة المسيحية. فأساسها القدرة على الحب والصدق وإنكار الذات، ودستورها العطاء لا الأخذ، وهي تلتحف بالخير والفضيلة وتأبى الشر والانحراف. والصداقة تختلف عن علاقات المنفعة والأخذ خاصة حول الأغنياء وأصحاب النفوذ والتي لا تقترب من الفقراء ومن لا حول لهم. وفي الأمثال **"مِن قريبه يُبغَض الفقير ومحبو الغنى كثيرون"** (أم١٤:٢٠).

(٢) **الصداقة** مسئولية والتزام متبادلان، وتتطلب التضحية بغير تحفظ. وهي تُختبر وقت المحن والشدائد والآلام (كالموت والمرض)[٦] والأزمات (كالخسائر المادية أو الحوادث أو فقدان العمل). فالصديق حاضر دوماً كرسول من السماء لنجدة الصديق مهما كان الثمن[٧]، بل ويحمل عاره بغير خجل مدافعاً عنه إن كان بريئاً ولا يصمت عندما ينبغي الكلام، ولا يمكن بأي حال أن يشارك في الهجوم عليه. والتلميذان بطرس ويوحنا لما هددهما رؤساء الكهنة "أن لا ينطقا البتة ولا يعلّما باسم يسوع" كانت إجابتهما **"نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا"** (أع ٤:١٧-٢٠). والقديس بولس يحضّ المؤمنين أن يخرجوا إلى الرب **"حاملين**

---

(٦) ففي وقت الموت يساند الأصدقاء أقرانهم، الذين فقدوا أحباءهم، بالمشاركة القلبية وتقديم التعزية وحمل أعبائهم المعطلة خاصة في فترة الحداد الأولى: كتولّي شئون البيت، ومتابعة أمور الصغار (بتوصيلهم إلى مدارسهم ومساعدتهم في دروسهم)، وفي ظروف المرض: تكون الزيارات هامة في التخفيف من ضيقة المرض خاصة إن طالت مدته أو كان خطيراً يهدد بالموت أو اقترن بالوحدة والغربة.

(٧) مَثَلُ صديق نصف الليل (لو١١:٥-٨)، وإن كان يحثّ على اللجاجة والإلحاح (في الصلاة) الذي يغلب العقبات ويحنّن القلب، إلا أنه يحمل في طيّاته كيف أن الصديق: يبقى للصديق مُنْجداً ساعة الاحتياج، ويجد دالة أن يقرع بابه في منتصف الليل بغير حرج، وأيضاً أن يضغط عليه لو كانت الظروف غير مواتية. كما أن الصديق القادم من سفر بعيد لم يجد غضاضة أن يترل عند صديقه في هذه الساعة المتأخرة بغير ترتيب سابق فالمحبة تستر.

عاره" (عب ١٣:١٣). وكما يشترك الصديق في آلام صديقه فهو معه بالطبع في أفراحه ومسرّاته **"فرحاً مع الفرحين"** (رو ١٢:١٥).

(٣) الصداقة الحقيقية تتجاوز الدين والعقيدة والعنصر والطبقة، وإن كانت تنمو وتتعمق أكثر بالشركة في المسيح والسلوك بحسب الإنجيل، فالحب المسيحي يدفع بالصداقة إلى آفاق من السمو ويقدم نماذج رائعة تثري الحياة، كما يدعمها أيضاً التكافؤ الاجتماعي والنفسي والفكري؛ فصاحب السلطان الجالس على القمة وحيداً أو كبار الأغنياء قلّ أن يجدوا صديقاً حقيقياً لصعوبة التكافؤ في هذه الحالة. ومع هذا فالإيمان المشترك في المسيح قادر أن يزيل الفوارق كلها كما أزالها في الكنيسة الأولى **"وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة"** (أع ٤:٣٢)، وكما أزالها بين القديس بولس والعبد أُنسيمس (**الأخ الأمين الحبيب** – كو ٤:٩).

(٤) الصداقة الحقيقية ثابتة مهما تباعدت الأماكن وطال الزمان. وهي لا تعرف التذبذب والمزاجية اللذين هما من إفراز حياة الذات التي لا يمكن معها أن تنشأ صداقة حقيقية. وتقول "الأمثال" **"الصديق يحب في كل وقت"** (أم ١٧:١٧). وثبات الصداقة يتيح أن تتحلى بالصدق والمصارحة والالتزام بالحق. فالحق يعلو ولا يُعلى عليه. وفي علاقة استقرت وتوطدت، وصار كل طرف موضع ثقة الآخر ومستودع أسراره، يمكن للصديق أن يصارح صديقه بأخطائه بغير تعالٍ أو تجريح وإنما بدالة المحبة وحرصاً على ألا تشوبه شائبة. ولكنه في هذا هو حريص على صداقتهما الثمينة أن تتأثر. من هنا فهو يطيل أناته ويختار الظروف المواتية، وينتقي الكلمات بكل عناية وحكمة، ويحرص أن تخلو من الحدّة كي يربحه للحق ولا يفقده كصديق. والمحبة الوثيقة التي تجمع الصديقين هي وحدها الكفيلة أن تجعل هذه المصارحة، مهما كانت شدتها، من أجل الخير وتوطيد العلاقة. وفي سفر

الأمثال "**أمينة هي جروح المحب وغاشة هي قبلات العدو**" (أم ٢٧:٦).

(**٥**) **الصداقة الحقيقية** لا تعرف التحفظ أو التستّر أو إخفاء الحقيقة، ولا يمكن أن تتزلق إلى الكذب المنهى عنه (لا١٩:١١، أف ٤:٢٥، كو٣:٩). إنها تعني توفّر الثقة المتبادلة بغير حجاب، وكشف ما يعتمل في القلب من مشاكل أو هموم. ويكون المقابل هو المساندة ومشاطرة الآخر أوجاعه والصلاة من أجله، فتخف حدتها أو ربما صادفت حلاً من خبرة سابقة للصديق. إنها نعمة كبرى أن يجد المرء من يقتسم معه همومه بعد الله.

(**٦**) **الصداقة الحقيقية** تمارس التسامح والغفران وطرح الإساءة بغير جهد. وحتى لو حدث اختلاف في الرأي فهو يبقى في حدوده وحجمه، ولا ينعكس على العلاقة، ويجتهد الطرفان في تحجيمه وتقدير الموقف بعقل، وهما قادران على اللقاء في المنتصف دون عناد أو ضعف، وكلاهما ينافس الآخر في الاحتمال واتساع القلب، وعيناهما على علاقة الصداقة الثمينة التي تربطهما يدافعان عنها ويحميانها من أن يصيبها ضرر. غير ذلك يعني أن الصداقة لم تتأصل ولا تقوى على مواجهة الزوابع.

نعمة الصداقة ومحنة الوحدة

لاشك أن وجود أصدقاء أوفياء في الحياة يضفي عليها الفرح والدفء والمؤازرة والتعزية والشركة بما يعين على احتمال التجارب بل والاحتفاظ بصحة نفسية طيبة. وكان **القديس بولس** سجيناً في روما ويقيم بموافقة السلطات في بيت استأجره لنفسه (أع٢٨:٣٠) ويلازمه حارس دائم مقيّد معه. ولكن خفّف من ضيقته تناوب إخوته الخدام على الإقامة معه الذين كان يُشيد بهم في رسائل سجنه: **لوقا** "الطبيب الحبيب" **وديماس** (كو٤:١٤، فل ٢٤)، **تيخيكُس وأُنسيمُس** (كو ٤:٧، ٩)، **تيموثاوس** (في ٢:١٩-٢٣)، **أرستخُس ومرقس** (كو٤:١٠،

فل٢٤)، **أبفراس** (كو٤:١٢، فل ٢٣)، **يسوع المدعو يسطس** (كو٤:١١)، **أبفرودتس** (في٢:٢٥-٣٠). هؤلاء كانوا تعزية ليست بقليلة له في سجنه "**الذين صاروا لي تسلية** (أي كانوا يُسرّون عنه)" (كو٤:١١) وساعدوه أن يجتاز محنة سجنه (أبفرودتس الخادم لحاجتي- في٢:٢٥) وبُعدَه عن كرازته وجولاته في كل الأنحاء.

وخرج القديس بولس من سجنه بعد عامين واستأنف خدمته يساعده هؤلاء الإخوة لسنوات. وتصل حياته إلى فصلها الأخير وسط محاكمات جديدة ولكن هذه المرة، وقد شاخ، يعاني الوحدة رغم محبته وخدمته العظيمة للكل "**كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها**" (١تس٢:٧)، فقد انشغل عنه الكثيرون بالخدمة أو بغيرها. وما قاله من قبل أثناء سجنه الأول في روما في رسالته إلى أهل فيلبي من أن "**الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح**" (في ٢:٢١) بقوله لتلميذه تيموثاوس بمرارة وقد صار شيخاً يشعر بأن وقت انحلاله قريب (٢تي ٤:٦) "**بادر أن تجيء إليّ سريعاً. لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكيس إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماطية. لوقا وحده معي**" (٢تي ٤:٩-١١).

فوجود الأصدقاء بركة عظمى وغنىً أكثر من المال، خاصة في ظروف الضعف والمرض وتقدم السن، فهم السند والتعزية والمؤازرة. وليس أكثر إيلاماً من مسنّ ينفضّ من حوله الجميع، وترن في آذاننا هنا كلمات مريض بيت حسدا البائسة "**ليس لي إنسان..**" (يو٥:٧) يقولها باسم الملايين في كل زمان. وكانت تقاليد الشرق توفر المساعدة لكبار السن كنوع من الوفاء ورد الجميل، حيث كانت أجيال العائلة الواحدة تسكن معاً أو بالقرب من بعضهم البعض. ولكن الضغوط الاجتماعية وصعوبة الظروف الاقتصادية شتّتت الكثيرين في أقطار الأرض فبعدت المسافات بين الجماعات، وصارت الأحوال في الشرق تقترب مما يسود في الغرب

من معاناة كبار السن للوحدة المتحالفة مع الشيخوخة والمرض وانشغال أقرب الأقارب عنهم. وهكذا نشأت بيوت المسنّين (والمسنّات) التي انتقلت إلينا منذ زمان. وعند الكثيرين من هؤلاء قصص محزنة عن جفاء الأبناء والأصدقاء وإهمال زيارتهم (بل وانتظار البعض لموتهم لوراثتهم!)؛ بل تحولت هذه البيوت أحياناً إلى مجال للتخلص من الشيوخ والعجائز لمن يستطيع، ويكتفي ذووهم بالإنفاق المادي عليهم دون التعبير عن الحب القلبي، غير مدركين أنهم ربما ذاقوا يوماً نفس الكأس[٨].

الصداقة بين مختلفي العقيدة الدينية

الصداقة ليست فقط ممكنة بين مختلفي العقيدة الدينية أو أية عقائد، بل هي مطلوبة كتطبيق للوصية، ومن أجل سلام الأمم وسلام العالم بالتالي. وفي وطن مثل مصر تتعدد فيه الأديان، فإن اقتصرت الصداقة وعلاقات المودة الوثيقة بين متفقي العقيدة فقط انقسمت الأمة الواحدة إلى شيع لا تلتقي مما يهدد استقرارها ويمثل آفة ضعف تطعن الوطن في الصميم. فالوطن يتسع للجميع من كل العقائد والفرق والأحزاب وكلهم متساوون في الحقوق والواجبات. وحتى إن كان الأيسر نشأة الصداقات بين أصحاب العقيدة الواحدة، لأنها في هذه الحالة تستوعب كل مجالات التواصل بما فيها النشاط الديني المشترك، إلا أنه لا يصح الاكتفاء بذلك والانكفاء على الذات ومن يماثلها في العقيدة، لأن هذا من ناحية ضد الوصية التي تجعل محبة القريب (أي الآخر مهما يكن) دليل محبة الله "**إن قال أحد إني أحب الله وأبغض**

---

(٨) من ندرة الأصدقاء الحقيقيين ومع ظروف الحياة لاهثة الإيقاع، يلجأ كثيرون، خاصة مما يعانون الوحدة وهجرة الأصدقاء أو رحيلهم، إلى صداقة الكلاب، إذ يوصف الكلب بأنه خير صديق للإنسان Man best friend، وقد كانت الكلاب تأتي للعازر المسكين وتلحس قروحه (لو١٦: ٢١). وهناك قصص عن كلاب أظهرت محبة شديدة لسيدها حتى أنها كانت تكف عن الطعام حتى الموت إذا مات صاحبها، كما تحفل مقابر الكلاب بكتابات لأصحابها تعبر عن امتنانهم وافتقادهم لصحبتهم التي ملأت حياتهم بهجة.

أخاه فهو كاذب.. ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً" (١يو٤: ٢٠، ٢١).

ومن ناحية أخرى فإن هذا المختلف في العقيدة هو شريك في الوطن الواحد، في التاريخ والجغرافيا، في اللغة والثقافة والعادات والتقاليد، بل وفي الأصل العِرقي. وبرغم ما تراكم في السنوات الأخيرة في بلادنا من خبرات سيئة مصدرها ثقافات وافدة طعنت المحبة وخضّبتها بالدم، فلابد من تجاوزها بالتسامح والغفران، كما علّمنا المسيح، من أجل حماية الوطن الذي يضمّنا جميعاً، بما فيه كنيسة المسيح، وحمايته من التشرذم والتمزق وغلبة الكراهية، ولا يصح أن يتحمل الكل جرائر البعض. وعلينا أن نحتفي بمواقف المحبة والمساندة التي تجلّت ساطعة في الأحداث الأخيرة رغم مأساويتها[٩]، ونثق أن المحبة قادرة أن تغلب الكراهية، ومكتوب أن **"المحبة قوية كالموت"** (نش ٨: ٦).

والمسيحي أوْلى أن يبدأ بنفسه وقانونه **"فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء"** (مت ٧: ١٢)، حتى وإن بدا في الآفاق نوع من النفور والتعصب على مستوى الآخر، أو التمييز في حقوق المواطنة على مستوى الدولة، فهو بحكم الوصية مفتوح القلب للجميع. وهو إذ يقدم محبته واستعداده للصداقة يمارس ما أُوصى به من قِبَل الرب، يعضّده الروح القدس روح المحبة واللطف والوداعة الصادقة بغير ادعاء أو رياء، كما أنه يسهم في تحطيم أسوار الغربة والعزلة والعداء التي لا يستطيع الآخر أن يقتحمها بمفرده لأنه أسيرها بحكم الثقافة السائدة.

عن الصداقة بين الجنسين

(٩) نقصد مذبحة كنيسة القديسيْن بالإسكندرية، وتدمير كنيسة صول بأطفيح.

لا تقدّم الصداقة بين الجنسين نموذجاً مثالياً للصداقة، فهي تحاط بالمحاذير وليست حرة نامية كالصداقة بين نفس الجنس، ولكن هذا لا يمنع قيامها في سنٍ متقدم تجاوز الطيش الذي يمكن أن يتسم به الشباب، مع توفر الطهارة والتقوى وحياة التوبة وضبط النفس، مما يحمي الطرفين من الانحراف إلى الأفكار الجسدية. ولابد من تحديد مجالات المشاركة بحيث لا تتطرق إلى قضايا جنسية، إضافة إلى التحفظ في القول والتصرف مع الاحترام المتبادل، فمثل هذه العلاقات بغير حذر يمكن أن تتزلق إلى تجربة تحمل في طياتها المرارة **"ولكن كل واحد يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته"** (يع١: ١٤).

وربما كان من الخير ألا يسعى أحد إلى صداقة من هذا النوع لأن شروط نجاحها ليس من السهل توفرها ولئلا تكون ستاراً لخداع الشهوة. فليحذر كل واحد وواحدة لأن الشهوة **"طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء"** (أم ٧: ٢٦)[١٠].

خيانة الصداقة

تقول خبرة البشر أن الصداقات الحقيقية قليلة وطوبى لمن وجد له صديقاً أصيلاً واحداً. ويحدث كثيراً أن يُصدم المرء في الصديق الذي بالضعف يرتد عن صداقته فيتخلى عنه وقت الشدة أو يتكلم عنه بالشر، بل ويخونه متحالفاً مع أعدائه. فالارتداد إلى الذات وما يفرزه من الغيرة والحسد والكذب هو أعدى أعداء الصداقة

---

(١٠) أما ما يسود المجتمعات الغربية من مثل هذه العلاقات التي تبدأ بما يسمى التواعد Dating، وإذا ساد الاتفاق فإن الطرفين يعيشان معاً حياة زوجية كاملة معلنة (ولكن بغير زواج)، فيما يعرف بالصديق boyfriend والصديقة girlfriend، والتي قد تمتد إلى سنوات، قد ينجبان خلالها، والتي قد تنتهي أو لا تنتهي بالزواج، فهذا يتجاوز نطاق ما نحن بصدده لأننا هنا نتعرض إلى الصداقة من منظور كتابي، وهذه العلاقات هي علاقات جسدية حتى وإن توفر فيها الحب بمفهومه العالمي، ولكنها قد تدوم أو تنتهي لتبدأ علاقة جديدة غيرها وهكذا. هذه علاقات لا تمجد الله.

الذي يقضي عليها في النهاية.

وطعنة الصديق الخائن قاسية جداً، وأقسى من طعنة العدو المتوقَّعة وأشد إيلاماً، وهي تظل تدمي طويلاً وتحتاج إلى معونة من فوق لكي تندمل وتطرح **"ما هذه الجروح في يديك. فيقول هي التي جرحت بها في بيت أحبائي"** (زك ١٣:٦).

وأيوب وهو يعاني الآلام يقول كسيراً **"كرهني كل رجالي والذين أحببتهم انقلبوا عليّ"** (أي ١٩:١٩).

وقد أحزن قلب الرب فتور تلاميذه وهو يصارع قوى العالم حتى إنه قال لهم **"أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة"** (مت ٢٦:٤٠). وأكثر من ذلك تخلّيهم عنه تماماً وقت القبض عليه حيث **"تركه التلاميذ كلهم وهربوا"** (مت٢٦:٥٦). وعندما عاد بطرس ويوحنا ليتابعا ما يجرى للسيد من محاكمات، جرح قلب الرب إنكار بطرس ولكنه في محبته **"التفت ونظر إليه"** من بعيد عند صياح الديك فأنقذه من ضعفه وإنكاره وهكذا اندفع "إلى خارج وبكى بكاء مراً" (مت ٢٦:٧٥، مر ١٤:٧٢، لو ٢٢:٦٢) واسترد بدموع التوبة محبته الأولى.

ولكن الجرح الدامي كان من يهوذا الذي كان تلميذ الرب لأكثر من ثلاث سنوات ولكنه تجاسر أن ينقلب عليه ويسلمه للموت مقابل ثلاثين من الفضة **"الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليّ عقبه"** (مز ٤١:٩، يو ١٣:١٨)، ولم تُجدِ معه أو تردعه كلمات العتاب **"يا صاحب لماذا جئت"** (مت ٢٦:٥٠) **"يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان"** (لو ٢٢:٤٨). وعندما عاد يهوذا إلى وعيه بعد الصليب تنكّب الطريق إلى قلب الرب، وإذ هالتْه خيانته ضاع منه الرجاء وكان أن مضى وشنق نفسه (مت ٢٧:٥) ففقد كل شيء.

من هنا يجب التدقيق في اختيار الأصدقاء وألا تكون كثرتهم هدفاً يغري المرء بمعاشرة الكل بغير تمييز. وفي الأمثال **"المكثر الأصحاب يخرب نفسه"** (أم ١٨:٢٤)، كما أنه لابد من التباعد عن سيء الخلق لئلا يضفى علينا انحرافه

وشره ولو بدرجة ما، ومكتوب أن **"المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيـــدة"** (١كو ١٥:٣٣).

❋ ❋ ❋

فلنجعل الصداقة بركة لحياتنا. وليكن أول الأصدقاء وأقربهم إلى القلب شخص الرب الذي وضع نفسه لأجلنا نحن أحباءه. وأن نختار من الصداقات ما يبني ومـــا يوافق، ونمارس فيها محبتنا وسخاء عطائنا، فتعكس محبتنا لله محبتنا للكل بغير ضنّ، دون أن نسمح لأية علاقة أن تفصلنا عن محبة المسيح رفيق الحياة الدائم.

يا تُرى أي صـــديـــق مثل فادينـــا الحبيب
يحمل الأثقـــالَ عنـــا وكذا الهمَ المذيـــب
يا لإنعام تسامـــــــى من لدن رب النجاة
إننا نلقـــــى عليـــــه كل حمل بالصـــلاة

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : في السلوك المسيحي

التدين المضاد...ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثاني : عـن المسيـــح

يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري

(طبعتان)

الكتاب الثالث : المسيح في حياة الكنيسة والخدمة

عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابع : شخصيات كتـــابيـــة

١- القديس بطرس .. أول التلاميذ

٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : قضـــايـــا إيمـــانيـــة

المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : في السلوك المسيحي (٢)

نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابع : قضايـــا إيمانيـــة (٢)

قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامـن : في السلوك المسيحي (٣)